شريد في مملكة السحر

كوري دوكتورو

شريد في مملكة السحر

تأليف
كوري دوكتورو

ترجمة
سارة طه علام

مراجعة
شيماء طه الريدي

هنـــداوي

شريد في مملكة السحر

Down and Out in the Magic Kingdom

كوري دوكتورو

Cory Doctorow

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: ليلى يسري

الترقيم الدولي: ١ ٣ ١٧٠٣ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر الكتاب الأصلي باللغة الإنجليزية عام ٢٠٠٣.
صدرت هذه الترجمة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠١٩.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب، وتصميم الغلاف، والترجمة العربية لنص هذا الكتاب مُرَخَّصة بموجب رخصة المشاع الإبداعي: نَسْبُ المُصنَّف، غير تجاري، الترخيص بالمثل، الإصدار ٤,٠. جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي باللغة الإنجليزية مُرَخَّصة بموجب رخصة المشاع الإبداعي: نَسْبُ المُصنَّف، غير تجاري، الترخيص بالمثل، الإصدار ١,٠ عام.

المحتويات

عن المؤلف	٧
شكر وتقدير	٩
مقدمة	١١
الفصل الأول	١٩
الفصل الثاني	٢٧
الفصل الثالث	٣٣
الفصل الرابع	٥٣
الفصل الخامس	٦٩
الفصل السادس	٩١
الفصل السابع	١٠٧
الفصل الثامن	١٢٧
الفصل التاسع	١٤٥
الفصل العاشر	١٦١

عن المؤلف

يعمل كوري دوكتورو مُنسقًا للاتصال بمؤسسة إلكترونيك فرونتير (www.eff.org)، ويدير موقعًا شخصيًّا (www.craphound.com). كما يعمل مُحرِّرًا مُشاركًا بمدوَّنة «بوينج بوينج» الشهيرة (www.boingboing.net) التي يزورها أكثر من ٢٥٠ ألف زائر شهريًّا. فاز بجائزة جون دبليو كامبل لأفضل كاتبٍ جديد ضِمن جوائز هوجو ٢٠٠٠ لأفضل رواية. وُلد ونشأ في تورونتو ويعيش الآن بمدينة سان فرانسيسكو. يستمتِع باستخدام مَوقع جوجل للبحث عن الحقائق المُثيرة للاهتمام المُتعلِّقة بجولات السير الطويلة على شاطئ البحر.

شكر وتقدير

لم أكن لأكتُبَ هذا الكتاب أبدًا دون الدعم الشخصي الذي تلقَّيتُه من أصدقائي وعائلتي، خاصة روز دوكتورو، وجورد دوكتورو، ونيل دوكتورو، وأماندا فوبيستر، وستيف ساماينسكي، وبات يورك، وجراد كون، وجون هينسُن، وجون روز؛ والكُتَّاب في مجموعة سيسل ستريت إريجيولارز ومارك فروينفيلدر.

كذلك أدين ببالِغ الفضل إلى الكُتَّاب والمُحرِّرين الذين علَّموني وشجَّعوني: جيمس باتريك كيلي، وجوديث ميريل، وديمون نايت، ومارثا سوكوب، وسكوت إديلمان، وجاردنر دوزوا، ورينيه ويلميث، وتيريزا نيلسن هايدن، وكلير إيدي، وبوب باركس، وروبرت كيلهيفر.

كما أُدين بالفضل إلى مُحرِّري باتريك نيلسن هايدن ووكيلي دونالد ماس الذي آمن بهذا الكتاب وساعدني على إخراجه إلى النور.

وأخيرًا، لا بُدَّ أن أشكر القُرَّاء والمهووسين والمُبتكِرين الذين ألهموني تأليف هذا الكتاب.

كوري دوكتورو
سان فرانسيسكو
سبتمبر ٢٠٠٢

مقدمة

عشتُ طويلًا بما يكفي لأشهَدَ اختراعَ عِلاج للموت، لأرى ظهور «مُجتمع الرَّوعة»، لأتعلَّم عشرَ لُغات، لأؤَلفَ ثلاث سيمفونيات، لأحقق حُلم مُراهقتي بأن أسكن عالم ديزني، لأشهَدَ نهاية أماكن العمل وفكرة العمل ذاتها.

غير أنَّني لم أتخيَّل قطُّ أنني سأعيش حتى أرى اليوم الذي يُقرِّر فيه دان الدائم الحركة تعليق حياته مُؤقَّتًا حتى الموت الحراري للكون.

كان دان في رَيعان شبابه في عَقده الثاني أو الثالث حينما قابلتُه لأول مرة؛ كان ذلك في وقتٍ ما في أواخِر القرن الحادي والعشرين. كان راعيَ بَقَرٍ مَمشُوق القامَة، يبدو في عامِه الخامس والعشرين أو نحو ذلك، تُحيط بعينَيه تَجاعيدُ لم يَلفَحْها سمار الشمس، وله رقبة سفَعتْها أشعَّتُها، وحذاء طويل بالٍ ومُريحٌ للغاية. كنتُ حينها في خِضَمِّ كتابة رسالتي في مجال الكيمياء للحصول على درجة الدكتوراه الرابعة، وكان دان يأخذُ استراحة من مَهامِّ «إنقاذ العالَم» ويقضي وقته في الاسترخاء في حرَم الجامعة بتورونتو، وفي إفراغ ذاكرته الأساسية لدراسة أحد تخصُّصات الأنثروبولوجيا البائسة. تَقابَلْنا في حانة اتحاد الخريجين — أو «جازو»، لمن يعرفونها — في إحدى ليالي الجُمعة الربيعية المُزدحمة. كنتُ أخوض معركةً بطيئة لِأَمُرَّ حتى أحصل على مقعد عند البار، مُقتربًا من البار شيئًا فشيئًا كلَّما تحرَّكَت الحشود المُتكدِّسة من مكانها، وكان دان يجلس على أحد المقاعد القليلة الخاوية، وقد أحاطَت به بقايا السجائر والعبوات الفارغة من كلِّ جانبٍ وكأنه في مُخيَّم.

بعد فترةٍ من انتهائي من معركة الوصول إلى أيِّ مقعدٍ شاغر، أمال دان رأسه تجاهي ورفع حاجبًا بَيَّضَتْه الشمس وقال: «خطوة أخرى يا بُنيَّ، وسيجِب علينا أن نشرَع في عقد اتِّفاقٍ ما قبلَ الزواج.»

كنتُ في حوالي الأربعينيَّات من عُمري، وكان ذلك واضحًا؛ لذا لم يُعجبْني أن يُنادِيَني بـ «بُنيَّ» وفكرتُ في أن أُوقِفه عند حدِّه، ولكنني حينما نظرتُ في عينيه شعرتُ بأنه مرَّ بما يكفي من الأوقات العصيبة، ولم أمانع في أن يُنادِيَني بذلك وَقْتما شاء. فتراجعتُ إلى الخلفِ قليلًا مُعتذرًا.

أشعل سيجارةً ونفثَ سحابةً من الدُّخان ذي الرائحة القوية فوقَ رأسِ ساقي البار قائلًا: «لا عليك، ربما أكون مُبالغًا قليلًا في الحِفاظ على مِساحتي الشخصية.»

لا أذكُرُ متى كانت آخِر مرَّةٍ سمعتُ فيها أيَّ شخصٍ داخل هذا العالم يتحدَّث عن المساحة الشخصية؛ ففي ضوء مُعدَّلات الموت الصِّفرية ومُعدَّلات الإنجاب غير الصِّفرية، كانت كثافة السكان في تزايُدٍ رهيب، حتى مع التأثير الاستِنزافي للمُرتحِلين، ومَن قرَّروا تعليق حياتهم مُؤقَّتًا، على السكان. سألتُ دان: «هل كنتَ مُسافرًا في رحلةٍ قصيرة؟» كانت له نظرةٌ ثاقبة لا يُمكِن أن تُفوِّت تجربةً فورية للتعليق المُؤقَّت للحياة.

ضحِك ضحكةً خافِتة قائلًا: «لا يا سيِّدي، لستُ أنا هذا الرجل؛ فأنا أُفضِّل الأعمال الجادَّة التي لا تجِدها إلَّا في هذا العالم. ما السَّفر إلا لهوٌ، أما أنا فأحتاجُ إلى العمل.» كان رنين الكئوس الزُّجاجية أقرَبَ إلى لَحْنٍ مُتناغِم.

استغرقتُ بُرهةً لاستِحضار شاشةٍ ذهنيَّة تعرِض مجموع نقاطه من السُّمعة الجيدة التي تُعرَف باسم نقاط «الووفي»، وكان لِزامًا أن أُغيِّر حجم الشاشة؛ إذ كانت تعجُّ بأصفارٍ تفوق استِيعاب شاشتي العادية. حاولتُ أن أتصرَّفَ بهدوء، ولكنه لاحظَ عينيَّ وهما تطرِفان لأعلى وما أعقب ذلك من اتِّساعٍ لا إراديٍّ لِبُؤْبُؤَيْهما. حاوَلَ أن يتصنَّع الحرَج، ثم سُرعان ما تخلَّى عن ذلك ورسم ابتسامة تَباهٍ عريضةً على وجهه.

«أحاوِل ألَّا أُلقي بالًا لهذا الموضوع. بعض الناس يَشعرون بالامتِنان بشكلٍ مُبالغٍ فيه.» لا بُدَّ أنه لاحظ أن عينيَّ طرَفَتا إلى أعلى مرَّةً أخرى لكي أرى تاريخه من الووفي. ثم أردفَ قائلًا: «لا تفعل هذا مرةً أخرى، سأُخبِرُك بكلِّ شيء؛ لا بُدَّ أن تعلَم ذلك على أيِّ حال.

تبًّا! أتعلم؟ من السهل للغاية الاعتِياد على العَيش دون وجود الروابط التَّشعُّبية. سوف تظنُّ في البداية أنك تفتقِدُها حقًّا، ولكن هذا لا يحدُث.»

حينها اتَّضح الأمر لي. كان دان من المُبَشِّرين المُهمَّشين الذين يعملون مَبعوثين من مُجتمع الرَّوعة إلى الأنحاء المُتخلِّفة من العالَم التي يرغَبُ سُكانها — لأي سببٍ كان — في الموت جُوعًا واختناقًا من النَّفايات البتروكيميائية. من المُدهِش أنَّ هذه المجتمعات قد

نجحتْ في البقاء على قيد الحياة لأكثر من جيلٍ واحد؛ ففي عُرف مجتمع الرَّوعة، عادةً ما نعيش لمُدةٍ أطول مِمَّن ينتقِصون من قدرِنا. لا يُحقِّق المُبَشِّرون نسبة نجاحٍ مُرتفعةً في مَهامِّهم؛ فلا بُدَّ أن تكون شخصًا قوي الحُجَّةِ حتى تَتمكن من الوصول إلى ثقافةٍ نجحتْ بالفعل في الصمود أمام قرنٍ كاملٍ من الحَمَلات الدعائية، ولكنك عندما تنجَحُ في تغيير مُعتقدات قريةٍ بأكملِها، فإنك تحصُد جميع نقاط الووفي التي يُمكنهم مَنحُها لك. وينتهي الحال بالمُبَشِّرين في أغلب الأحيان إلى إعادة تحميلهم من نُسخةٍ احتياطية بعد عقدٍ أو نحو ذلك من عدَم تَلقِّي أيِّ أخبارٍ منهم. ولم يَسبِق لي أن قابلتُ أيًّا منهم شخصيًّا من قبل.

سألتُ دان: «في كَمْ مِن المهامِّ نجحْتَ؟»

ردَّ: «لقد اكتشفتَ الأمر. أليسَ كذلك؟ انتهيتُ للتوِّ بنجاحٍ من مُهمَّتي الخامسة خلال عشرين عامًا؛ استهدفتُ فيها مُناهِضي الثورة المُختبِئين في جبال شايان القديمة بمَوقع قيادة دفاع الفضاء الجويِّ في أمريكا الشمالية الذين لا يزالون يعيشون هناك منذ أكثر من جيلٍ كامل ...» ثم فَرَكَ شارِبه بأطراف أصابعه الخَشِنة وأردف قائلًا: «لقد هرب آباؤهم وأمهاتهم إلى المخابئ بعدما تبخَّرَت جميع مُدَّخراتهم التي جمعوها على مدار حياتهم؛ ومن ثم لم يكن لديهم حاجة لاستخدام أي تكنولوجيا متقدمة، اللهم إلا البنادق، وإن كان لديهم الكثير منها.»

ثم شرع في سرد حكايةٍ شائقة عن كيف نجح في كسْب ودِّ سُكان الجبل شيئًا فشيئًا، ومن ثمَّ اكتساب ثِقتهم، وكيف استغلَّ ثقتهم تلك بدهاء وبما يعود عليهم بالنفع؛ فتمكن من إقناعهم بإدخال «الطاقة الحُرَّة» في صُوباتهم الزراعية، ثم زراعة محصول أو اثنين من المحاصيل بالهندسة الوراثية، ثم علاج بضع حالات وفاة، واسْتَمالَهم تدريجيًّا للانضمام إلى مجتمع الروعة، حتى إنهم نَسُوا سبب عدم رغبتهم في أن يصيروا جُزءًا منه منذ البداية. وهم الآن خارج هذا العالم يقومون، في أغلب الوقت، باستكشاف الألعاب الحربية باستخدام طاقةٍ ومُعدَّات لا محدودة، ويُعلِّقون حياتهم مُؤقتًا خلال الأوقات المُملَّة التي كانوا يُعايشونها أثناء رِحلتهم.

تابَعَ دان قائلًا: «أعتقِدُ أنَّ بقاءهم داخل هذا العالم سيمثِّل صدمةً كبيرة بالنسبة لهم؛ فهم يعتقدون أنَّنا العدو، كما تعلم، ولديهم شتَّى أنواع الخُطَط — مثل أقراص الانتِحار التي تُوضَع في تجاويف الأسنان الفارغة للجواسيس، والفِخاخ المُتفجرة، ونقاط الالتقاء البديلة للناجين — تَحسُّبًا للوقت الذي سنَغزوهم فيه ونأخذهم بعيدًا. لا يُمكنهم التوقُّف عن كراهيَّتنا، على الرغم من أننا لا نعلَم حتى بوجودهم. أما خارج هذا العالم، فلا يزال

يُمكنهم الادِّعاء بأنهم يَعيشون حياةً قاسية وصعبة.» فَرَكَ ذَقنه مرةً أخرى، فتساقَطَتْ قُشور جِلد يدِه المُتصلِّب وتشابكَت بشَعْر شاربه وأردف قائلًا: «ولكن الحياة القاسية حقًّا، بالنسبة لي، هي التي نعيشها هنا، داخل هذا العالَم. كلُّ منطقةٍ صغيرة مَعزولة هي بمثابة تاريخٍ بديل للبشرية: ماذا لو اخترْنا الطاقة الحُرَّة ولم نختر التَّعليق المؤقت للحياة؟ وماذا لو اخترْنا التعليق المؤقت للحياة، ولكن فقط لمن يُعانون مَرَضًا عضالًا، وليس لمن لا يرغبون في الشعور بالملل أثناء الرحلات الطويلة بالحافلة؟ ماذا لو لم يكن للروابط التشعُّبية، أو لِجان العمل المُتخصِّصة، أو الووفي، وجود؟ إن كلًّا منها مُختلف ورائع.»

لديَّ عادةٌ غبية وهي حبُّ الجِدال لمُجرَّد الجدال، فوجدتُ نفسي أردُّ عليه قائلًا: «رائع! أوه بالطبع، لا يُوجَد ما هو أفضل من ... أوه، دعنا نرَ. الموت، والجوع، والتجمُّد من البرد، والموت من شدَّة الحرارة، والقتل، والقَسوة، والجهل، والألم، والبؤس. أعلَمُ أنَّني سأفتقد هذه الأمور.»

أطلق دان المُفعَم بالحيوية صوتَ استهجانٍ قائلًا: «هل تعتقِد أن مُدمِن المُخدِّرات يفتقِد لحظات الوعي؟»

طرقتُ على زجاج البار قائلًا: «مَهلًا! لم يعُد يُوجَد مدمنون!»

أشعل سيجارة أخرى قائلًا: «ولكنك تعلمُ كيف يكون مُدمِن المُخدِّرات. أليس كذلك؟ مدمنو المُخدِّرات لا يفتقِدون لحظات الوعي؛ لأنهم لا يتذكرون إلى أيِّ مدًى كان كلُّ شيءٍ قاسيًا، وكيف أضفى الألمُ على السعادة مزيدًا من الحلاوة. لا يُمكننا تذكُّر شعور أن نعمل لنكسِب قُوتنا، وأن نقلق من ألَّا يكون ما نكسِبه كافيًا، أو من احتمال أن نمرَض أو تصدمنا حافلة مُسرعة. لا نتذكر كيف كان شعور المُخاطرة، وقطعًا لا نتذكر كيف كنا نشعر حينما حصدنا ثمار هذه المُخاطَرات.»

كان مُحقًّا فيما قال؛ فها أنا ذا، لم أتجاوز حياتي الثانية أو الثالثة، وبدأت أفكر بالفعل في التخلِّي عن كلِّ شيءٍ والقيام بشيء، أي شيء آخَر. كان مُحقًّا، ولكنني لم أكن أنوي الاعتراف بذلك. أردفتُ قائلًا: «إذن هذا رأيك. أما أنا، فأرى أنني أُخاطِر حينما أفتح حوارًا عشوائيًّا مع أحد الغُرَباء في حانة، وحينما أقَع في الحب ... وماذا عمَّن يختارون التعليق المؤقَّت للحياة؟ أعرف اثنين اختارا القيام بذلك لمدَّة عشرة آلاف سنة! ألا ترى أن هذه مُخاطرة؟» ولكن الحقيقة هي أن مُعظَم من عرفتهم خلال سنوات حياتي التي ناهَزَت بضعًا وثمانين سنةً إما اختاروا التعليق المؤقت للحياة، أو سافروا، أو اختفَوا فحسب. كانت أيامًا مُوحِشة.

ردَّ دان قائلًا: «هذا انتِحار جُزئي يا أخي! بهذه الطريقة، سيكونون محظوظين إذا لم يُوقِف أحد تشغيلَهم عندما يَحين وقتُ إعادتهم إلى الحياة. في حال لم تلحَظ الأمر، لقد صار المكان مُزدحمًا قليلًا هنا.»

تأفَّفتُ ضجرًا ومسحتُ جبهتي بأحد مناديل المائدة؛ فقد كانت حانة جازو حارَّةً جدًّا في ليالي الصيف. أجبتُ قائلًا: «يا له من شيءٍ مُؤسِف، تمامًا كما صار العالَم مُزدحمًا منذ مائة سنة مضت قبل ظهور الطاقة الحُرَّة. كما لو أنه امتلأ بالصوبات الزراعية، أو بالأسلِحة النووية، أو صار شديد الحرارة أو البرودة. لقد أصلحْنا هذا كلَّه حينها، وسنُصلِحه ثانية عندما يحين الوقت. سأكون هنا بعد عشرة آلاف سنة، لك أن تُراهِن على هذا، ولكني أعتقد أنني سأسلُكُ الطريق الأطول.»

أمالَ رأسه قليلًا مرة أخرى وفكر فيما قلتُه. لو كان دان واحدًا من أولئك الخرِّيجين الآخرين، لاعتقدتُ أنه يُحاوِل البحث عن حقائق مُلفَّقة واهِية تدعم هجومه القادم ضدِّي، ولكن في حالته كنتُ أعلم أنه يفكر في الأمر بالطريقة التقليدية فحسب.

ردَّ دان قائلًا: «أعتقِد أنَّني لو ظللتُ هنا بعد عشرة آلاف سنة، فسأكون قد بلغتُ قمَّة الجنون. عشرة آلاف سنة يا صاح، يا إلهي! منذ عشرة آلاف سنة مضت كانت العنز هي قمَّة التطوُّر! هل تعتقِد حقًّا أنك ستُشبِه البشر ولو من بعيدٍ بعد مائة قرن؟ بالنسبة لي، لا أهتمُّ بأن أكون مِن بَني ما بعدَ البشر. سأستيقِظ يومًا ما، وسأقول لنفسي: «حسنًا، أعتقِد أنَّني رأيتُ ما يكفي.» وسيكون هذا هو يومي الأخير.»

كنتُ أعلمُ ما كان يَنوي قوله بعد ذلك وتوقفتُ عن الالتفات لحديثه وأُجَهِّز ردِّي. ربما كان يجِب أن أُولي انتِباهًا أكبر لِما قاله. «ولكن لمَ؟ لماذا لا تختار التعليقَ المؤقَّت للحياة لبضعة قرونٍ فحسب، وترى ما إذا كان ثمَّةَ ما ينال إعجابك، وإذا لم تجِد تعود للنوم مرةً أخرى لبضعة قرونٍ أخرى؟ لماذا تتَّخِذ قرارًا حاسمًا ونهائيًّا كهذا؟»

أحرجَني حينما أظهرَ أنه يُعيد التفكير فيما قلتُ؛ إذ جعلني أشعُر كما لو كنتُ مُجرَّد شخصٍ جبان حادِّ اللسان لم يُفقِده الشرب وَعيَه تمامًا، ثم قال: «أعتقِد لأنه لا يُوجَد أيُّ شيءٍ آخر حاسم ونهائي. لطالَمَا علمتُ أنني يومًا ما سأتوقَّف عن الحركة والسعي والمُحاولة، وسأكتفي بكلِّ ما فعلتُه. سيأتي يوم لن يتبقَّى لي أيُّ شيءٍ لأفعلَه سوى التوقُّف.»

كانوا يُطلِقون عليه في الحرَم الجامعي «دان دائم الحرَكة» بسبب سُلوكه الذي يُوحي للآخرين بأنه راعي بقَر، وبسبب أسلوب حياته، وبطريقةٍ ما كان هو مِحور كلِّ حديثٍ لي

خلال الستَّة أشهر التالية. استعرضتُ رصيد نقاطه من الووفي بضعَ مرَّات، ولاحظتُ أنه كان يرتفِع باطراد؛ إذ كان يحصُل على المزيد من التقدير ممَّن كان يَلتقي بهم.

أما أنا، فقد بدَّدتُ مُعظم رصيدي من الووفي — كل مُدَّخراتي التي جمعتُها من تأليف السيمفونيات ومن أُطروحاتي الثلاثِ الأولى — بالإفراط في الشَّراب بحانة جازو، واحتِكار ممرَّات المكتبة لنفسي، ومُضايقة الأساتذة حتى أهدرتُ كلَّ رصيدي من الاحترام لدى جميع الناس. جميعهم عدا دان، الذي كان، لسببٍ ما، يدعوني باستمرارٍ لاحتِساء الجِعَةِ وتناوُل الطعام والذَّهاب إلى السينما.

اعتدتُ الشعور بأنَّني شخصٌ مُميَّز؛ فليس كلُّ شخصٍ كان له رفيق مُقرَّب كـ «دان دائم الحركة»، المُبَشِّر الأسطوري الذي زار الأماكن الوحيدة المُتبقية التي كانت مُغلَقة في وجه مجتمع الروعة. لا أستطيع أن أَجزم بالسبب الذي جعلَه يتسكع معي، ولكنه أتى على ذِكر إعجابه بسيمفونياتي مرةً أو اثنَتَين، وأنه قرأ أطروحَتي في مجال الهندسة التنظيمية للنشاط البَشري (الإرجونوميكس) حول تطبيق تِقنيات التحكم في الحشود المُتواجِدة بالمُتنزَّهات الترفيهية الكبرى في الأماكن الحضرية وأعجبَهُ ما كتَبتُه عن هذا الأمر، إلَّا أنني أعتقد أن الأمر كله كان يتعلق بأننا كنَّا نقضي وقتًا مرِحًا في إغاظة أحدِنا الآخر.

كنتُ أحدِّثُه عن آفاق المستقبل الواسعة التي تتكشَّف أمامنا، وعن يقيني بأننا سنُصادِف ذكاءاتٍ من الفضاء الخارجي يومًا ما، وعن الحدود المفتوحة أمام كلٍّ منَّا التي تفوق تصوُّراتنا؛ ويُخبرني هو أنَّ التعليق المؤقَّت للحياة مُؤشِّر قويٌّ على أنَّ المخزون الشخصي من تأمُّل بواطن الذات والإبداع قد نَضَبَ، وأنه لا نصرَ حقيقيًّا دُون نِضال.

كانت مُنازَلةً جيدة من تلك المُنازَلات التي كان يُمكن أن نخوضها آلاف المرات دون الوصول إلى حل. حاولتُ أن أجعله يُقرُّ بأن نقاط الووفي قد استعادت الجوهر الحقيقي للمال. قديمًا، لم تكن لتَموتَ جُوعًا في حال كُنتَ مُفلسًا ولكنك تحظى بالاحترام بين جموع الناس، وعلى العكس، لو كنتَ غنيًّا ومكروهًا، لم يكن للمال، مَهما كان ضخمًا، أن يشتري لك الأمان وراحة البال. وبقِياس القِيمة الفعلية التي كان يُمثِّلها المال في ذلك الوقت — أي رأس مالك من الأصدقاء والجيران — كان يُمكنك قِياس نجاحك بدقَّةٍ أكبر.

وبعد ذلك استدْرَجني بدَوره، بدَهاء وحذَر، نحو الاعتراف بأنه في حين قد يُمكن بالفعل أن نُصادِف يومًا ما كائناتٍ فضائيةً بطرُق غريبة لا تُصدَّق، إلَّا أنَّ العالَم، في الوقت الحاضر، يَسُوده تجانُسٌ مُحبِط بعض الشيء.

في يومٍ ربيعيٍّ جميل كنتُ أُناقِش رسالتي أمام اثنين من البشر الحاضرين بهيئتِهما الجسَدية وأُستاذ جامعي كان حاضرًا بوعيِهِ فقط من خلال مكبِّر صوتٍ مُوصَّل بالكمبيوتر الذي يَستلقي فيه جسدُه الذي كان يخضَع لفحصٍ دقيق، وأبدَوا جميعًا إعجابَهم بها. حصلتُ على شهادتي، ثم خرجتُ أبحث عن دان في الشوارع التي تفوح برائحة الزُّهور.

لقد ذهب، أخبرَني أحدُ الطلَّاب الدارسين للأنثروبولوجيا الذي كان دان يُعذِّبه بقِصَصِه عن الحرب، بأنهم قد انتهَوا هذا الصباح وأنه اتَّجَه بعد ذلك إلى مدينة تيخوانا المُسوَّرة ليُحاوِل إقناع أحفاد أفراد إحدى فصائل مُشاة البحرية الأمريكية، الذين استقرُّوا هناك وعزلوا أنفسهم عن مجتمع الروعة، بالانضِمام إليه.

لذا ذهبتُ إلى عالَم ديزني.

احترامًا لـ «دان» قضيتُ الرحلة في الزَّمن الفعلي، في الحُجرة الصغيرة المُخصَّصة لمن يرفُض منَّا بإصرارٍ أن يُجَمَّد ويُكَدَّس كالحطب طوال ساعَتَين هما زمن الرحلة. كنتُ الشخصَ الوحيد الذي يقضي الوقتَ الفعليَّ للرحلة وهو في كامل وَعيِه، ولكن إحدى المُضيفات قدَّمَت لي، حسب مُقتضَيات عملها، كُوبًا، بحجم أكواب عَيِّنات البول، من عصير البرتقال وقُرصًا مطاطيًّا ذا رائحةٍ قوية من عِجَّة البيض بالجبنة. وبينما كان الطيَّار الآلي يَنعطِفُ بالطائرة تفادِيًا لأحد المَطبَّات الهوائية حدَّقتُ عبر النافذة بالسُّحب اللامتناهية، وتساءلتُ متى سأقابل دان مرةً أخرى.

الفصل الأول

كان عُمُر حبيبتي يُعادِل ١٥ بالمائة من عُمري، وكنتُ تقليديًّا بما يكفي بحيثُ يُؤرِّقني ذلك. كانت تُدعى ليل، وكانت من الجيل الثاني من عالَم ديزني، أمَّا أبَواها، فكانا ضِمن أعضاء اللجنة الذين استولَوا على إدارة ساحة الحُريَّة وجزيرة توم سويَرْ. لقد نشأتْ بالكامل، وبدون مُبالغة، في عالم والت ديزني، وهو ما كان جليًّا.

كان ذلك واضحًا، وانعكس في الأناقة التي كانَت تُميِّزُ كلَّ كبيرةٍ وصغيرة تتعلق بها، بدءًا من شعرها الأحمر اللامِع حتى حِسابها الدقيق لكلِّ جزءٍ وكلِّ تِرسٍ صغير في الدُّمية الآلية التي كانت مسئولةً عنها. كان أبَواها قابِعَين في أوانٍ كانوبيَّة بمدينة كيسيمي، حيث اختارا تعليق حياتهما مؤقَّتًا لبضعة قرون.

في يومٍ من أيام الأربعاء المُلبَّدة بالغيوم، كنَّا نجلس وأقدامنا مُتدلِّية فوق حافَةِ رصيف الميناء الذي يرسو عليه مركب ليبرتي بيل النهري نتأمَّل العَلَم الكونفدرالي الساكن فوق حِصن لانجورن على جزيرة توم سويَرْ في ضوء القمر. أغلقَتِ المملكة السِّحرية أبوابها بعدما سِيقَ كلُّ الزائرين خارِجَ البوابة الواقعة أسفل محطة قطار الشارع الرئيس، وأخيرًا استطعْنا أن نَزفِر زفرةَ ارتياحٍ عميقةً وخلَعْنا أجزاءً من ثِيابنا، وبينما كانت حَشرات الزيز تُصدِر أزيزًا كالغِناء استرخَيْنا معًا.

كان عمري يتجاوَز قرنًا من الزمان، ولكن لم أزلْ أجد نوعًا من السحر في وَضع ذراعيَّ حول كتِفَين دافئتَين وجميلتَين لفتاةٍ في ضوء القمر، مُتواريَين بعيدًا عن جَلَبة فِرَق التنظيف عند أبواب الدخول الدَّوَّارة، ونَستنشِق الهواء الدافئ الرطب. ألقتْ ليل برأسِها على كتِفي وقَبَّلتْني قبلةً حانِية على ذَقني.

دندنتُ برقَّة: «كان اسمُها ماكجيل.»

فأكمَلَت الأغنية قائلة: «ولكنها كانت تُسمِّي نفسها ليل.» ولامَسَ نفَسُها الدافئ ترقُوَتي.

تابَعتُ الغناء: «وكان يعرفُها الجميع باسم نانسي.»

اندهشتُ لمعرفتها بأغاني البيتلز؛ فقد كانت موضةً قديمةً في شبابي على أيَّةِ حال، ولكنَّ والديها عَمِلا على تَثقيفها ثقافةً شاملة، وإن كانت انتقائيةً في الوقت ذاته.

سألتْني قائلة: «ما رأيُك لو تَجوَّلنا قليلًا؟» فقد كان من مهامِّها المُفضَّلة، بعد انصِراف حُشود السيَّاح، استِكشاف كلِّ بُوصةٍ من الألعاب التي كانت مسئولة عنها تحت الأضواء. كان كلانا يُحبُّ رؤية ركائز السحر في المكان من حَولنا، وربما كان هذا هو سبب مُحاولتي لاستمرار عَلاقتنا.

أجبتُ قائلًا: «أنا مُتعبٌ قليلًا. نجلس هنا قليلًا، إذا كنتِ لا تُمانعين.»

أطلقتْ زفرةً دراماتيكية قائلة: «أوه، حسنًا أيُّها العجوز.» ومدَّت أصابِعَها وقَرصَتْني برفقٍ في صدري فانتفضتُ بشكلٍ ملحوظ قليلًا مُستمتعًا. أعتقد أن فارق السنِّ بيننا كان يُزعِجها أيضًا، على الرغم من أنها كانت تُحاوِل إغاظتي لسماحي بهذه الفكرة بالسيطرة علي.

حدثتها قائلًا: «أعتقد أنني سأتمكن من المشي مُترنِّحًا حتى القصر المسكون، فقط إذا أعطيتِني دقيقةً لأُريح رُكبتيَّ المُلتهبتَين.» شعرتُ بابتسامتها في صدري؛ فقد كانت تُحبُّ هذا القصر، وتحبُّ تشغيل أشباح قاعة الرقص وتُصاحِبهم في رقصة الفالس التي يُؤدُّونها على الأرضية المُترِبة، كما كانت تُحبُّ التَّحديق في التماثيل الرُّخامية الموجودة بالمكتبة التي كانت تُتابِعك بدَورها كلما مررْتَ بالمكان.

كنتُ أحبُّ ذلك أيضًا، ولكن ما كنتُ أحبُّه حقًّا هو الجلوس معها هناك ومُشاهَدة المياه والأشجار. وبينما كنتُ أستعدُّ للرحيل، سمعتُ صوت أزيزٍ رقيق في قَوقعة أذُني. قلتُ: «تبًّا! لديَّ مُكالمة.»

ردَّت قائلة: «أخبِرهم أنك مشغول.»

قلت: «سأفعل.» وأجبتُ على المكالمة لا صوتيًّا: «جوليوس يتحدَّث!»

«مرحبًا جوليوس، أنا دان، هل يُمكنني التحدُّث معك دقيقة؟»

كنتُ أعرف آلاف الأشخاص باسم دان، إلَّا أنني تعرَّفتُ على صوته فورًا على الرغم من مرور عشر سنوات منذ مُقابلتنا الأخيرة التي شرِبنا فيها حتى الثَّمالة في حانة جازو.

أغلقتُ خاصية التحدُّث دون صوتٍ وحدَّثتُ ليل قائلًا: «لا بُدَّ أن أُجيب على هذا الاتِّصال يا ليل. هل تُمانعين؟»

تهكمَتْ عليَّ قائلة: «أوه، بالطبع لا أُمانع على الإطلاق.» ثم اعتدلَت في جِلستها وسحبَت غليون الكوكايين الصُّلب وأشعلَتْه.

أعدتُ تشغيل خاصيَّة التحدُّث اللاصوتي مُجدَّدًا: «دان! لم نتحدَّث منذ زمنٍ بعيد.»

أجاب قائلًا: «نعم يا صديقي هذا صحيح بكلِّ تأكيد.» ثم اختنَقَ صوته بالدُّموع.

التفتُّ إلى ليل ونظرتُ لها نظرةً مُوحية، فأنزلَتْ غليونها وسألتْني برقَّةٍ ولكن بسرعة: «كيف يُمكنني مُساعدتك؟» فأشرتُ لها أن تبتعِد، ثُمَّ شغَّلتُ الهاتف على وضع التحدُّث بصوتٍ عال. بدا صوتي عاليًا على نحوٍ غير طبيعي وسط الصمت المُطبِق المُحيط بي.

تساءلتُ: «أين أنت يا دان؟»

أجاب: «أنا هنا، في أورلاندو، عالقٌ في جزيرة المُتعة بديزني.»

«حسنًا، قابِلْني في، آه، في «نادي المُغامرين» بالطابق العُلوي عند الأريكة بجانب الباب. سأكون هناك بعد ...» ثم ألقيتُ نظرةً خاطِفة على ليل، التي كانت أكثرَ دِرايةً منِّي بالطُّرُق المُخصَّصة لطاقم العمل، فأشارَتْ إليَّ بعَشْر أصابع: «بعد عشرِ دقائق.»

أجاب دان وقد عاد صوته طبيعيًّا مرَّةً أخرى: «حسنًا، أنا آسف.» وأغلقتُ الهاتف.

سألتْني ليل: «ما الأمر؟»

«لا أعلم، أحدُ أصدقائي القُدامى موجود في المدينة، ويبدو من صوته أنَّ لدَيهِ مُشكلةً ما.»

وَجَّهَت ليل إصبعًا من أصابعها نَحْوي كمُسدَّس ثم أومأتْ بيدها وكأنها تضغط على زناد قائلة: «لقد وضعتُ لك أفضل مسارٍ إلى جزيرة المُتعة على دليلك العام. أعلِمْني بالمُستجدَّات. اتَّفقنا؟»

انطلقتُ تجاه مَدخل نَفَق المرافق الذي يقَع بالقُرب من قاعة الرؤساء وهبطتُ الدَّرَج نحو طنين نظام الأنفاق الواقِع تحت الأرض، ثُمَّ اتَّخذتُ الرصيف المُؤدِّي إلى ساحة وُقوف السيارات المُخصَّصة لطاقم العمل وانطلقتُ بِعربَتي الصغيرة نحوَ جزيرة المُتعة.

وجدتُ دان جالسًا على أريكةٍ على شكل حرف L أسفل صفوفٍ من صُور كئوسٍ تذكارية مُقلَّدة مُلحَق بها تعليقات مُضحكة. وبالطابق الأسفل كان أفراد طاقم العمل يُشغِّلون الأقنِعة الآلية والشخصيات المحبوبة المُتحرِّكة ويتحدَّثون مع الزائرين.

كان دان يبدو في الخمسينيَّات من العمر، له كرش صغير ولِحيةٌ خفيفة، وانتفاخات غامِقة أسفل عينَيه جَعلتْه يبدو كحيوان الراكون، وكان يمشي مُتثاقِلًا. بينما كنتُ أقترِبُ منه، استعرضتُ رصيده من الووفي وفُوجئتُ حين رأيتُ أنه قد ناهَزَ الصِّفرَ تقريبًا.

بينما كنتُ أهمُّ بالجلوس إلى جانبه قلت: «يا إلهي! تبدو في حالةٍ مُزرية يا دان!»

أومأ برأسه موافقًا وقال: «قد تكون المظاهر خدَّاعة، ولكنها حقيقية تمامًا في هذه الحالة.»

سألتُه: «أتودُّ الحديث عن الأمر؟»

«هل يُمكننا الذَّهاب إلى مكانٍ آخر؟ إنَّني أسمعهم يحتفلون بقُدوم العام الجديد كلَّ ليلةٍ عند مُنتصَف الليل، لا أعتقِد أنني أقوى على تحمُّل هذا الآن.»

قُدتُه إلى عَربتي وانطلقْنا عائدَيْن إلى المكان الذي كنتُ فيه مع ليل في كيسيمي. أشعلَ دان ثماني سجائر على مدار رِحلتنا التي استغرقَت عشرين دقيقة، مُشعلًا إياها الواحدة تلوَ الأخرى حتى امتلأتْ سيارتي الصغيرة بسُحُب الدُّخان الحارِقة. ظللتُ أراقِبه في مرآة السيارة الخلفية؛ كان مُغلِقًا عينيه ويرقُد في سكونٍ تامٍّ حتى بدا كالأموات. لم أكن أصدِّق أن هذا هو صديقي بطل الحركة الذي كان يُشعُّ نشاطًا وحيوية في الأيام الخوالي.

اتصلتُ بـ «ليل» خِلسةً وحدَّثتُها لا صوتيًّا قائلًا: «سأحضِرُه إلى المنزل، إنه في حالةٍ سيئة. لا أعلَم يقينًا ماذا حدَث بالضبط.»

أجابَت: «سأجهِّز الأريكة وأُعدُّ بعضًا من القهوة لنَشربها معًا. أُحبُّك.»

«وأنا أيضًا أُحبُّكِ يا صغيرتي.»

حينما اقترَبْنا من البيتِ الريفيِّ الصغير المائل إلى الخلف، فتح دان عينَيه قائلًا: «أنت صديق بحقٍّ يا جولز.» رفعتُ يدي في إشارةٍ إلى أنني لم أفعل شيئًا، ولكنه أردف قائلًا: «لا، هذا حقيقي. فكرتُ فيمن يُمكنني الاتِّصال به وكنتَ الوحيد الذي خطر ببالي. لقد افتقدتُك يا صديقي.»

«أخبرتْني ليل بأنها ستُحضِّر بعض القهوة؛ تبدو في حاجةٍ إليها.»

كانت ليل تنتظرنا على الأريكة، وقد وضعَت فوق الطاولة الجانبية بطانيَّة مَطويَّة ووسادة إضافية وإلى جانبهما إبريقًا من القهوة وبعض الأكواب من عالَم ديزني بكين.

وقفتْ ومدَّت يدَها لتُصافِح دان: «أنا ليل.»

«أنا دان، سعيد للقائك.»

كنتُ أعلم أنها تستعرِض رصيده من الووفي، وضبطتُها وقد ارتسمَتْ على وجهها نظرةُ استِنكار مَشوبٍ بالدَّهشة لما وجدتْه. إنَّ أمثالَنا من كِبار السن، ممَّن عاشوا قبل اختِراع الووفي، يُدركون أهميَّتها، ولكنَّها بالنِّسبة للجيل الجديد تُمثِّل العالَم وما فيه، ومن ثم يُصبح أيُّ شخصٍ بلا رصيدٍ من الووفي مَحلَّ شكٍّ تلقائيًّا. راقبتُها وهي تُعدِّل وَجهها بسرعةٍ وتبتسِم وتفرُك يدَها خلسةً على سروالها الجينز ثم قالت: «هل ترغبُ في بعض القهوة؟»

ردَّ دان: «أوه، نعم.» ثم خَرَّ جالسًا على الأريكة.

صبَّت له كوبًا ووضعَتْه على واحدةٍ من قواعد الأكواب الموجودة على طاولة القهوة وقالت: «حسنًا يا شباب، سأترككما لتتحدَّثا معًا.» ثم ذهبتْ إلى غُرفة النوم.

قال دان: «لا، انتظري. إذا كُنتِ لا تُمانِعين. أعتقدُ أنَّ التحدُّث مع شخص ... أصغر قد يُفيد.»

رسمَتْ على وجهها ذلك التعبير المَرِح الدالَّ على الاستعداد للمساعدة، ذلك التعبير الذي كان دومًا في مُتناول أفراد الجيل الثاني من طاقم العمل، ثم جلستْ واستقرَّتْ على مقعدٍ ذي ذراعين. سحبَتْ غليونها وأشعلَتْ قطعةً صغيرة من الكوكايين الصُّلب. لقد مررتُ بمرحلة تعاطي الكوكايين قبل أن تُولَد ليل، بعدَ أن جعلوه مَنزوعَ الكافَيين مُباشرة، وكنتُ دائمًا ما أشعرُ أنَّني كبير حينما أراها وأصدقاءها يُشعِلون الغليون. ودُهِشتُ حينما مدَّ إليها دان إحدى يديه وأخذ الغليون، ثم سحب نفسًا عميقًا من الدُّخان ثمَّ أعاده إليها مرةً أخرى.

أغلق دان عينَيه مرةً أخرى، ثم فركهما بيدَيه واحتسى قهوته. كان واضحًا أنه يُحاوِل تحديد من أين يبدأ.

قال: «كنتُ أظنُّ أنني أشجَعُ مما أنا عليه، هذا هو سببُ ما أنا فيه.»

فأجبتُه قائلًا: «ومن منَّا لا يفعل؟»

«كنتُ أعتقِد حقًّا أنني سأتمكن من فعل ذلك. كنتُ أعلَم أنَّني يومًا ما لن أجِدَ شيئًا لأفعلَه أو أراه. كنتُ أعلمُ أنَّني سأنتهي من كلِّ شيءٍ في يومٍ من الأيام. أظنُّك تذكر كم كنَّا نتجادَل بشأن ذلك؟ أقسمْتُ أنَّني سأكتفي، وأنَّ ذلك سيكون نهايةَ كلِّ شيء، وقد حدَث؛ فلا يُوجَد أيُّ مكانٍ في العالم الآن إلَّا وهو جزءٌ من مجتمع الروعة، ولم يتبقَّ لي أيُّ شيءٍ أرغبُ في المُشاركة فيه.»

«إذن فلتُعلِّق حياتك مؤقَّتًا لبضعة قُرون. أَرجئ هذا القرار.»

صرخ بِصوتٍ أفزَعَ كِلَينا قائلًا: «لا! لقد اكتفيت، لقد انتهى كلُّ شيء.»

قالت ليل: «إذًا فلتفعل.»

«لا أستطيع.» وأخذَ ينتحِبُ ودفن وجههُ بين كفَّيه وظلَّ يبكي كالأطفال مُطلِقًا شهقاتٍ عاليةً رجَّتْ جسدَه بأكمله. ذهبتْ ليل إلى المطبخ وأحضرتْ منديلًا ورقيًّا وناولتْني إياه. جلستُ بجانبه وربتُّ بارتباكٍ على ظهره مُواسِيًا.

قال ولا يزال وجهه دَفينًا بين كفَّيه: «يا إلهي! يا إلهي!»

قلتُ بهدوء: «دان؟»

فاعتدَلَ في جِلسته وأخذ المنديل ومسحَ وجهه ويدَيه ثمَّ قال: «شكرًا. لقد حاولتُ التخلِّي عن الفكرة، حاولتُ فعلًا. لقد قضيتُ السَّنوات الثماني الماضية في إسطنبول أكتُب مقالاتٍ عن المهامِّ التي قمتُ بها، وعن المجتمعات التي قابلتُها، وأجريتُ بعض دراسات المُتابعة والمُقابَلات. لم يُثِرْ أيٌّ من ذلك اهتمامَ أيِّ شخص، ولا حتى أنا. أفرطتُ في تدخين الحشيش، ولكنه لم يُساعِدني. لذا استيقظتُ في صباح أحد الأيام وذهبتُ إلى البازار وودَّعتُ الأصدقاء الذين تعرَّفتُ إليهم هناك، ثُمَّ ذهبتُ إلى إحدى الصيدليات وجعلتُ الرجل يُحَضِّرُ لي حُقنةً مُميتة وتمنَّى لي حظًّا طيِّبًا ثُمَّ عدتُ إلى مَسكني. جلستُ هناك طَوال فترة الظهيرة مع الحُقنة ثمَّ قررتُ أن أؤجِّلَ القرار حتى اليوم التالي، وعندما استيقظتُ في الصباح، أعدتُ الكرَّة من جديد. نظرتُ في أعماقي ووجدتُ أنني لا أمتلك الشجاعة لفعل ذلك. لم أكن أمتلكُ الشجاعة الكافية. لقد حدَّقتُ في فُوَّهات مئات المُسدَّسات، ووضعت آلاف النِّصال على حلْقي ضاغِطةً عليه بقوَّة، ولكنني لم أمتلِك الشجاعة الكافية للتنفيذ.»

قالت ليل: «لقد تأخَّرتَ كثيرًا.»

التفتَ كِلانا ناظِرَين إليها.

«لقد تأخرتَ عقدًا كاملًا، انظُر إلى نفسك. إنك مُثير للشَّفَقة. إن قتلتَ نفسك الآن، فلن تكون إلَّا فاشلًا مُتعَبًا لم يتمكن من التكيُّف مع الحياة من حوله. لو كنتَ فَعلتَها منذ عشر سنوات مَضَت، لَكنتَ سترحَلُ وأنت في القمَّة؛ بطلًا قرَّرَ التقاعُد للأبَد.» ثُمَّ وضعَتْ كُوبها على الطاولة بقوَّةٍ مُصدِرًا صوتَ طقطقةٍ أعلى من اللَّازم.

أحيانًا أكون أنا وليل على نفس المَوجة، وأحيانًا أخرى تكون كما لو أنها تعيش على كوكبٍ آخر. كلُّ ما أمكنَنِي فِعله هو الجُلوس هناك مُرتعِبًا وهي تُناقِش توقيتَ انتِحار صديقي بكلِّ سعادة.

ولكنها كانت مُحقَّة؛ أومأ دان برأسِه بقوَّةٍ وبدا لي أنه كان يعلَمُ ذلك أيضًا.

تنهَّد قائلًا: «لقد فات الأوان.»

ردَّتْ ليل قائلة: «حسنًا، ماذا تنتظِر؟ أنت تعلَم ما يجِب عليك فِعله.»

أثارت لهجتُها غضَبي لا إراديًّا: «ماذا؟»

نظرَت إليَّ وكأنَّني أتعمَّد التصرُّف بغباء: «لا بُدَّ أن يستعيد مكانته في القِمَّة. يجِب أن يُهندِم نفسه، ويُقلِع عن الشراب، وينخرِط في عملٍ مُثمر، ويسترجِع رصيدَه من الووفي أيضًا. عندها يُمكنه أن يقتُل نفسَه بكرامة.»

كان أغبى شيءٍ سمعتُه في حياتي، إلَّا أن دان كان ينظُر إليها رافعًا حاجِبَيه، ويفكر بِعُمقٍ فيما قالته، ثم سألها قائلًا: «ذكريني كم عُمرك؟»

«ثلاثة وعشرون عامًا.»

«أتمنَّى لو كنتُ في ذكائك حينما كنتُ في السن نفسها.» وأطلَق تنهيدةً ثمَّ اعتدَل في جِلسته قائلًا: «هل يُمكنني البقاء هنا في هذه الأثناء حتى أُنجِز المُهمَّة؟»

نظرتُ بريبٍ إلى ليل، التي فكرت لوهلَة، ثمَّ أومأت مُوافقةً. قلت له: «بالطبع يا صديقي، بالطبع.» ثم ربتُّ على كتِفه قائلًا: «تبدو مُنهَكًا.»

قال دان: «هذا أقلُّ ممَّا أشعرُ به بكثير.»

قلت: «إذن تُصبِح على خَير.»

الفصل الثاني

كانت لجنة الإدارة تعمل على نحوٍ جيِّدٍ عامَّة. تَولَّى والِدا ليل إدارةَ ساحة الحرية مع مجموعةٍ من الأشخاص المُهتمِّين بالموضوع والمُتوافِقين معهما. فأبلَوا بلاءً حسنًا وحَصدوا حصيلةً كبيرة من نِقاط الووفي، وأيًّا من كان الذي يُحاوِل الالتِفاف للاستيلاء عليها، كان يُقابَل بالاحتِقار الشديد من الزوَّار، حتى إنه لم يكن ليَجِدَ وعاءً صغيرًا ليقضيَ حاجَته فيه، أو يلجئون إلى أسلوبٍ شرير ويُحاولون الإطاحة بوالِدَي ليل وأقرانهما، ويَقومون بعملٍ أفضل منهم.

غير أن نظامهم قد ينهار؛ فقد كان ثَمَّةَ من يُطالبون بالعرش، وهم مجموعة ممن عمِلوا مع اللجنة الأصلية ثم انصرف كلٌّ منهم عنها وانشغلوا بأعمالٍ أخرى؛ فمنهم من انصرَف إلى الدراسة، ومنهم من صنع أفلامًا، ومن أَلَّف كُتبًا، ومن سافر إلى مدينة ديزني لاند في بكِّين للمساعدة في النهوض بها، والبعض الآخر اختار التعليق المؤقَّت للحياة لبِضعة عقود.

ولكنهم عادوا إلى ساحة الحرية رافِعين شعار: حَدِّثوا مزارات المُتنزَّه. كان أعضاء اللجنة الذين يُديرون ساحة الحرية من أشدِّ المُحافظين في المملكة السحرية؛ إذ كانوا مُتمسِّكين بتكنولوجيا صارت محدودةً أمام مُتنزَّهٍ يتغيَّر على نحوٍ يومي تقريبًا. كان الأعضاء القُدامى العائدون حديثًا في صفِّ باقي الأعضاء القائمين على إدارة المُتنزَّه وحصلوا على تأييدهم، وبدا أنهم قد يُحقِّقون نجاحًا في مسعاهم.

لذا كان يقَع على عاتق ليل التأكد من خُلوِّ مزارات ساحة الحرية البائسة من الأعطال: قاعة الرؤساء، ومركب ليبرتي بيل النهري، والقصر المسكون المَهيب، الذي يُعتبَر من أروع المعالم التي تفتَّقَت عنها أذهان قُدامى ديزني في التخيُّل الابتكاري.

وجَدتُ ليل خلف المسرح في قاعة الرؤساء، تُحاوِل إصلاح الدُّمية الاحتياطية «لنكولن الثاني»، كانت ليل تُحاوِل أن تجعل نُسختَين من كلِّ دُمية مُتحرِّكة على نفس القدْر من الكفاءة تحسُّبًا لأي طارئ. فكان يمكنها أن تستبدِل بأي روبوت مُعطَّل نُسخة احتياطية خلال خمس دقائق فقط، وهي أقصى مدة تسمح بها إدارة تنظيم الحشود.

مرَّ أسبوعان منذ قدوم دان، وعلى الرغم من أنني كنتُ بالكاد أراه خلال هذه المدَّة، فوجوده كان جليًّا في حياتنا. فقد تعبَّأ منزلنا الريفي الصغير برائحةٍ جديدة، جميلة، رائحة التجدُّد والأمل والخسارة؛ رائحة لا تكاد تُلحَظ وسطَ روائح الزهور الاستوائية التي تطلُّ برأسها أمام شُرفتنا. كان هاتفي يرنُّ ثلاث أو أربع مراتٍ في اليوم؛ إذ كان دان يُسجِّل دخوله بالأماكن المُختلفة أثناء جولاته داخل المُتنزَّه، سَعيًا لإيجاد طريقةٍ ما لتجميع رأس مال شخصي. كان حماسه للمُهمَّة وتَفانِيه فيها مَصدرَ إلهام، وهو ما جذَبَني إلى اتِّباع فلسفته الوجودية التي مَفادها: «سأحقِّق ما أنشُدُه وليذهب الفشل إلى الجحيم.»

قالت ليل وهي تعمل دافِنةً رأسها في صدر دُمية لنكولن الآلية مُمسِكةً بعدسةٍ مكبِّرة وأداة لحامٍ ذاتي: «فَاتتْكَ مُقابلة دان لتوِّك.» كانت مُنحنية، وشعرها الأحمر مربوطًا إلى الخلف على شكل كعكةٍ أنيقة، وقد التمَعَت ذراعها النحيلة ذات النَّمَش بقطرات العرَق، ويفوح منها رائحة العرَق الأنثوي ممزوجًا برائحة شحم الآلات؛ حتى جعلتني أتمنَّى لو أنه كانت توجَد مرتبة في مكانٍ ما خلف المسرح، ولكنَّني اكتفيتُ بالرَّبتِ على ظهرها بحنان، وهو ما قابلتْهُ بالتملُّص منِّي بامتنانٍ قائلة: «يبدو في حالٍ أفضل.»

أسهَمَ الشعور بالتجدُّد في عَودة دان إلى سابق عهده، وبدا كما لو كان في الخامسة والعشرين، تمامًا كما أتذكره. كان نَحيلًا يرتدي ملابس جلدية، إلَّا أنه كان لا تزال لدَيه هذه الانحناءة المهزومة التي روَّعَتْني حينما رأيتُه في نادي المُغامرين.

سألتُ ليل: «ماذا كان يريد؟»

«كان يتسكع مع دِبرا. كان يريدُ التأكد من أنَّني أعرِفُ ما تفعله هذه الأيام.»

كانت دِبرا واحدة من الحرس القديم ورفيقةً سابقة لوالدَيْ ليل، قضتْ عقدًا من الزَّمن في عالم ديزني ببكين تكتُبُ الرموز التشفيرية للألعاب. لو تُركت دِبرا تعمل حسب هواها، لهدَمْنا كلَّ تُحفةٍ مُبهِرة من آلات روب جولدبيرج المُعقَّدة الموجودة في المكان واستبدلْنَا بها صناديق مُحاكاة بيضاء شاهِقة موضوعة على ماكينات مُساعدة عملاقة مُزوَّدة بمفاصل.

كانت «بارعة حقًّا» في كتابة رموز تشفير المُحاكاة، وكانت تلك هي المشكلة. فقد كان مَزار مُحاكاة الأفلام الذي أعادت دِبرا تجديدها باستوديوهات مترو جولدن ماير مُبهرًا،

وكانت سلسلة أفلام «حرب النجوم» مصدر إلهامٍ للمئات من المواقع الإلكترونية التي يُنشئها المُعجَبون المهووسون بهذه الأفلام والتي تُسَجِّلُ ملايين الزيارات.

واستثمرَتْ نجاحها في صفقةٍ عقدتْها مع أعضاء اللجنة المسئولة عن أرض المُغامرات لتجديد لُعبة مُحاكاة فيلم قراصنة الكاريبي، ومن ثَمَّ تكدَّسَت كواليس المسرح بالمُتعلِّقات ذات الصِّلة، من صناديق الكنوز، وسيوف القراصنة المُقوَّسة، وأعمدة مُقدِّمة السفن. كان التجوُّل وسط كل هذه الأشياء مُرعبًا. كانت لعبة القراصنة هي آخر لعبة أشرَفَ عليها والت ديزني بنفسه، وكنا نعتقد أنها مُقدَّسة. ولكن دِبرا بَنَتْ لعبة قراصنة في بكين، استنادًا إلى شخصية ملكة القراصنة الصينية «تشنج إل ساو» التي تعود إلى القرن التاسع عشر، ويعود الفضل إلى اللعبة في إنقاذ الحديقة من الخراب وانحِسار الشُّهرة. أما بالنسبة إلى النُّسخة المُكرَّرة التي ستُقام في فلوريدا، فسوف تضمُّ أفضل جوانب مَثيلتها الصينية — فتضمُّ الألعاب المُوجَّهَة بالذكاء الاصطناعي التي تتواصَل إحداها مع الأخرى ومع الزائرين أيضًا، وتُحَيِّي كلًّا منهم باسمه في كلِّ مرةٍ يَستقلُّونها فيها، وتنسج حكايات مُوائِمة للعصر عن القرصنة في أعالي البحار، وتضمُّ كذلك المُحاكاة الافتراضية للطيران عبر المَقبرة المائية التي تضمُّ العديد من السفن القديمة المُتحلِّلة القابِعة في أعماق البحار، والاهتزازات والانعِراجات المُثيرة عند تفادي عاصفةٍ عنيفة تَحبِس الأنفاس — ولكن بأفكارٍ غربية: نَسَمات تحمِل رائحةً خفيفة لصلصةِ الفلفل الجامايكي، ولهجات أفريقية كاريبية سَلِسة، ومُبارزات بالسيوف على طريقة القراصنة الذين طوَوا المياه الزرقاء للعالم الجديد. تتكدَّس ألعاب المُحاكاة المُتطابِقة كالحطب في المساحة الفارغة التي تَشغَلُها حاليًّا أجهزة الركوب الضخمة المُخصَّصة للألعاب ومُجسَّمات الديوراما التي تُضاعِفُ سَعة الاستيعاب خمسَ مرَّات، وتُخفِّضُ وقت التحميل إلى النصف.

«إذن ما الذي تفعلُه هذه الأيام؟»

أخرجَتْ ليل نفسها من قلبِ قاطِعِ القُضبان الميكانيكية وارتسمَت على وجهها تقطيبةُ قَلَقٍ كوميدية قائلة: «إنها تُعيد تجديد القراصنة، وهي تقوم بعملٍ عظيم في ذلك. إنهم يَسبقون الموعد المُحدَّد، وأحرزوا حصيلةً جيدة من النقاط، والمجموعات البحثية تتفوَّق على نفسها.» ثم خفَتَت الكوميديا من التعبير المُرتَسِم على وجهها كاشِفةً عن قلقٍ حقيقي.

استدارت وأغلقَت دُمية إبراهام لنكولن، ثم وَجَّهت إصبعها نحوَه. وبسلاسةٍ بدأتْ في مُراجعة التسجيل الصوتي المُصاحِب له سريعًا في صمت، اللهم إلَّا الهمهمات الناعِمة والأنين الخافِت للماكينات المُساعدة. تظاهرَت ليل بأنها تعبَثُ بأحد المَقابِض، فانطلَق

تسجيلُه الصوتي بصوتٍ مُنخفِض قائلًا: «إن اجْتمعَت جُيوش أوروبا وآسيا وأفريقيا جميعها للهجوم على بلو ريدج بالقوة، فلن يَتمكنوا من ذلك، ولن يقدِروا على ارتِشاف قطرةٍ من مياه نهر أوهايو. إن كان الدَّمار مصيرنا، إذن فليكن بأيدينا نحن، لا بأيديهم؛ لنكن نحن من نَسطُر نهايته.» وتظاهرَتْ بأنها تخفِضُ الصوت، فغَرِقَ في صَمتِهِ مرَّةً أخرى.

قالت: «كما قلتَ يا سيدي الرئيس.» ثم وجَّهت إصبعها نحوَه مرةً أخرى وأغلقتْه، ثم انحنَت وعَدَّلَتْ مِعطفَه العتيق المُحاك يدويًّا ثم ملأتْ ساعة جَيبه بحرصٍ وضبطتْها ووضعتْها في جَيب صُدرته.

طوَّقتُ كتفَيْها بذراعِي قائلًا: «إنك تفعلين كلَّ ما بوُسعك وتُبلين بلاءً حسنًا.» وجدتُ نفسي أنزلِق إلى أسلوب أفراد طاقم العمل معسولي الكلام، مُطلِقًا عبارات تأييد تافِهة تحمل نبرةَ المُداهنة. وعند سماعي لما قلتُه، شعرتُ بدفقةٍ من الإحراج. جذبتُها نحوي وعانقتُها عِناقًا طويلًا وقويًّا، وربتُّ عليها لأزيدَها اطمئنانًا، ولَمَّا لم أجِد كلماتٍ مُعبرة، احتضنتُها بشدَّة مرةً أخيرة ثم تركتُها.

نظرتْ إليَّ بجانب عينَيها وأومأت برأسها قائلة: «سيكون كلُّ شيءٍ على ما يُرام، بالطبع. أعني أنه في أسوأ الحالات ستؤدِّي دِبرا عملَها على نحوٍ فائق، وستجعل الأوضاع أفضل ممَّا هي عليه الآن، وهذا ليس بالأمر السيئ.» كان هذا تَغيُّرًا جِذريًّا في موقفها من المسألة منذ تحدَّثنا آخِر مرة، ولكنَّكَ حينما تعيش أكثر من قرنٍ من الزمان تتعلَّم متى تُعَلِّقُ على هذه التغييرات الحادَّة في المواقِف ومتى تصمُت.

دقَّت طبلةُ أذني في تمام الثانية عشرة ظهرًا وظهرتْ شاشة ذهنيَّة أمامي تحمِل رسالة التذكير الأسبوعية بالنُّسخ الاحتياطية. كانت ليل تُحاوِل إخراج دُمية بنيامين فرانكلين الثاني من مَوضعها، فلوَّحتُ لها مُودِّعًا من وراء ظهرها واتَّجهتُ نحو إحدى مَحطات الإرسال. وبمجرَّد اقترابي بما فيه الكفاية من إحدى نقاط الاتصالات ذات النطاق العريض الآمنة، كنتُ مُستعدًّا لتحميل النُّسخ الاحتياطية. دقَّتْ طبلة أذُني مرةً أخرى، فأجبْت.

أجبتُ لا صوتيًّا وبنفادِ صبر: «نعم.» كنتُ أكره المُقاطعة أثناء عمليَّة تحميل النُّسخة الاحتياطية؛ كان مِن مَخاوفي الدَّفينة أنَّني قد أنسى إتمام عملية النَّسخ الاحتياطي تمامًا، مُعرِّضًا نفسي للخطَر لأسبوعٍ كاملٍ حتى ميعاد رسالة التذكير القادِمة. فمنذ سنوات مُراهَقَتي فقدتُ مَوهبةَ اكتِساب عاداتٍ جديدة، واستسلمتُ تمامًا لعمليَّات التذكير الآلية بدلًا من الاختيار الواعي.

«أنا دان!» سمعتُ الأصوات الآتية من المُتنزَّه من حوله بالتفصيل: صوت ضحِك الأطفال، والأحاديث المُسجَّلة للدُّمى الآلية ذات الصوت النَّقيِّ الواضِح، ووَقْع آلافِ الأقدام على الأرض. «هل يُمكنك مُقابَلتي في غرفة التيكي؟ الأمر مُهمٌّ للغاية.»

تساءلت: «ألَا يُمكن تأجيلُه خمس عشرة دقيقة؟»

«بالطبع، أراك بعد خمس عشرة دقيقة.»

أغلقتُ المكالَمة وبدأتُ بتحميل النُّسخة الاحتياطية. اندَفَع شريط حالةٍ عبر شاشةٍ ذهنيَّةٍ وأُفرِغت الأجزاء الرَّقْمية البحْتة من ذاكِرتي، وبعد الانتهاء، بدأ إفراغ الذاكرة العضوية؛ دارت عيناي في رأسي ووَمَضَ شريط حياتي كاملًا أمام عَيني.

الفصل الثالث

اكتسب مجتمع الرَّوعة خِبرةً كبيرة في اسِترجاع البيانات من النُّسخ الاحتياطية؛ ففي عصر الشفاء من الموت، يعيش الناس بتهوُّرٍ إلى حدٍّ ما. ومن ثَمَّ يُعاد تحديث بعض الناس عشرات المرَّات في العام الواحد.

لا ينطبِق هذا عَلَيَّ؛ فأنا أكرَه هذه العملية، ولكن ليس على النحو الذي يَمنعني من المشاركة فيها. فكلٌّ من كانت لديهم تساؤلات فلسفية وجودية مُهمَّة حول هذا الأمر، كما تعلمون، تُوفُّوا منذ جيلٍ كامل؛ ومن ثَمَّ لم يحتَج مُجتمع الروعة لتغيير مُعتقدات مُنتقِديه؛ كل ما كان يحتاجُه أن يكون أطول عُمرًا منهم فحسْب.

كانت أول مرة أموت فيها بعد مدَّة قصيرة من عيد ميلادي السادس عشر. كنتُ أمارس الغَوص تحت الماء على شاطئ بلايا كورال بالقُرب من فيراديرو بكوبا. لا أتذكَّر الواقِعة بالطبع، ولكن من خلال مَعرفتي بعاداتي في مَوقِع الغطس هذا تحديدًا، وبعد قراءة سِجِلَّات الغطس التي دوَّنَها أصدقائي الغطَّاسون، أعدتُ تشكيل الأحداث لأكوِّن صورةً عمَّا حدَث.

كنتُ أسبحُ عبر كهوف جراد البحر بقِناعٍ وأنبوبة أكسجين كنتُ قد استعرْتُهما، كما استعرْتُ بذلة غطسٍ مُبتلة، ولكنني لم أرتدِها؛ فقد كانت المياه المالِحة ذات الحرارة المُعتدِلة كالبلسم، وكرهتُ أن أضعَ حواجز بينها وبين بشرَتي. كانت الكهوف مُؤلَّفةً من الشُّعَب المُرجانية والصخور وكانت تلتفُّ وتتلوَّى كالأمعاء. وخلال كلِّ حفرةٍ وعند كلِّ ركنٍ كان يُوجَد جسمٌ كرويٌّ أجوفُ قاسٍ ذو جمالٍ عجيب لا مَثيل له. كان جراد البحر العِملاق يتحرَّك بسرعةٍ وخفَّة فوق الجُدران المرجانية وعبر الحُفَر، وكانت أسرابٌ من الأسماك ذات بريقٍ كبريق الجواهر تَثِبُ فجأةً وتُنَفِّذ مُناورةً بِدقَّة تحبِس الأنفاس حينما أقطع

انشغالها بمروري إلى جوارها. إنَّ أفضل أوقات التفكير بالنسبة لي هي ما أقضيها تحت الماء، وغالبًا ما أستغرِق في التفكير الحالِم بشكلٍ خطير وأنا في الأعماق. عادة ما يحرِص رِفاقي الغوَّاصون على ألَّا أُؤذي نفسي، إلَّا أنني انجرفتُ بعيدًا عنهم هذه المرَّة ودخلتُ حفرةً صغيرة.

وعلَقْتُ بداخلها.

كان رفاقي الغوَّاصون خلفي، فطرقتُ بقوَّةٍ على أنبوبي بمِقبض سكيني حتى وضعَ واحدٌ منهم يدَه على كتِفي. لقد أدرَكوا ما كان يحدُث، وحاوَلوا سحْبي إلى الخارج وتخليصي، ولكنَّ أنبوب الأكسجين وصديري التحكم في الطفْوِ كانا مَحشورَين بشدَّة. تبادل رفاقي الآخرون الإشارات اليدوية، في نِقاش صامت لأفضل الخيارات لتحريري. وفجأةً صرتُ أضرِب وأركُل بعُنفٍ ثم اختفَيتُ داخل الكهف، ولكن دون الصديري وأنبوب الأكسجين؛ كنتُ على ما يبدو، أحاوِل قطعَ أحزِمة الصديري ونجحتُ في قطع أنبوب المُنظِّم. وبعدما استنشقتُ دفقةً من مياه البحر، صرتُ حرًّا ورحتُ أضرِب بعنفٍ في الكهف وأتدحرَجُ داخل بُقعةٍ وَحشيَّةٍ من الشُّعَب المُرجانية النارية الطويلة. استنشقتُ دفقةً أخرى من الماء ملء رئتيَّ، وأخذتُ أركُل بجنونٍ مُحاولًا الوصول إلى ثُقبٍ صغير في سقف الكهف، حيث تمكَّن رِفاقي من استعادَتي بعد ذلك بفترةٍ قصيرة، وقد غطَّى اللون الأزرق جسدي بالكامل جرَّاء تعرُّضي للغرَق إلَّا من البُقَع الكبيرة الحمراء من آثار الضربات التي تلقَّيْتُها من الشُّعَب المرجانية اللاسِعة.

في تلك الأيام، كان صُنعُ نُسخة احتياطية أكثرَ تعقيدًا بكثيرٍ ممَّا هو عليه الآن. فقد كانت العملية تَستغرِق يومًا كاملًا تقريبًا، وكان لا بُدَّ من إجرائها في عيادةٍ مُتخصِّصة. ولكن لحُسن الحظِّ كنتُ قد خضعتُ لواحدةٍ قبل بضعةِ أسابيع من سَفَري إلى كوبا مُباشرة، أما نُسخَتي الاحتياطية التالية الأحدَث، فكانت منذ ثلاثِ سنواتٍ بعد انتهائي من سِيمفونيتي الثانية.

استُعِدتُ من نسخةٍ احتياطية ووُضِعتُ داخل مُستنسَخٍ مُكتمِل النموِّ في مستشفى تورونتو العام. على حدِّ عِلمي، فقد استلقَيتُ في عيادة النَّسخ الاحتياطي ثُمَّ استيقظتُ من المَوت في اللحظة التالية، وقضيتُ عامًا تقريبًا أُحاوِلُ التغلُّبَ على الشعور بأنَّ العالَم أجمع يُمازِحني مُزحةً بَشِعة وأنَّ الجُثَّة الغارِقة التي رأيتُها كانت جُثَّتي بالفِعل. في عقلي، كانت

ولادَتي من جديدٍ مَجازيَّة وحَرْفية أيضًا؛ فكان الوقت الذي اختفيتُ فيه كافيًا لأجِدَ نفسي مُرتبكًا وأواجِهَ صعوبةً في الاختِلاط مع أصدقاء ما قبل الموت.

أخبرتُ دان بالقصَّة خلال صداقتنا الأولى، وبادر على الفور بالتعليق على حقيقة ذَهابي إلى عالم ديزني لأمضي هناك أسبوعًا لمُحاولة فَهم ما كنتُ أشعُر به، وإعادة تجديد نفسي، والانتِقال إلى الفضاء والزَّواج من امرأةٍ مجنونة. فقد وَجَد غرابةً شديدة في فِكرة إعادة تحميل نفسي دائمًا في عالَم ديزني، وعندما أخبرتُه أنَّني سأعيش هناك في يومٍ من الأيام، سألَني ما إذا كان ذلك يَعني أنَّني قد انتهيتُ من إعادة تجديد نفسي. أحيانًا، حينما أُمرِّر أصابعي عبر خُصلات شَعْر ليل الحمراء المُجعَّدة الجميلة، أفكر في مُلاحظته تلك وأتنهَّد بارتياح وأتعجَّب كم كان صديقي دان نافِذ البصيرة.

في المرة الثانية التي مِتُّ فيها كانت التكنولوجيا قد تطوَّرَت إلى حدٍّ ما. أصابتْني سكتةٌ دِماغية شديدة في عامي الثالث والسبعين، ووقعتُ على الأرضية الثلجية في مُنتصَف مُباراة هوكي بالدَّوري الداخلي، إلَّا أنه بِحلول الوقت الذي نَجحوا فيه بِقطْع خَوذَتي وإزاحَتِها عن رأسي، كان الورَم الدَّموي قد سَحَقَ دماغي بالفعل وحوَّلها إلى كُتلةٍ لزِجَة من الدَّم الفاسد. رَقدتُ مُهلهَلًا مُتناثِرَ الأجزاء في عملية النَّسخ الاحتياطي، وفقدتُ أحداث سنةٍ تقريبًا، ولكنَّهم أيقظوني بِرفقٍ باستِخدام نُسخةٍ حاسوبية مُختصَرة من الأحداث التي وَقعتْ في هذا الفاصل الزَّمني الضائع، وظلَّ أحد الاستشاريِّين يَتواصَل معي يوميًّا على مَدار عامٍ حتى بدأتُ أشعُر بالارتياح وأعتادُ جسدي مرَّةً أخرى وعُدتُ إلى سابِق عَهدي. وأُعيدَ تَشغيلُ حياتي مرَّةً أخرى ووجدتُ نفسي في عالَم ديزني أقتلِعُ العَلاقات التي كوَّنتُها سابِقًا من جُذورها على نحوٍ مُمنهَجٍ وأسْطُر بدايةً جديدة في مدينة بوسطن، حيث عشتُ في قاع المُحيط أعمَل على حاصِداتِ المَعادِن الثقيلة، وهو المشروع الذي قادَني في نهاية المَطافِ إلى كتابة أُطروحَتي في الكيمياء بجامِعة تورونتو.

بعدما أُردِيتُ قتيلًا في غرفة التيكي، أُتيحَتْ لي الفُرصة لأُثَمِّن الطَّفَرات الكبيرة التي حقَّقتْها عمليَّات استِرجاع البيانات خلال السنوات العشر الماضية. فقد استيقظتُ في سريري، وسُرعان ما أدركتُ الأحداث التي قادَتْ إلى مَوتي الثالث من وِجهات نظَر أطرافٍ ثلاثة مُختلفة: اللقَطات التي صوَّرتْها كاميرات المُراقَبة في أرض المُغامرة، والذِّكريات المُجمَّعة التي استُخرِجَت من نُسخة دان الاحتياطية، ومن مَشهدٍ مُوَلَّد بواسطة الكمبيوتر

لَوتي من زاويةٍ عُلويَّة. استيقظتُ شاعرًا بالهدوء والبَهجة على نحوٍ خارِق للعادة، مُدركًا أنَّ هذا الشعور ناتِج عن وَضْع أجهزة تنشيط مُؤقَّتة للناقِلات العصبية عند استِرجاعي.

جلس دان وليل بِجوار سريري وكانت خُصلات الشَّعْر التي انفكَّتْ من ذيل حِصانها المربوط تُحدِّد وَجهَها المُتعَب الباسِم. أخذتْ يدي وقبَّلَت مفاصِل أصابعي الناعِمة، وابتسم لي دان في حنان، ليَغمُرَني شعور دافئ مُطَمئِنٌ بأنَّني مُحاطٌ بشخصَيْن يُحبَّانِني حقًّا. حاولتُ البحث عن كلِماتٍ تُناسِب المَوقِف، وقرَّرتُ الارتِجال، ففتحتُ فمي، ولِدَهشَتي قلتُ: «لا بُدَّ أن أقضي حاجَتي!»

ابتسمَ دان وليل أحدُهما للآخر. نهضتُ من السرير مُترنِّحًا عاريًا ومشيتُ إلى الحمَّام بخطًى قوية أحدثَتْ صَوتًا عالِيًا. كانت عَضَلاتي مَرِنةً على نحوٍ رائع، وتنبض بطاقةٍ وحركة جديدتَين. بعدما أفرغتُ صندوق الطَّرد، انحنيتُ وأمسكتُ بكاحليَّ وجذبتُ رأسي نحوَ الأرض مُستشعِرًا المُرونة الهائلة لظهري وساقيَّ ورِدفيَّ. اختفتْ إحدى النُّدوب من رُكبتي، كما اختفتِ الْخُطوط المُتقاطعة العديدة التي كانت مَحفورةً في أصابعي. وحينما نظرتُ في المرآة وجدتُ أنَّ أنفيَ وَشحمةَ أذُني قد صارتا أصغر حجمًا وأكثرَ تناسُقًا، وكذا اختفَتِ التَّجاعيد حول عَينيَّ وخطوط العُبوس بين حاجِبي، ونَما لي شَعْر جديدٌ في كلِّ مكان في جسدي: في رأسي ووجْهي وإبِطي وعانَتي وساقي. مرَّرتُ يديَّ فوق جسَدي وضحكتُ ضحكةً مكتومة لهذا الشُّعور المُدغدِغ بالتجدُّد. راوَدَني إغراءٌ عابِر بأن أحلِق شعْر جسدي بأكمله، فقط لأحتفِظ بهذا الشُّعور بالتجدُّد إلى الأبد، ولكنَّ أجهزة التحكم في الناقِلات العصبية كانت في طريقها للتبخُّر، وتسلَّلَ إليَّ شيئًا فشيئًا شعورٌ مُلحٌّ يتعلَّق بجريمة قَتلِي.

ربطتُ مِنشفةً حول خَصري وعُدتُ أدراجي إلى الغرفة مرةً أخرى. كنتُ أشمُّ رائحة مُنظف البلاط والزهور واستعادة النشاط والشباب بقوَّةٍ في أنفي، وكانت رائحةً قوية نفاذة كرائحة الكافور. وقفَ دان وليل حِينما دخلتُ إلى الغرفة وساعَداني لأذهبَ إلى السرير، فقلت: «حسنًا، هذا سيئ!»

كنتُ مُتَّجِهًا مُباشرة من محطة الإرسال عبر أنفاق المرافق؛ هكذا عرضت ثلاث لقطاتٍ سريعة التقطتْها كاميرات المراقبة؛ واحدة في محطة الإرسال، والثانية في الرُّواق، والثالثة عند المخرج في الممرِّ السُّفلي الواقِع بين ساحة الحرية وأرض المُغامرة. كنتُ أبدو مُرتبكًا وحزينًا بعض الشيء حينما وَلَجتُ من الباب، وبدأتُ أشقُّ طريقي عبر الزِّحام بشكلٍ من أشكال الخُطى القصيرة المُراوِغة والسريعة ابتكرتُها أثناء قِيامي بالعمل المَيداني الخاصِّ

برسالتي عن التحكم في الحُشود. شققتُ طريقي سريعًا عبر الحشود المُسارِعة لتناوُلِ الغَداء نحوَ السطح الطويل لغُرفة التيكي المُغطَّى بشرائطَ من الألومنيوم المُتلألئ مُقطَّعةً ومَطلِيَّة لتبدو كأنها حشائش طويلة.

والآن كنتُ أشاهد لقَطات غير واضحةٍ لي، من وجهةِ نظر دان، وأنا أقترِب منه، مارًّا بالقُرب من مجموعةٍ من المُراهِقات لهنَّ مرافِق ورُكَب إضافية ويَرتدِين عباءاتٍ مُكيَّفة بيئيًّا وأوشِحةً مُغطَّاة بشِعارات مركز إبكوت، وكانت إحداهنَّ ترتدي إحدى الخوذات اللُّبِّية التي تُباع في مَتجر «تجار الأدغال» الذي يقَع خارج لُعبة جولة الأدغال. يُشيح دان بنظرِه بعيدًا تِجاه مدخل غرفة التيكي التي كان فيها طابور قصير من المُسنِّين ثُمَّ أدار عينَيه رُجوعًا إلى حيثُ كان ينظُر مرةً أخرى، في حين كانت الفتاة ذات الخوذة اللُّبِّية تسحَب مُسدَّسًا حيويًّا صغيرًا وأنيقًا وكأنه قضيبٌ له ذَيل يلتفُّ حول ذِراعها. ثم رفعَتْ ذِراعها بعفْوِية مُبتسِمة، ولوَّحت بالمُسدَّس، تمامًا كما تُلوِّح ليل بإصبعها عند تحميل البيانات، فاندفع المُسدَّس إلى الأمام. ينظر إليَّ دان مرةً أخرى، ليجِدَني أترنَّح. وبينما تُغرِق أشلاء غُضروفي الشَّوكي وأحشائي الزائرينَ من حَولي، اندفعَت رئتاي من صدري أمامي وتباعدَت إحداهما عن الأخرى كجَناحَين. يَطير جُزء من بطاقة اسمي، التي أصبحت شظايا الآن، وتُصيب جَبهة دان ما يتسبَّب في الطرف بعينَيه، وحينما ينظُر مرة أخرى يجِد الفتَيات المُراهِقات لا يزلْنَ هناك، بينما اختفَتِ الفتاة التي كانت تحمِل المُسدَّس قبل وقتٍ طويل.

أمَّا اللقطات التي التُقِطت من أعلى، فكانت أقلَّ تشويشًا. كان جميع الأشخاص مُظلَّلين باللَّون الرَّمادي، ما عدا أنا ودان والفتاة. كنَّا مُحدَّدين باللَّون الأصفر ونتحرَّك بالتصوير البطيء. وبينما تحرَّكت الفتاة من منزل الشجرة الخاصِّ بعائلة روبنسون السويسرية في اتجاه صديقاتها، ظهرتُ خارجًا من المَمرِّ السُّفلي. يبدأ دان في التحرُّك نحوي، وترفَع الفتاة ذِراعيها وتضغط على المُسدَّس، فتنطلِق الرصاصة الذكية الذَّاتية التوجيه، المُصمَّمة للتعرُّف على كيمياء جسدي، على ارتفاعٍ مُنخفِض بالقُرب من مستوى الأرض، وتشقُّ طريقها بين أقدام الحُشود بسرعةٍ أقلَّ قليلًا من سرعة الصوت. وعندما تصِل إليَّ تخترِق عمودي الفقري صعودًا وتنفجِر بمُجرَّد دخولها تَجويفي الصدري.

أمَّا الفتاة، فكانت قد قطعَتْ بالفِعل مسافةً كبيرة في اتِّجاه العَودة إلى أرض المُغامرة؛ الشارع الرئيس عند بوابة الولايات المُتحدة الأمريكية. تتحرَّك الكاميرا الطائرة بسرعةٍ أكبر لتلحَقَ بها وهي تندَسُّ بين الحشود في الشارع وتتفاداهم وتشقُّ طريقها خلالَهم مُتَّجِهة

نحوَ الممرِّ المؤدِّي إلى قلعة الجمال النائم. تختفي، ثم تظهر مرَّة أخرى بعد أربعين دقيقة في أرض الغدِ بالقُرب من مجمع الجبل الفضائي الجديد، ثم تختفي مرة ثانية.

بمجرَّد أن انتهيتُ من مُعايشة تلك الأحداث في خَيالي، سألتُ قائلًا: «هل تَعرَّفَ أيُّ شخصٍ على هوية هذه الفتاة؟» بدأ الدَّم يَغلي في عُروقي الآن ولأوَّل مرةٍ تُطبَق قبضتايَ الجديدتان الناعِمَتان وأطراف أصابعي الغَضَّة.

هزَّ دان رأسه قائلًا: «لم ترَها أيٌّ من الفتيات اللاتي كنَّ معها من قبل. كان وَجهُها واحدًا من أقنِعة مجموعة سفن سيسترز؛ قِناع «الأمل».» كانت سفن سيسترز مجموعة رائجة من الأقنِعة التي كانت كلٌّ فتاةٍ مُراهِقة تحرِص على ارتداء واحدة منها.

«وماذا عن مَتجر جانجل تريدرز؟ هل لدَيهم سجِلٌّ لمَبيعات الخوذات؟»

عبسَتْ ليل قائلة: «لقد راجَعْنا سجِلَّات مَبيعات جانجل تريدرز على مدار الستَّة أشهر الماضية؛ ثلاثٌ فقط ممَّن اشترَيْنها طابَقْنَ عُمر الفتاة الظاهري، ولدَيهنَّ جميعًا حُجَج غِياب مُوثَّقة. يبدو أنها قد سرقَتْها.»

سألتُ أخيرًا: «لماذا؟» ورأيتُ في عَيني خَيالي رِئتيَّ تندفِعان من صدري كالأجنِحة، كقناديل البحر، والفقرات تتناثَرُ كالشظايا. رأيتُ ابتسامة الفتاة الصغيرة، كانت ابتسامةً مُثيرة جِسِّيًّا، وهي تَسحَبُ الزِّناد وتُوجِّهه نَحوي.

قالت ليل: «لم يكن الأمر عشوائيًّا. لقد كانت الرصاصة مُصمَّمة للتعرُّف عليك بكلِّ تأكيد، وهذا يعني أن هذه الفتاة اقترَبَت منك عند نقطةٍ ما.»

صحيح، وهو ما يعني أنها زارت عالم ديزني خلال السنوات العشرة الماضية. وهكذا قلَّصنا نِطاق البحث.

سألتُ قائلًا: «ماذا حدَث لها بعدَما غادَرَت أرضَ الغد؟»

أجابت ليل: «لا نعلم. ثَمَّة عُطلٌ أصاب الكاميرات ففَقَدناها ولم تُعاود الظهور قط.» بدَت نبرة ليل حادَّة وغاضبة؛ إذ كانت تأخُذ وجود أيِّ مُعدَّات مُعطلة في المملكة السحرية على مَحْمِلٍ شخصي.

تساءلتُ مُبغضًا نبرة الرثاء التي بَدَت في صوتي: «مَن قد يرغبُ في فِعل ذلك؟» فقد كانت أول مرة أُقْتَلُ فيها، ولكن لم يكن عليَّ أن أُبالِغ في ردَّة فِعلي تجاه الأمر هكذا.

ارتسمَتْ على وجه دان نظرة شاردة ثم تحدَّث قائلًا: «في بعض الأحيان يأتي الناس بأفعالٍ لأسبابٍ تبدو مَنطقية تمامًا بالنسبة لهم، أسباب قد لا يفهمها باقي العالم. لقد شاهدتُ بعض الاغتيالات، ولم تبدُ منطقيةً على الإطلاق بعد مرور وقتٍ على حدوثها.» ثُمَّ

مرَّر يده على ذَقنه وأردف قائلًا: «أحيانًا يكون من الأفضل البحث عن النفسيات بدلًا من الدوافع: من «قد» يقوى على فعل شيء كهذا؟»

صحيح. كلُّ ما كنَّا نحتاجه هو التحقيق مع جميع المرضى النفسيِّين الذين زاروا المملكة السحرية على مَدار السنوات العشر الماضية! سيُقلِّص ذلك نِطاق البحث إلى حدٍّ بعيد! سحبتُ شاشةً ذهنية وتحقَّقتُ من الوقت؛ لقد مرَّ أربعة أيام منذ مَقتلي. كانت لديَّ مُناوبة عمل؛ إذ كنتُ أتولَّى مسئولية الأبواب الدوَّارة بالقصر المسكون. كنتُ أحبُّ العمل بدَوامٍ أو اثنين من هؤلاء في الشهر حتى أُبقي قدميَّ على أرض الواقع، فقد كان يُساعِدني على استعادة صَوابي وأنا أطهو في المناخ النقيِّ لِمُحاكاة السيطرة على الحشود الخاصة بي.

نهضتُ وذهبتُ إلى خِزانتي وبدأتُ في ارتداء ملابسي.

سألتْنِي ليل بقَلَق: «ماذا تفعل؟»

«حان وقتُ المُناوَبة. لقد تأخَّرت.»

أجابَت ليل وهي تَجذِبُني من مرفقي: «ولكنك لستَ في حالةٍ تسمح لك بالعمل.» فسحبتُ نفسي بعيدًا لأتحرَّر منها.

«أنا بخير. إنني بأفضل حال.» ثم أطلقتُ ضحكةً جافَّة وأردفتُ قائلًا: «لن أسمح لهؤلاء الأوغاد بتعكير صفو حياتي بعد الآن.»

هؤلاء الأوغاد؟ فكرتُ في نفسي، متى قرَّرتُ أنهم أكثرُ من شخص؟ ولكنني كنتُ أعلم أنني على حق. من المُستحيل أن يكون شخص واحد قد خطط لكل ذلك؛ فقد نُفِّذَ كلُّ شيءٍ بدقَّةٍ وإتقان مُتناهِيَين.

تحرَّك دان ليسُدَّ طريقي إلى باب غرفة النوم قائلًا: «انتظر لحظة، أنت بحاجة إلى الراحة.»

رمقتُه بنظرة كئيبة قائلًا: «أنا من سأقرِّر ذلك.» فتنحَّى جانبًا.

ردَّ دان: «سأرافقك إذن، فقط من باب الاحتياط.»

ضغطتُ لاستِعراض نِقاطي من الووفي ووجدتُ أنها ارتفعت بضع شرائح مئوية نتيجةً لنقاط التعاطُف التي اكتسبتُها، إلَّا أنها كانت تنخفِض الآن؛ فقد كان دان وليل يشعَّان سُخطًا واستهجانًا. تبًّا لهما!

استقللتُ سيارتي الصغيرة وسارع دان نحو باب مقعد الراكب في حين أدرتُ المُحرِّك وانطلقتُ مُسرعًا.

سألني دان وأنا أنعطِفُ بالسيارة نحو الناصية الموجودة عند نهاية طريقنا المسدود: «هل أنت واثق أنك بخير؟»

«ولم لا؟ إنني بأفضل حال وكأني شخص جديد.»

فردَّ قائلًا: «يا له من اختيار مُضحك للألفاظ! قد يظنُّ البعض أنك شخص جديد تمامًا.»

تذمَّرتُ قائلًا: «لن نعود إلى هذا الجدال مرة أخرى. أشعر أنني كما كنتُ وليس لأيِّ شخصٍ آخر أن يدَّعي غير ذلك. فمن يهتمُّ ما إذا كنتُ قد استُرجِعتُ من نُسخةٍ احتياطية أم لا؟»

«ما أريد قوله هو أن ثَمَّة فَرقًا بينك وبين نُسختك المطابقة. أليس كذلك؟»

كنت أعلم جيدًا ما يفعله. كان يُحاول إلهائي بواحدٍ من جدالاتنا القديمة، إلَّا أنني لم أتمكن من مُقاومة الطُّعم، كنتُ أسوق براهيني واحدًا تلوَ الآخر، فساعدَني ذلك على أن أهدأ قليلًا. كان دان هذا النوع من الأصدقاء الذي يَعرفُك أكثر مما تعرِف نفسك. أردفتُ قائلًا: «إذن أنت تقول إنك إذا مُحيتَ وأُعيدَ خلق كلِّ ذرَّة فيك من جديد، فلن تُصبح ما كنتَ عليه من قبل؟»

أجاب قائلًا: «بصورة جدلية، بالطبع. أن تُدَمَّرُ ويعاد خلقك من جديد يختلف عن عدم تعرضك للتدمير مطلقًا، أليس كذلك؟»

«راجِع معلوماتك عن ميكانيكا الكمِّ يا صديقي. إنك تُدمَّر وتتجدَّدُ تريليون مرة في الثانية الواحدة.»

فردَّ: «على مُستوًى محدود جدًّا جدًّا ...»

«وما الفارق الذي يُحدثه ذلك؟»

«حسنًا، سأتغاضى عن ذلك. ولكنك لستَ نُسخة طبق الأصل. أنت مُستنسَخ، ودماغك مُستنسَخة، وهذا يختلف عن الدمار الكمي.»

«من اللطيف حقًّا أن تقول ذلك لشخصٍ قُتِلَ لِتوِّه يا صاحِ. ألديك مشكلةٌ ما مع المُستنسَخين؟»

وانطلقنا مُسرعَين.

كان طاقم عمل القصر المسكون مُبهِجين ومُواسِين بشكلٍ مُثير للاشمئزاز. فكان كلُّ واحد منهم يحرِص على الاقتراب منِّي ومُلامَسة كَتِف سُترة رئيس الخدَم القاسية المُنَشَّاة التي

كنتُ أرتديها ويسألني إذا كان يُمكِنه مُساعدتي بأيِّ شكل ... ابتسمتُ لهم جميعًا نفس الابتسامة الثابتة وحاولتُ أن أركِّز على الزوار؛ كيف ينتظرون، ومتى وَصلوا، وكيف تفرَّقوا عبر بوابات الخروج. كان دان يحوم على مَقربةٍ منِّي، وأحيانًا ما كان يأتي إليَّ، في رحلةٍ تستغرِق ثماني دقائق واثنتَين وعشرين ثانية، كي يُخفِّف من إزعاج أعضاء فريق العمل الآخَرَين لي.

كان قريبًا منِّي عندما حان وقتُ استراحتي. بدَّلتُ زِيَّ العمل بملابسي العادية ومَشَينا عبر الشوارع المرصوفة بالحصى، مرورًا بقاعة الرؤساء، ولاحظت أثناء انعطافي حول الزاوية أن ثمَّة شيئًا مُختلفًا في منطقة اصطفاف الطوابير. غمغم دان قائلًا: «لقد فعلوه.»

نظرتُ عن كثَبٍ فوجدتُ الأبواب الدوَّارة مُغلقة بلافتةٍ إعلانية ذات وَجهَين على شكل ميكي يرتدي باروكةَ بِين فرانكلين ونظارته ثنائية البؤرة ومُمسكًا بمِجرفةٍ كُتِب عليها: «نأسَفُ على الإزعاج! أعمال تجديد من أجل خدمةٍ أفضل!»

لمحتُ أحد المُقرَّبين من دِبرا يقِف خلفَ اللوحة وقد ارتسمتْ على وجهه ابتسامة رضا عن النفس. كان من الصينيين الشماليين وكان في بداية حياته قصيرًا وبدينًا، ولكنه خضع لعملية تطويل عِظام ورَفْع لعظام الوَجْنَتَين حتى بدا وكأنه عفريت. ألقيتُ نظرةً واحدة على ابتسامته وفهِمتُ ما يَجري: لقد نجحَتْ دِبرا في وضع مَوطئ قدمٍ لها في ساحة الحرية.

قال دان: «لقد قدَّموا خططًا تتعلَّق بالقاعة الجديدة إلى لجنة التوجيه بعد ساعةٍ من مَقتلك، وقد أُعجبَتِ اللجنة بتلك الخطط، وكذا الشبكة. ويتعهَّدون بعدَم المِساس بالقصر.»

قلتُ مُحتدًّا: «أنتم لم تذكروا هذا.»

«ظننَّا أنك ستستنتِج ذلك. كان التوقيتُ سيئًا، ولكن لا يُوجد دليل على أنهم وضعوا خطَّة مَقتلك للقاتل. لدى الجميع حجَّةُ غياب، كما أنهم عرَضوا تقديم نُسَخِهم الاحتياطية كدليل إثبات.»

«حسنًا، حسنًا. إذن فقد كان لدَيهم خُطط مُجهَّزة بالفعل لتجديد القاعة من قبيل الصُّدفة، وقدَّموها بعد مَقتلي من قبيل الصُّدفة، حينما كان جميع أعضاء اللجنة قَلِقين إزاء ما ألمَّ بي. إن الأمر كله مُجرَّد مُصادفة كبيرة.»

هزَّ دان رأسه قائلًا: «لسنا أغبياء يا جولز. لا أحد منَّا يظنُّ أنها مُجرَّد مُصادفة. إن دِبرا من الأشخاص الذين يحتفظون بالكثير من الخُطَط البديلة من باب الاحتياط، ولكن هذا لا يجعل منها قاتلة، بل مُجرَّد شخصٍ انتهازي مُستعدٍّ جيدًا لمواجهة أي شيء.»

شعرتُ بالغَثَيان والإرهاق. اتَّجهتُ إلى أحد أنفاق المرافق، كوني أحد أعضاء فريق العمل، ومن ثَمَّ انهرتُ قُبالة أحد الجُدران مُسنِدًا رأسي إليه. تسرَّب إليَّ شعور بالهزيمة حتى تملَّكني تمامًا.

جثَمَ دان على الأرض إلى جواري، نظرتُ له فوجدتُ على وجهه ابتسامةً هازئة: «افترِضْ في الوقت الحالي أن دِبرا قد فعلَتْ هذا حقًّا وأوقعَتْ بك حتى تتمكن من تَولِّي السلطة.»

ابتسمتُ رغمًا عنِّي. كانت هذه طريقتُه في توضيح الأمور وفي التصرُّف كلَّما كنتُ أقَع في واحدٍ من ألاعيبه البلاغية في الماضي: «حسنًا، لقد افترضتُ ذلك.»

«أولًا: لماذا تقتُلُك أنت بدلًا من ليل أو أيٍّ من الأعضاء القُدامى الأصليِّين؟ ثانيًا: لماذا تسعى للسيطرة على قاعة الرؤساء وليس على جزيرة توم سويَرْ أو حتى القصر المسكون؟ ثالثًا: لماذا قد تعقُب كلَّ ذلك بحركةٍ مُثيرة للشكوك وفاضحة كهذه؟»

أجبتُ مُتأهِّبًا للتَّحدِّي: «حسنًا. أولًا: أنا مُهمٌّ بما فيه الكفاية لأكون مُثيرًا للمشاكل، ولكنني لستُ على القدْر نفسه من الأهميَّة لأقيم تحقيقًا كاملًا. ثانيًا: جزيرة توم سويَرْ واضحة جدًّا للعَيان، لا يمكن تجديدها دون أن يرى جموعُ الناس الغُبارَ المُتطاير من الشاطئ المُقابل. ثالثًا: لقد قضتْ دِبرا عقدًا في بكين، حيث الدقَّة والدَّهاء لا يُشكِّلان أهمية كبيرة.»

قال دان: «بالطبع، بالطبع.» ثم انطلق كالمِدفَع يَسرِد ردَّه، وبينما كنتُ بدَوري أجهِّز إجابتي، ساعدَني لكي أنهَض ورافقَني إلى سيارتي الصغيرة وهو يُجادِلني طوال الطريق، حتى إنَّني في الوقت الذي لاحظتُ فيه أننا لم نعُد في المُتنزَّه، كنتُ قد وصلتُ إلى المنزل ومُستلقِيًا في السرير.

مع توقُّف الدُّمي المُتحرِّكة في قاعة الرُّؤساء وتخزينها خلال فترة التجديد، صار لدى ليل مزيد وقتٍ حتى إنها لم تكن تعرِف ماذا تفعل به. كانت إما تتجوَّل حول الكوخ الصغير، أو يجلس كلانا في غرفة المعيشة يُحدِّق إلى النوافذ بنظرةٍ خالية من التعبير، نستنشِق أنفاسًا سريعة وسطحية من هواء فلوريدا الساخن الخانق. كانت بِحَوزتي المُلاحظات الخاصة بعملي عن إدارة طوابير الانتظار الخاصة بالقصر، وأخذت أستعرضها بلا هدف. كانت ليل في بعض الأحيان تعكس شاشتي الذهنية حتى تتمكن من رُؤيتي وأنا أعمل، وتُقدِّم اقتراحاتٍ استنادًا إلى خِبرتها الطويلة.

كانت زيادة الإنتاجية دون التأثير سلبًا على التجربة التي سيحظى بها الزائر عملية حسَّاسة ودقيقة. ولكن كل ثانية كنتُ أتمكن من إنقاصِها من زمن طوابير انتظار الخروج، كانت تُمكنني من إدخال ستِّين زائرًا جديدًا واستقطاع ثلاثين ثانية من إجمالي وقت الانتظار. وكلما زاد عدد زوار القصر، كان ذلك ضربةً قاصمة لرصيد أتباع دِبرا من الووفي إذا حاولوا التدخُّل لتعطيل ذلك. لذا استعرضتُ ملاحظات عملي بحرصٍ وأمانة ووجدتُ أن بإمكاني تقليص ثلاث ثوانٍ من زمن لعبة المَقبرة عن طريق تحويل عرَبات الموت إلى يسار المسرح وهي تنزل من نافذة العُليَّة؛ فمن خِلال تَوسيع مجال رؤيتهم، تمكنتُ من عرْض جميع المَشاهِد أمام الزوَّار بسرعةٍ أكبر.

أضفتُ التعديل على جولة الطيران الافتراضية، ونفَّذتُه بعد الانتهاء منه، ودعوتُ باقي أعضاء اللجنة المسئولين عن إدارة ساحة الحريَّة ليأتوا ويَختبروه بأنفسهم.

كانت ليلة شتوية أخرى رطبة، حلَّ فيها الظلام قبل الأوان. كان بِصُحبة أعضاء اللجنة ما يكفي من الأصدقاء والأقارب فتمكنَّا من مُحاكاة زمن طوابير الانتظار في غير أوقات الذُّروة، ووقفنا جميعًا نتصبَّب عرقًا في منطقة انتِظار ما قبل العرْض في انتظار فتح الأبواب، وكنَّا نسمَع عواء الذئاب وصرخاتٍ أخرى مُرعِبة قادمة من مُكبِّرات الصوت المُخبَّأة عن الأنظار.

انفتحت الأبواب وظهرتْ ليل ترتدي زِيَّ خادِمةٍ رَثًّا وعيناها مُحدَّدتان باللون الأسود وغُطيَتْ بشرتُها بمسحوقٍ أبيضَ حتى بدَت في شحوب الأموات. نظرتْ إلينا بتمعُّنٍ وبرود ثم قالت بنبرة مُنَغَّمة: «السيد جريسي يطلُب المزيد من الجُثَث.»

بينما نحن مُحتشِدون في ظلام الرَّدهة البارد ذي الرائحة الكريهة، حاولَتْ ليل أن تُداعِبَني بحنان. التفتُّ لأداعِبَها بدَوري، ورأيتُ رفيق دِبرا القَزم يَحوم حول كتِف ليل، فَذَوَت ابتِسامتي على شفتي.

التقَتْ أعيُنُنا لوهلة، ورأيتُ في نظرته شيئًا ما؛ مَزيجًا من القسوة والقَلَق لم أتمكَّن من تفسيره. أشاح ببصرِه بعيدًا في الحال. كنتُ أعلَم أن دِبرا سيكون لها جواسيس وسط الحشود بالطبع، ولكن في وجود فتًى قَزم يُشاهِد ما يحدُث، قرَّرتُ أن أجعل هذا العرْض هو الأفضل على الإطلاق.

كان تحسين العرْض من الداخل عمليةً حسَّاسة ودقيقة. كانت ليل قد تَنَحَّت جانبًا من الجِدار المكسوِّ بالألواح الخشبية المؤدِّي إلى الغُرفة المطاطة رقم اثنين، وهي أحدَث ما تمَّ إصلاحه مُؤخرًا. وبمجرَّد دخول الحشد إلى الغرفة، حاولتُ أن أوجِّه أعيُنَهم عبر تعديل

وَضعِيَّات جسدي بحيث تُوجِّه انتباههم على نحوٍ غير ملحوظ نحوَ الكشافات الجديدة. وعندما جاء صوت الموسيقى التصويرية، بعد تحسين جودتها مؤخرًا، من خلف تماثيل الغرغول التي تحمِل مصابيحَ جِدارية في أركان الغرفة المثمنة الأضلاع، أحنيتُ جسدي قليلًا في اتجاه الصور المُجسَّمة المُتحركة. وقبل أن تنطفئ الأضواء بلحظةٍ واحدة، وجَّهتُ ناظريَّ بشكلٍ استعراضي نحو السقف ذي الستائر ووجدتُ أن الحضور قد لاحظوا إيماءتي، ومن ثَمَّ كانوا ينظرون حين تدلَّتِ الجثة المُضاءة بالأشعة فوق البنفسجية من السقف الحالك السواد مُتأرجِحة من عُقدة المشنقة المُلتفَّة حول عُنقها.

اتَّجه الحضور إلى منطقة طابور الانتظار الثانية حيث استقلُّوا عربات الموت. غمغم الناس بصوتٍ مُنخفض مُندهِشين ونحن نشقُّ طريقنا فوق الرصيف المُتحرِّك. استقللتُ عربتي وبعد أقلَّ من ثانية استقلَّ أحدُ الأشخاص إلى جانبي. كان القَزم.

كان حريصًا على عدَم النظَر في عيني مُباشرة، ولكني شعرتُ بنظراته الجانبية الخاطفة نَحوي ونحن نمرُّ أمام الثُّريَّا العائمة دخولًا إلى الرُّواق، حيث كانت أعين الصُّور المُعلَّقة على الجُدران تراقِبُنا. منذ عامين، زدتُ سرعة هذه الجولة وأضفتُ محورًا دوَّارًا عشوائيًّا إلى عربات الموت، مُقلِّلًا خمسةً وعشرين ثانيةً من الزمن الكُلِّي للُّعبة بزيادة من ٢٣٦٥ إلى ٢٦٠٠ زائر في سَعةِ الإنتاجية في الساعة الواحدة. وكان إثبات صحَّة الفكرة هو ما قاد إلى كلِّ الثواني الأخرى التي نجحتُ في تقليلها منذ ذلك الحين. تسبب التأرجُح العنيف لعربة الموت في احتكاكٍ غير مقصود بيني وبين القَزم، وبينما كنتُ أحاول الوصول إلى حاجِز الأمان لمستُ يدَه بغير قصد، فشعرتُ بها باردة ومُتَعَرِّقَة.

كان مُتوتِّرًا! كان مُتوتِّرًا حقًّا! ما الذي يدعوه للتوتُّر؟ أنا من تعرضتُ للقتل، ربما كان مُتوتِّرًا؛ لأنه كان من المُفترَض أن يُنهيَ المُهمَّة. رمقتُه أنا الآخر بنظراتي الجانبية، في مُحاوَلة لرؤية أيِّ انتفاخاتٍ مُريبة في ملابسه الضيِّقة، إلَّا أنَّ العربة من الداخل كانت مُبطنة بطبقةٍ من البلاستيك الأسود المُحَبَّب ما جعلها مُعتِمةً للغاية. كان دان يجلس في العربة التي خلْفنا برفقة أحد أعضاء طاقم عمل القصر العاديين؛ فاتصلتُ بقوقعة أذُنه وتحدَّثتُ لا صوتيًّا قائلًا: «استعدَّ للقفْز من العربة عند إشارتي.» كانت مُغادَرة أيِّ شخصٍ لعربته ستتسبَّب في اعتراض طريق الأشعة تحت الحمراء، وهو ما يُوقِف نظام التشغيل. كنتُ أعلم أن بإمكاني التعويل على ثِقةِ دان بي دون الحاجة للكثير من الشرح، فتمكنتُ من التركيز على مُراقبة صديق دِبرا عن كثَب.

مرَرْنا بِردْهةِ المرايا ودخلْنا رَدهة الأبواب التي تخرج من عتباتها أيادٍ بَشِعة الشكل تضغط على المفصَّلات بقوة في حين تُسْمَعُ تأوُّهات مُسجلة ممزوجة بأصوات طرْق عنيف. فكرت في الأمر: إذا أردتُ أن أقتُل شخصًا في هذا القصر، فما أفضل مكان لفعل ذلك؟ بدا دَرَجُ غرفة العُليَّة — أي الجولة القادمة — رهانًا جيِّدًا. وفجأة أدركتُ حقيقةً قاسية؛ سيَقتُلني القَزم في ظلام الدَّرَج ويقذِف بي من فَوق الحافَة عند المُنعطَف الخفيِّ باتجاه المقبرة وينتهي الأمر. هل سيستطيع قتلي وأنا أُحدِّق في عَينيه مُباشرة؟ لقد بدا مُتوتِّرًا للغاية كما كان. استدرتُ في مقعدي ونظرتُ إليه في عَينَيه مُباشرة.

ابتسم لي ابتسامة باهتة وأومأ بالتحية. ظللتُ أُحدِّق إليه وطبَّقتُ قبضتيَّ استعدادًا لأي شيء. نزلْنا إلى أسفل الدَّرج، رءوسنا لأعلى، نَستمِع إلى الأصوات الصاخبة الآتية من المقبرة ونَعيق الغُراب الأحمر العَينَين. لمحتُ دُمية حارس المُتنزَّه الآلية المتحركة وهي تهتزُّ وجفلت، ثم أطلقت صرخةً لا صوتية حادَّة ودُفِعتُ إلى الأمام بقوَّة وقد أخذ نظام تشغيل اللُّعبة يهتزُّ حتى توقَّف.

سمعتُ صوتَ دان في قوقعةِ أُذُني يقول: «جولز، هل أنت بخير؟»

لقد سمع صرختي اللاإرادية المُتفاجئة وقفزَ من العربة فتوقفَتِ اللعبة. كان القَزم ينظرُ إليَّ بمزيجٍ من الشفقة والدَّهشة.

«كلُّ شيءٍ على ما يُرام، كلُّ شيءٍ على ما يُرام. إنذار كاذِب.» اتصلتُ بـ «ليل» لا صوتيًّا لأخبرها بأن تُعيد تشغيل اللعبة في أسرع وقتٍ ممكن، وأن كلَّ شيءٍ على ما يُرام.

أمضيتُ باقي الجولة واضعًا يديَّ على حاجز الأمان وعيناي مثبَّتتان أمامي، مُتجاهلًا القَزم بحزم. تفحَّصتُ المُوَقَّت الذي ضبطتُه سابقًا. لقد فشِل العرض التجريبي فشلًا ذريعًا؛ فبدلًا من تقليل ثلاث ثوانٍ من الزمن الكلي للجولة، أضفتُ ثلاثين! كنتُ أرغب في البكاء.

ترجَّلتُ من العربة وخرجت مُسرعًا من طابور الخروج، واستندتُ على السور بكلِّ ثِقَلي وأنا أُحدِّق إلى مقبرة الحيوانات الأليفة بنظرةٍ خاوية. سَبَحَ رأسي في الأفكار: كنتُ فاقدًا للسيطرة، أقفز خوفًا من خيالات. كنتُ مُرتعبًا.

ولم يكن لديَّ أيُّ سببٍ لهذا الخوف. لقد قُتِلتُ بالتأكيد، ولكن ماذا كلَّفني ذلك؟ بضعة أيام من «فُقدان الوعي» وهم يُفرِّغون نُسختي الاحتياطية في جسدي الجديد، وفجوة رحيمة في ذاكرتي منذ رحيلي من محطة النَّسخ الاحتياطي حتى مَقتلي. لم أكن من هؤلاء المجانين

الذين يأخذون الموت على «مَحمَل الجد»، فلم يكن الأمر أنهم فعلوا شيئًا سيدُوم ضرَرُه على أي حال.

أما أنا فقد تسببتُ في أضرارٍ دائمة: فقد أوقعتُ مزيدًا من الضرر بليل، وعرَّضت أعضاء اللجنة، والأسوأ من ذلك، القصر المسكون، للخطر. لقد تصرَّفتُ بحماقة. تناولتُ طعام العشاء، وكان عبارة عن برجر تناولتُه دفعةً واحدة، وابتلعتُه بصعوبةٍ لأتغلَّب على شعوري بالغَثَيان.

شعرتُ بشخصٍ خلْفي مُباشرة، فاستدرتُ وعلى وجهي ابتسامةٌ مرتبكة ظنًّا منِّي أنها ليل جاءت تسألني عما حدَث، ولكنني وجدتُ نفسي في مُواجهة القَزم.

مدَّ يدَه إليَّ وتحدَّث باللهجة الرَّتيبة لشخصٍ يُشغِّل برنامجًا لتعلُّم اللغة: «مرحبًا، لم تسنَح لنا الفرصة للتَّعارُف، ولكنني أردتُ أن أُخبِرك أنني أستمتعُ بعملك كثيرًا. أنا تيم فانج.»

صافحتُه بقوَّة ووجدتُ يدَه لا تزال باردةً ورطبةً بالأخصِّ في قلب حرارة مساء فلوريدا وأجبت: «جوليوس»، جفَلتُ من صوتي الذي بدا وكأنه نِباح. احذَر — هكذا قلتُ لنفسي — لا داعيَ لتصعيد العداء: «هذا لطفٌ منك. أنا أحبُّ العمل الذي قُمتم به جميعًا في لعبة القراصنة.»

ابتسم ابتسامة من القلب وبدا مُحرجًا وكأنه تلقَّى إشادةً كبيرة من أحد أبطاله الشخصيِّين: «حقًّا؟ أعتقدُ أنه جيِّد جدًّا، تُتاح لك في المرة الثانية العديد من الفُرَص للتنقيح وإيضاح الرؤية. حسنًا، كانت بكين مُثيرة للاهتمام، ولكنهم كانوا في عجلةٍ من أمرِهم كما تعلم. أعني أننا كُنَّا نُعاني الأمَرَّين. في كلِّ يوم كانت تأتينا دفعة جديدة من واضعي اليد الراغبين في هدم المُتنزَّه. كانت دِبرا تُرسلني دائمًا إلى الأطفال لآخُذَهم في جولاتٍ حاملًا إيَّاهم على ظهري حتى نُحافظ على رصيدنا من الووفي وكانت هي تتولَّى إجلاء المُغتصبين. وكان من الجيد أن تتسنَّى لنا الفرصة لتعديل التصميمات والاطِّلاع عليها مُجدَّدًا دون وجود البرنامج الترفيهي.»

لديَّ علم بهذا الأمر، بالطبع، لقد شكلَتْ بكين عناءً حقيقيًّا لمن بَنَوها من أعضاء اللجنة اللامركزية، فقد قُتل العديد منهم العديدَ من المرَّات المُتتالية. حتى دِبرا نفسها ظلَّت تُقتَلُ يوميًّا لمدَّة أسبوع كامل وأُعيد استرجاعها في سلسلة من الأجساد المُستنسَخة مُسبقًا في اختبار تجريبي أوَّليٍّ لأحد نُظم تشغيل الألعاب، وهو ما كان أسرع من مراجعة المُحاكيات المُصمَّمة بمُساعدة الكمبيوتر. كان معروفًا عن دِبرا سعيها الحثيث وراء الفرص السانحة.

قلت: «بدأت أكتشف شعور العمل تحت ضغط.» وأشرتُ برأسي تِجاه القصر. سعدتُ عندما رأيتُه يبدو مُحرَجًا ثم مُرتعبًا.

قال: «لن نمَسَّ القصر أبدًا، إنه مثالي!»

كان دان وليل مُقبلَين نحوي على مهلٍ وأنا أستعدُّ لتوجيه ردٍّ سريع. كان القَلَق بادِيًا عليهما. الآن حينما أُفكر في الأمر، أجدُ أنهما كانا يَبدُوان قَلِقَين للغاية بشأني منذ أن استُرجِعت.

كانت مِشية دان غريبةً ومتكلفة وكأنه يتكئ على ليل لتساعده على المشي. كانا يبدوان كحبيبَين، فاعترتْني دفْقة لاعقلانية من الغيرة المُتأجِّجة. كنتُ مُحطمًا عاطفيًّا. إلَّا أنني أخذتُ يدَ ليل الكبيرة ذات الندبة في يدي بِمُجرَّد اقترابها منِّي وضممتُها إليَّ حامِيًا. كانت قد بدَّلت زِيَّ الخادِمة وارتدَتْ ملابسَ عاديَّة: مِئزرًا ذكيًّا من نَسيجٍ ذي مَسامٍ ضيقة يتنفَّس بالتزامُن مع تنفُّسها.

«ليل، دان، هذا تيم فانج. كان يُخبرني لتوِّه قِصصًا عن الحرب التي دارت في مشروع القراصنة ببكين.»

لوَّحَتْ له ليل وصافَحَه دان بجِدِيَّة قائلًا: «لقد كان عملًا شاقًّا بالفعل.»

خطر لي أن أُشغِّل بعض شاشات الووفي، كان ذلك ردَّ فعلٍ تلقائيًّا بطبيعة الحال عند مُقابلة أي شخص، إلا أَنَّني كنتُ لا أزال غير مُتحمِّسٍ له. ضغطتُ على شاشة الووفي الخاصة بالقَزم ووجدتُ أن لدَيه العديد من نقاط الووفي غير المُباشرة: نقاط احترام نالَها من أشخاصٍ تختلف مُعظم آرائهم عن آرائي، وهو ما كنتُ أتوقَّعه على أي حال. ولكن ما لم أتوقَّعه أن تكون نقاطه المُرجِّحة — تلك النقاط التي تُعطي مِصداقية إضافية لتصنيفات الأشخاص الذين أحترِمُهم — مُرتفعةً أيضًا، بل كانت أعلى من نقاطي، وزادَني ذلك ندَمًا على سلوكي غير اللائق تِجاهه. فالحصول على احترام القَزم — تيم، لا بُدَّ أن أتذكَّر أن أُنادِيَه تيم — من شأنه أن يكون له ثِقَل وتأثير بين كل المجموعات المؤثرة.

كان رصيد دان في ازدياد، إلَّا أن ملفَّه الشخصيَّ كان لا يزال مُتدنِّيًا للغاية. كان قد حصل على قدرٍ كبير من نقاط الووفي غير المباشرة، وعزوتُ ذلك على نحوٍ غريب إلى حادثة مَقتلي؛ إذ أعطاه أتباع دِبرا قدْرًا سَخيًّا من الإشادة والثناء لرَبَاطة جأشِه في التعامُل مع لمَمَةِ أشلاء جُثَّتي ونقْلِها بعيدًا عن خشبة المسرح، مما قلَّلَ من الاضطراب والفوضى أمام قراصنتهم المُدهِشين.

كنتُ شاردًا تمامًا، على النحو ذاته الذي استغرقتُ به في أحلام اليقظة وقادَني إلى الموت وسط الشُّعَب المُرجانية بشاطئ بلايا كورال، ثم استفقتُ من شُرودي جافِلًا، وأدركتُ أن ليل ودان وتيم كانوا يتجاهَلون انقطاعي عما حَولي بأدبٍ مُخجِل. كان من الممكن أن أُراجع ذاكرتي القصيرة المدى لمعرفة فحوى الحديث الذي دار بينهم، ولكن هذه العملية كانت ستُطيل من فترة صمتي، اللعنة! وأخيرًا سألت تيم: «إذن كيف تسير الأمور في قاعة الرؤساء؟»

رمقتْني ليل بنظرة حذرة؛ فقد تنازلت عن القاعة لأعضاء اللجنة التابعين لِدِبرا، لَمَّا كانت تلك هي الطريقة الوحيدة لتجنُّب الظهور بمظهر الطفل الأرْعَن الذي لا يُبالي بنِقاط الووفي العظيمة. والآن كان عليها الاستِمرار في ادِّعاء التعاوُن المُزيَّف، وهو ما يَعني عدَم التلصُّص على دِبرا والبحث عن حِججٍ للانقضاض على عملها.

ابتسم لنا تيم نفس الابتسامة الواهِنة التي حيَّاني بها، ابتسامة بدَت رقيقة على نحوٍ رائع على مَلامِحِه الناعمة الدقيقة وقال: «إننا نُبلي بلاءً حسنًا على ما أعتقد. لقد وضعَت دِبرا القاعة نُصبَ عينيها لسنواتٍ طويلة قبل أن تذهب إلى الصِّين. إنَّنا نَستعيض عن كلِّ شيءٍ بوصلات إرسال ذات نطاقٍ عريض لصُوَر مُتكاملة من حياة كل رئيس: عناوين الصحف، والخطب والسِّيَر الذاتية المُكثفة، والأوراق الشخصية. سيكون الأمر كما لو أن كلَّ واحدٍ من هؤلاء الرؤساء قد أُفرِغَ بداخلك في ثوانٍ معدودة. قالت دِبرا إننا سنقوم بتخليق الرؤساء في ذهنك في لمح البصر!» ولمعتْ عيناه في الشفق.

لم أمرَّ بتجربة التخليق السريع هذه لدِماغي إلَّا مُؤخرًا؛ لذلك فقد لَمس وَصْف تيم للأمر وترًا بداخلي. لقد كانت شخصيتي تَبدو مَهزوزة قليلًا داخل عقلي وكأنها وُضِعَت على نحوٍ غير سليم، وهو ما جعل وجود صُور مُتكاملة لحوالي خمسين رئيسًا مكدَّسة داخل عقلي إلى جانب شخصيتي الأصلية فكرةً جذَّابة على نحوٍ غريب.

أجبت: «رائع! هذا لا يُصدَّق. وما الذي تُخطِّط له بالنسبة للبِنية التحتية والمنشآت؟» أَضْفَت المئات من المباني الرسمية التي تعود إلى الولايات المتحدة القديمة على قاعة الرؤساء أجواءً من الكرامة الوطنية الهادئة، ومن ثَمَّ فالعَبَث بها سيكون كإعادة تصميم أعلام الولايات الكونفدرالية الأمريكية.

قال تيم: «هذا ليس تَخصُّصي في الواقع، أنا مُبرمج، ولكن يُمكنني أن أجعل أحد المصمِّمين يُرسل إليك بعض الخُطط الخاصَّة بهذا، إذا شئت.»

قالت ليل جاذبةً إيَّاي من مرفقي: «سيكون هذا جيدًا. ولكنَّني أعتقِد أننا لا بُدَّ أن نذهب إلى المنزل الآن.» وبدأتْ تَجذبني بعيدًا وأمسك دان بمرفقي الآخر. خلفَ ليل، لمَعَتْ ليبرتي بيل وكأنها كعكة زفاف ضخمة شبحِيَّة في قلب الشفَق.

قال تيم: «يا للحظِّ التَّعِس! سيقضي زملائي الليلة في القاعة الجديدة. أنا مُتأكد أنهم سيسعدون إذا مررتُ عليهم.»

سيطرتْ عليَّ الفكرة، سأدخل مُعسكر العدو وأجالِسُهم وأعرِف أسرارهم. أجبتُ سريعًا وبصوتٍ عالٍ للغايةٍ: «سيكون هذا رائعًا!» كان رأسي يَطنُّ قليلًا. أزاحت ليل يديها بعيدًا.

قالت: «ولكننا سنستيقظ باكرًا في الغد، لديك مُناوبة عمل في الساعة الثامنة صباحًا، وسأذهب أنا إلى البلدة لشِراء البقالة.» كانت تكذِب ولكن كانت هذه هي طريقتها في إخباري بشكلٍ غير مُباشر أن ما أُوشِكُ على فعله ليس تصرُّفًا ذكيًّا من وِجهة نظرها، إلَّا أنَّ إيماني به لم يتزَعْزَع.

أجبت: «مُناوبة الساعة الثامنة صباحًا؟ لا مُشكلة، سأكون هنا بالفعل عندما يَحين موعدها. سأستحِمُّ سريعًا في حمام سباحة مُنتجع كونتمبراري صباحًا، ثم أعود وأستقلُّ القطار الكهربائي المُعلَّق للعودة في الوقت المُحدَّد لأُبدِّل ملابسي، اتفقنا؟»

حاول دان إقناعي قائلًا: «ولكننا يا جولز كنَّا سنذهب لتناوُل العشاء في مطعم طاولة سندريلا الملكية، ألا تتذكر؟ لقد حجزتُ بالفعل.»

قلت: «أوه! يمكننا تناوُل الطعام في أي وقتٍ آخر. هذه فُرصة لا تُعوَّض.»

قال دان مُستسلمًا: «إنها كذلك بالفعل، هل تُمانع إذا أتيتُ معك؟»

تبادَل هو وليل نظراتٍ ذات مَغزًى كانت ترجمتها في عقلي: «إذا كان سيتصرَّف بحماقة، فلا بُدَّ لواحدٍ منَّا أن يظلَّ معه بالفعل.» لم أبالَ على الإطلاق؛ فقد قررتُ أن أتحدَّى الأسد في عَرِينه.

لم يكن تيم واعيًا لكلِّ ما يدور على ما يبدو. «اتفقنا، فلننطلق إذن.»

في طريقنا إلى القاعة، ظلَّ دان يتَّصِل بقوقعة أذُني وظللتُ أُحَوِّلهُ إلى البريد الصوتي، وفي الوقت نفسه، لم يتوقَّف ثلاثتُنا عن الثرثرة. كنتُ مُصمِّمًا على إصلاح ما أفسدْتهُ في القصر مع تيم وأكسِب وِدَّه.

كان أتباع دِبرا جالسين على المسرح على كراسي ذاتِ أذْرُع وقد رُصَّت الدُّمى الآلية المُتحرِّكة للرؤساء في أكوامٍ مُنظمة بالمباني المُلحقة. كانت دِبرا تجلس مُسترخية في كرسي لنكولن ورأسها مائل بكسَل وساقاها مُمدَّدتان أمامها. طغَت على القاعة، التي كانت دائمًا ما تفوح برائحة الأوزون والنظافة، رائحة العرَق وشحْم الماكينات والرائحة النَّتِنَة لأحد أعضاء اللجنة، كان قد أمضى طَوال الليل في المكان. احتاجت القاعة إلى خمسة عشر عامًا من البحث والتنفيذ وبضعة أيام قليلة لهدْمِها.

كانت دِبرا في هيئتها الطبيعية، بنفس الوجه الذي وُلدت به، على الرغم من تجديده عشرات المرات بعد مَيْتاتِها العديدة. كان وَجهها أرستقراطيًّا شمعيًّا وطويلًا ذا أنفٍ أبِيَّة خُلقت للتحدِّي والمواجهة. كانت في نفس عمري على الأقل، على الرغم من أنها كانت تبدو وكأنها في الثانية والعشرين. شعرتُ أنها اختارت هذه السنَّ بالذات؛ لأنها تنطوي على مَخزونٍ هائل من الطاقة والحيوية.

لم تتنازل وتقِف لتُحيِّيني حينما اقتربْت، ولكنها أومأتْ لي بكسَل. انقسم باقي أفراد اللجنة إلى تجمُّعات صغيرة، مُنكبِّين على أجهزة الكمبيوتر. كانت لهم هالات سوداء أسفل أعينهم، فبَدَوا كحيوانات الراكون ومظهر المَهووسين الذين جفا النوم أعيُنَهم، حتى دِبرا نفسها، التي نجَحَت في أن تبدوَ كسُولةً ومُتحمِّسة في الوقت نفسه.

تساءلتُ في نفسي مُحدِّقًا في دِبرا: هل قتلتِني؟ لقد قُتِلَتْ دِبرا عشرات، إن لم يكن مئات المرات، برغم كلِّ شيء. وقد لا يكون الأمر مُهمًّا بالنسبة لها.

قلتُ بابتهاج: «مرحبًا! لقد عرَض تيم أن يأخذنا في جولةٍ عبر المكان! تَعرفين دان. أليس كذلك؟»

أومأتْ له دِبرا برأسها قائلة: «أوه، بالطبع. أنا ودان أصدقاء. أليس كذلك؟»

لم يختلِج وجه دان الخالي من التعبير، وقال: «أهلًا دِبرا.» كان يتسكع معهم منذ أخبرته ليل عن المخاطر التي تُحدِق بالقصر مُحاولًا جمع بعض المعلومات لنا لنستخدمها. كانوا يعلمون ما يَعتمِل في نفسه بالطبع، إلَّا أن دان كان ساحرًا بما يكفي، وكان يعمل بكد، وهو ما جعلهم يغضُّون الطرْف عنه. ولكن يبدو أنه تجاوَز حدًّا من الحدود على نحوٍ ما باصطحابي معه، وكأن حضوري قد حطَّم ذلك السيناريو الضِّمنيَّ بينهم بأنه ينتمي إلى لجنة دِبرا أكثر من انتمائه للجنة ليل.

قال تيم: «هل يُمكنني أن أُريهم العرْض التجريبي يا دِبرا؟»

رفعَت دِبرا حاجِبًا في دهشةٍ ثم قالت: «بالتأكيد، لمَ لا؟ ستُحبُّون هذا يا رِفاق.»

اصطحبَنا تيم سريعًا إلى الكواليس حيث كنتُ أعمل أنا وليل ونحن نقطُر عرَقًا على الدُّمى الآلية المتحرِّكة ونسترِق بعض المُداعَبات الحسِّية خِلسة. كان كلُّ شيءٍ مُمزَّقًا ومكدَّسًا ومُغلَّفًا، لم يُضيِّعوا ثانيةً واحدة، لقد قَضَوا أسبوعًا يهدِمون عرضًا ظلَّ يُقدَّم على مدار أكثر من قرنٍ كامل. كان قماش السكريم الذي كان يُعرَض عليه الأجزاء المراد إبرازُها من العرْض موضوعًا على الأرض ومُلطَّخًا بالأوساخ وآثار الأقدام والزَّيت.

اصطحبَني تيم إلى محطة نَسْخٍ احتياطي لم تُجَمَّع بالكامل بعد. كان الإطار الواقي لها غير مُثبَّت ومُلقًى حوله العديد من لوحات المفاتيح اللاسلكية والمؤشرات والقفازات المُبعثرة. كانت تبدو وكأنها نموذج أولي.

قال تيم: «هذه هي محطة إرسالنا. نستخدم حتى الآن تطبيقًا تجريبيًّا يعمل من خلالها: خطب لنكولن القديمة، ومونتاج لصورٍ من الحرب الأهلية. فقط شَغِّلْ خاصيَّة وُلُوجِ الزُّوَّار وسأفرِّغ الذاكرة الأساسية للتطبيق لديك. إنه مُثير!»

سحبتُ شاشتي الذهنية وشغَّلتُ خاصية وُلُوج الزُّوَّار. أشار تيم بإصبعه إلى الكمبيوتر، فغمر عقلي كلُّ ما يخصُّ شخصية لنكولن وجَوهره: كلُّ فارِق دقيق لا يكاد يُدرَك في خطاباته، وتَشنُّجاته المدروسة بِعناية، وبُثور وَجهه، ولِحيته، ومِعطَفه. لوهلةٍ شعرتُ كأنني لنكولن نفسه، ثم سُرعان ما انقضى هذا الشعور، ولكنني تمنيتُ لو كان لا يزال بإمكاني تذوُّق النَّكْهة النُّحاسية لطلقات المَدافع وتَبْغ المَضْغ.

ترنَّحتُ إلى الوراء. كان رأسي يَسبَح وسطَ انطباعاتٍ حِسِّية سريعةٍ اتَّسمَتْ بالثراء والتفصيل الدقيق. وسُرعان ما أدركتُ أن قاعة الرؤساء الخاصَّة بدِبرا ستُحقِّق نجاحًا مُبهرًا.

أخذ دان دَوره في تجربة محطة الإرسال أيضًا، وأخذتُ أنا وتيم نُراقب تعبيرات وَجهه التي تحوَّلَت من الشكِّ إلى البهجة. نظر لي تيم في ترقُّب.

قلت: «هذا رائع حقًّا. رائع للغاية بالفعل. كم هو مؤثر!»

احمرَّ وجه تيم خَجلًا وقال: «شكرًا! لقد برمجتُ الصور المُتكاملة؛ إنه تَخصُّصي.»

تحدَّثَت دِبرا من خلفه؛ كانت تمشي بتؤَدَة تِجاهنا وكان دان يرتجُّ خروجًا من الذاكرة وقالت: «واتَتْني الفكرة في بكين عندما كنتُ أموت كثيرًا. هناك شيءٌ رائع في تجربة زَرْع الذكريات، وكأنك تُعمِل عقلك بالفعل؛ أحبُّ الوضوح الاصطناعي للتجربة ككل.»

نَشَقَ تيم قائلًا: «ليست اصطناعية بالمرَّة.» ثم التفت إليَّ، «إنها لطيفة وسلسة. أليس كذلك؟»

شعرتُ بصعوبات ومخاطر شديدة خَفِيَّة تحت السطح، وكنتُ أجهِّز إجابتي حين قالت دِبرا: «يُحاول تيم باستمرارٍ أن يجعلَ التجربة الكلية أكثر انطباعية وأقلَّ حاسوبية. إنه مُخطئ بالطبع. فنحن لا نُريد مُحاكاة تجربة مُشاهدَة العرض، بل نرغَب في أن نتجاوَزَها.»

أومأ تيم على مَضَضٍ قائلًا: «نتجاوزها، بالطبع. ولكن الطريقة التي سنفعل بها ذلك هي من خلال جعْلها تجربة «إنسانية»، بأن نَشعُر كما لو كنا مكان الرؤساء؛ بأن تكون التجربة قائمة على التعاطُف. ما الجدوى من التخليق السريع لِحِفنةٍ من الحقائق الجافَّة المجرَّدة ووضعها في دماغ أحدهم؟»

الفصل الرابع

اقتنعتُ بثلاثة أشياء بعد قضائي ليلةً كاملة في قاعة الرؤساء:

(١) أنَّ أتباع دِبرا هم من قتلوني، ولتذهَبْ حُجَج غِيابهم إلى الجحيم.
(٢) أنَّهم سيَقتلونَني مرَّةً أخرى حينما يَحين الوقت للتخطيط للاستيلاء على القصر المسكون.
(٣) أنَّ الأمل الوحيد لإنقاذ القصر هو القِيام بضربةٍ استباقية مُضادَّة: لا بُدَّ أن نُوجِّه لهم ضربةً قاسية مُوجِعة.

دُعِيت أنا ودان لنَشهد ثماني ساعات مُتواصلة من العمل الدقيق في قاعة الرؤساء؛ إذ عمِل أتباع دِبرا بتعاونٍ سَلِس وُلِدَ من رحم المِحَن التي مَرُّوا بها في بكين. تنقَّلَت دِبرا بين الفِرَق المختلفة وهي تُقدِّم اقتراحاتها تارة باللفظ وتارة بلغة الجسد على حدٍّ سواء، تاركة في أعقابها دفقاتٍ من النشاط المُلهِم.

كانت هذه الدِّقَّة هي ما قادَتْني للاقتِناع بالنقطة الأولى؛ فأيُّ فريق عمل بهذا القدْر من الدقَّة والإتقان يمكن أن يفعل أي شيء إن كان يُعزِّز خُطَّتهم. فريق؟! سُحقًا، سأُسَمِّي الأشياء بمُسمَّياتها: إنَّهم جَيش.

أما النقطة الثانية، فقد خطرَت لي حينما اختبرتُ نموذجًا من بناء لنكولن الذي أتمَّ تيم تنفيذه في حوالي الثالثة فجرًا بعد مُشاورات مُكثفة مع دِبرا. إن السِّمة المُميِّزة لأيِّ لعبةٍ رائعة أنها تَصير أفضل في المرة التالية، إذ تبدأ التفاصيل والزخارف المُختلفة في التأثير على وَعيك. فقد كان القصر يَعجُّ بمظاهر البَهرجَةِ الرَّخيصة والأشكال والتفاصيل الماكرة التي تتسلَّل إلى تجرِبَتك في كلِّ جولة مُتعاقِبة.

بينما كنتُ أحوِّل نظام التشغيل إلى خاصيَّة الولوج العام بدَّل تيم وضع قدَمَيه بعصبية مُنطلقًا بفخر، وبصعوبة استطاع التحكم في حِدَّته. حمَّل تيم التطبيق على دليلي العام وشغَّلتُه أنا بحماس.

الرب! الرب! ولنكولن وَطلقات المَدافع والخطابة والمَحاريث والبِغال والمعاطف! غمرتْني كلُّ هذه الأشياء واخترقتْني واصطدمَتْ بجُمجُمتي من الداخل وارتدَّت. امتازت التجربة الأولى التي عايشتُها بشكلٍ من أشكال الترتيب، بطابعٍ سَردِي، أما هذه التجربة فكانت عبارةً عن صورٍ مُتكاملة مُجمَّعة في كتلةٍ واحدة غير مُتمايِزة غمرتْني تمامًا حتى فاضت. كان الأمر مُرعبًا لوهلة؛ إذ بدا كيان لنكولن يُهدِّد شخصيتي نفسها، وبينما كان على وشْك الاستحواذ عليَّ، إذ بدأ في التَّراجُع والخُفوت تارِكًا وراءه دَفْقة من الإندروفين والأدرينالين جعلتْني أرغبُ في القفز.

شهقتُ قائلًا: «تيم! تيم! كان هذا ...» خانَتْني الكلمات. أردتُ أن أحتَضِنَه. فكرتُ في كل الأشياء التي يُمكن أن نفعلها للقصر عبر هذه التجربة! يا له من رُقِي! أن تُطبَع هذه التجربة مُباشرة دون اللجوء إلى الأعْيُن الغبية العَمياء والآذان الصمَّاء السميكة.

انفرَجَت أسارير تيم وابتهج، وأومأت دِبرا بجِدِّية وهي جالسة على عرشها. سألني تيم: «هل أعجبتك التجربة؟» أومأتُ وترنَّحتُ إلى الخلف تِجاه مقعد المسرح حيث كان دان نائمًا مُلقيًا رأسه إلى الخلف، وينطلِق صوتُ شخير خافتٍ يهزُّ حلقه.

بدأ الإدراك يعود إلى عقلي شيئًا فشيئًا ومعه شعور بالحَنَق. كيف يَجرءون؟ لا يُمكن للحلول التوفيقية الرائعة للتكنولوجيا والنفقات التي تمخَّضت عنها ألعاب ديزني لاند — الألعاب التي أمتعت العالم أجمع لقرنَين وأكثر من الزمان — أن تتنافَس ندًّا لِندٍّ مع ما يعملون عليه على أيِّ نحو.

شبَّكتُ يديَّ في حِجري. لماذا لا يفعلون هذا في مكانٍ آخر بحقِّ الجحيم؟ هل كانوا مُضطرِّين لتدمير كلِّ ما أحببتُه لتنفيذ هذا؟ كان يُمكِنهم أن يُنفِّذوا هذه التِّقنية في أيِّ مكانٍ آخر؛ كانَ يُمكنهم أن يَنشروها عبر الإنترنت ويلِجَ الناس إليها من غُرَف مَعيشتهم!

ولكن هذا لن يَصلُح أبدًا. إن تنفيذه هنا كان أفضل للووفي القديم، سيُعيدون تجديد مُتنزَّه عالَم ديزني ويُسيطِرون عليه. ثلاثمائة عضوٍ ازدَهَروا فيه سابقًا سيحلُّ محلَّهم عضوٌ واحد فقط يُدير بِسلاسةٍ مُتنزَّه تتجاوَزُ مِساحته ضِعف مِساحة ولاية مانهاتن.

نهضتُ وخرجتُ من المسرح غاضبًا مُتَّجهًا إلى ساحة الحرية والمُتنزَّه. صار الجوُّ باردًا دون الوصول إلى حدِّ الجفاف، وسَرَتْ رعشة بردٍ رطبةٍ بِطول ظهري جعلَتْ نَفَسي يقِف

في حلقي. التفتُّ لأتأمَّل قاعة الرؤساء، رأيتُها شامخة مُتماسِكة كما كانت دائمًا منذ صباي وقبل ذلك، كانت بمثابة نُصبٍ تذكاريٍّ للمُبتكرين الذين توقَّعوا ظهور مجتمع الروعة وكانت مَصدر إلهامٍ له.

اتَّصلتُ بدان الذي كان لا يزال يغطُّ في النوم في خلفية المسرح وأيقظتُه، فأصدَر صوت نَخير غير مفهوم في قَوقعة أُذُني.

قلت: «هم من فَعلوها؛ هم من قَتَلُوني.» كنتُ أعلمُ أنهم من فعلوا ذلك، وكنتُ سعيدًا؛ لأن هذا جعل ما سأفعله بعد ذلك أسهل.

ردَّ دان قائلًا: «يا إلهي! إنهم لم يقتلوك؛ لقد قدَّموا نُسَخَهم الاحتياطية، ألا تتذكر؟ لا يُمكن أن يكونوا هم من فعلوها.»

صرختُ قاطعًا هُدوءَ الليل الذي خلا من الناس: «هُراء! هُراء! لقد فعلوها وعبَثوا بِنُسَخهم الاحتياطية بطريقةٍ ما. لا شكَّ في ذلك مُطلقًا. كلُّ شيءٍ مُنظَّم ودقيق، وإلَّا كيف استطاعوا إنجاز كلِّ هذا التقدُّم في القاعة بهذه السرعة؟ لقد كانوا يَعرفون أنَّ كلَّ ذلك سيحدُث، ودَبَّروا حدَثًا للإلهاء، ثُمَّ أكملوا في طريقهم. لا تُخبِرني أنك تَعتقِد أن هذه الخُطط كانت موجودةً وأنهم شرَعوا في تنفيذها حينما استطاعوا.»

زمْجَرَ دان وسمعتُ صوت طقطقة مفاصله. لا بُدَّ أنه كان يَمطُّ جسمه. تنفَّسَ المُتنزَّه من حولي بأصوات عُمَّال الصيانة الذين كانوا يُهرولون جَيئةً وذَهابًا في الليل. قال دان: «أنا أُصدِّق ذلك. من الواضِح أنك لستَ مُقتنِعًا. ليست هذه المرة الأولى التي نختلِف فيها. إذن ماذا بعد؟»

أجبتُ قائلًا: «الآن سننقِذُ القصر. الآن سنُحارِبهم.»

قال دان: «تبًّا!»

لا بُدَّ أن أعترِف أنَّ جُزءًا منِّي كان مُتفقًا مع رأي دان.

واتَتْني الفُرصة لاحقًا في ذلك الأسبوع، كان أتباع دِبرا المُتباهُون يُعلِنون عن تقديم استِعراضٍ تمهيدي خاصٍّ لقاعة الرؤساء لباقي أعضاء اللجنة الذين يعملون في المُتنزَّه. كانت جرأةً شديدة أن يَسمحوا للشخصيات المؤثرة الأساسية في المُتنزَّه بالدخول قبل وقتٍ طويل من إصلاح الأعطال. إذا مرَّت عملية التشغيل بشكل سلس، فستَحُوز الانبِهار الذي سيضمَن بدَوره الاستمرار في حصولهم على الدعم أثناء استكمال المُهمَّة، أما إذا فشِل العرْض التجريبي، فسوف يكون ذلك بمثابة النهاية لهم. كان العديد من الناس في المتنزَّه

لدَيهم ارتِباط عاطفي بقاعة الرؤساء، وأيًّا كان ما توصَّلَت إليه دِبرا، فلا بُدَّ أن يُشبِع تَوْقَهم.

بينما كنتُ أوجه عرَبتي الصغيرة من المنزل إلى ساحة انتظار السيارات المخصَّصة لأعضاء طاقم العمل حدَّثتُ دان قائلًا: «سأفعلها أثناء العرض التجريبي.» استرقتُ النظر إليه حتَّى أُقيِّمَ ردَّ فعله، فوجدتُ وجهه أجوَفَ خاليًا من أيِّ تعبير.

«لن أُخبِر ليل، من الأفضل ألَّا تعلم شيئًا، سأتَّبِع سياسة الإنكار المَنطِقي.»

قال دان: «وأنا؟ ألا أحتاج أنا أيضًا إلى سياسة الإنكار؟»

«لا، لا تحتاجها. أنت دخيل، يُمكنك الادِّعاء بأنك كنتَ تعمل بمُفردك؛ أي تعمل مُستقلًّا تمامًا.» كنتُ أعلم أن هذا لم يكن عدلًا؛ فقد كان دان هنا ليعيد بناء رصيده من الووفي، وإذا تورَّط في خُطَّتي القذِرة، فسيُضطرُّ للبَدء مرةً أخرى من الصِّفر. كنتُ أعلم أنَّ هذا لم يكن عدلًا، ولكنني لم أبالِ، كنتُ أعلم أننا نُحارِب من أجل البقاء. «إنه الخَير في مُواجهة الشرِّ يا دان، أنت لا ترغَب في أن تُصبح من سلالة ما بعد البشر، بل أن تظلَّ إنسانًا. والألعاب بشرية، كلُّنا نقوم فيها بدور الوسيط من خلال تجاربنا. نكون داخلها جسمانيًّا، وتتحدَّث إلينا عبر حواسِّنا، أما ما يَبنيه أتباع دِبرا فما هو إلَّا هُراء؛ خلق عقل واحدٍ مُشترك للجميع. زرْع الأفكار على نحوٍ مباشر، يا إلهي! هذه ليست تجربة، بل غسيل دماغ! لا بُدَّ أن تعلم ذلك.» كنتُ أجادل نفسي تمامًا مِثلما أجادِلُه.

اختلستُ النظر إليه مرة أخرى وأنا أنطلق مُسرعًا على طُرُق ديزني الخلفية التي تصطفُّ حولها أشجار صُنوبر فلوريدا المُتعرِّقة واللافتات الأرجوانية النظيفة. كان دان ينظر نظرةً تأمليَّة تمامًا كما كان يفعل في الماضي في تورونتو. تبدَّدَ بعض التوتُّر الذي كنتُ أشعر به. كان يفكر في كلامي، لقد نجحتُ في إقناعه بالتفكير في الأمر.

ردَّ قائلًا: «جولز، هذه ليست فكرةً جيدة.» ضاق صدري وربتَ دان على كتفي. كانت لديه القُدرة على طمْأَنَتي حتى وهوَ يُخبِرني بأنني أحمق. «حتى لو كانت دِبرا وراء اغتيالك، وهذا ليس أكيدًا — كلانا يَعلَم ذلك — حتى لو كان هذا هو الوضع، فلدَينا طرُق أخرى أفضل في جَعبتنا، كتطوير القصر ومنافستها ندًّا لِند، هذا هو الذكاء. أعطِ الأمر بعضَ الوقتِ وسنتمكن من الانتِقام منها والاستيلاء على القاعة وحتى على القراصنة؛ سيجعلها هذا تَستشيط غضبًا. يا إلهي! إذا تمكنَّا من إثبات أنها كانت وراء الاغتيال، يُمكنُنا طردُها. الآن، لن تُفيدك الأعمال التخريبية في شيء. لديك العديد من الخيارات الأخرى.»

«ولكن جميعها ليست سريعةً بما يكفي ولا تَشفي غليلي، أما هذه الطريقة فبها بعض الجرأة.»

وَصلْنا إلى ساحة انتظار السيارات المُخصَّصة لأعضاء طاقم العمل وأوقفتُ السيارة في أحد أماكن الانتظار الفارغة ثم خرجت من السيارة بسرعة قبل أن تُتاح لها فرصة لإخراج مِقبَس إعادة الشحن. سمعتُ صوت باب دان يُغلَق بعنفٍ خلفي وعرفتُ أنه كان يَتبعُني.

اتَّجهنا إلى أنفاق المرافق عابِسين. مررتُ أمام الكاميرات وأنا أعلم أن صورتي ستُحفظ في الأرشيف وأن وجودي قد سُجِّلَ بالفعل. اخترتُ وقت هجومي بحِرص؛ فبوصولي في مُنتصف الظهيرة، كنتُ ملتزمًا بنمطي التقليدي في مُشاهدة ديناميكيات تفاعل الحشود في الطقس الحار. حرَصتُ على زيارة المكان مرَّتَين في نفس الوقت خلال الأسبوع الماضي والتلكؤ في المَخازِن قبل التوجُّه إلى الأدوار العلوية، ومن ثَمَّ لن يكون في الفترة ما بين توقيت وصولي بالسيارة وظهوري في القصر تضارُب.

لازَمَني دان كظلِّي وأنا في طريقي إلى المخازن، ثم سِرتُ مُلاصقًا للجِدار في المنطقة التي لا تكشِفها الكاميرا. قديمًا في أوائل أيامي بالمُتنزَّه، حينما كنتُ أغازل ليل، أرَتْني المِكنسةَ الكهربائية، وهي نظام التخلُّص من النفايات من خلال الهواء المضغوط القديم الذي استُغنِي عنه في القرن العشرين. كان الأطفال الذين نشئوا في المُتنزَّه معروفِين بحُبِّهم لاستِكشاف الأنابيب، التي كانت لا تزال تفوح منها رائحةٌ خفيفة لأكياس القمامة، التي كانت في وقتٍ ما تكسَحها بسرعة ستِّين ميلًا في الساعة وتُفرغُها في مقلب القمامة الذي يقَع على أطراف المُتنزَّه، ولكن بالنسبة لطفلٍ شُجاع ورشيق، كانت هذه الأنابيب بمثابة أرضٍ للعجائب تقَع تحت الأرض يَجِب استكشافها حينما تفقِد التجارب التي تُستخدَم فيها تطبيقات الوسائط المتعدِّدة للمُتنزَّه بريقَها.

ابتسمتُ ابتسامةً شرسة وفتحتُ باب مَدخلِ الخدمات وهمستُ لـ «دان» قائلًا: «لو لم يَقتلوني ويُجبروني على اتِّخاذ جسدٍ جديد، لربَّما لم أصبح بالليونة الكافية لأتمكن من الدخول. إنها سُخرية الأقدار. أليس كذلك؟»

تسلَّقتُ مُتسللًا إلى الداخل دون انتظار ردٍّ من دان، وبدأتُ أشقُّ طريقي ببطءٍ أسفل قاعة الرؤساء.

غطَّتْ خُطَّتي كلَّ التفاصيل التي يُمكن تصوُّرها، سوى تفصيلةٍ واحدة لم تخطُر ببالي إلا بعدَ قضائي أربَعين دقيقة داخل أنبوبة الهواء المضغوط وذِراعاي مَمدودَتان أمامي وساقاي مَفرودَتان خلفي كالسبَّاحين.

كيف سأتمكن من الوصول إلى جيوبي؟

لأكون أكثرَ دقَّة، كيف سأتمكن من الحصول على مُسدَّسي ذي التردُّدات اللاسلكية العالية الطاقة من جَيب سروالي الخلفي وأنا لا أستطيع حتى أن أَثْنِيَ مرفقيَّ؟ كان هذا المُسدَّس هو أساس الخطة؛ فهو عبارة عن مولِّدِ تردُّدات لاسلكية عالية الطاقة من خلال شُعاع مركَّز وموجَّه سيخترِق أرضية قاعة الرؤساء ويشقُّ طريقه صعودًا صاهرًا كلَّ البقايا اللعينة للإلكترونيات المكشوفة التي تقابِلُه في المبنى. نبتَتْ بذور هذه الفكرة في رأسي خلال العرض التجريبي الأول لتيم حينما رأيتُ كل نماذجه الأولية الموضوعة بالكواليس مُبعثرة، وأغطيَتُها مفتوحة ويُمكن العبَث بها بسهولةٍ دون أي حماية.

قلتُ بصوتٍ مكتوم على نحوٍ غريب بفِعل جُدران الأنبوب: «دان!»

أجاب قائلًا: «نعم!» كان صامتًا طوال الطريق وكان دليلي الوحيد على وجوده هو صوت مرفقه وهو يُحاول جرَّ نفسه إلى الأمام عبر الأنبوب المُعتم.

«هل يُمكنك الوصول إلى جَيبي الخلفي؟»

أجاب: «أوه، تبًّا!»

«اللعنة! احتفِظ بتعبيراتك اللعينة لنفسك. أيُمكنك الوصول إلى جَيبي أم لا؟»

بينما كان يَجذِب نفْسه إلى أعلى داخل الأنبوب سمعتُه يُزمجِر، ثم شعرتُ بيده تتحسَّس ساقي، وسُرعان ما شعرتُ بصدره يُطبِق على ساقيَّ ويَحُكُّهما بأرضية الأنبوب بقوةٍ ويدُه تَنبُش حول مُؤخِّرتي بحثًا عن الجيب.

قال: «يُمكنني الوصول إليه.» عرفتُ من صوته أنه لم يكن سعيدًا بصِياحي فيه، ولكنني كنتُ مُنهمِكًا للغاية لأفكر في الاعتِذار منه، على الرغم من التأثير السلبي الحَتْمي الذي كان يُصيب رصيدي من الووفي في هذه الأثناء بينما كان غضبُ دان يتصاعد.

أخذ يتحسَّس جَيبي بحثًا عن المُسدَّس، وهو أسطوانة ضيِّقة بطول راحة يدي، ثم أخرجه من جَيبي وقال: «ماذا الآن؟»

«هل يُمكنك أن تُمرِّره لي؟»

زحف دان إلى أعلى، مُتجاوزًا إياي، ولكنَّه لم يلبَث أن علِق بي بمجرَّد أن لامس قفَصُه الصدري عضلات فَخذي وقال: «لا يُمكنني التقدُّم أكثر من ذلك.»

قلت: «حسنًا، سوف تُضطرُّ إلى إطلاق النار إذن.» حبستُ أنفاسي، هل سيفعلها؟ شتَّان بين أن تكون شريكًا في فعلٍ مُدمِّر وأن تكون مُنفِّذَه.

ردَّ دان قائلًا: «يا إلهي! جولز!»

«قُل نعم أو لا يا دان. هذا كلُّ ما أريد سَماعه منك.» كان الدَّمُ يَغلي في عُروقي؛ كنتُ غاضبًا من نفسي، ومن دان، ومن دِبرا، ومن الأمر برمَّته.

ردَّ قائلًا: «حسنًا.»

«جيد، عليك أن تضبِطه على درجةِ التَّشتيت القُصوى وتُوجِّهه إلى أعلى في خطٍّ مُستقيم.»

سمعتُه وهو يُحرِّر المِزلاج، وشعرتُ بفرقعةٍ ساكِنة في الهواء ثُمَّ انتهى الأمر. كان من مُسدَّسات الطلقة الواحدة، صادَرْتُه من أحد الزوَّار المُشاغِبين قبل عشر سنوات، في الوقت الذي ظهرَت فيه هذه الأسلحة كموضةٍ لفترة قصيرة.

حدَّثتُ دان قائلًا: «تشبَّث به.» إذ لم أكن أنوي أن أُخلِّف ورائي دليلًا صغيرًا كهذا. واصلتُ الزَّحفَ على بطني تجاه مَنفذ الخدمات التالي الذي يقَع بالقُرب من ساحة انتظار السيارات، حيث خبَّأتُ ملابس بديلةً مُطابقة لما يَرتديه كِلانا.

نجحْنا في العودة مع بداية العرْض التجريبي مُباشرة. كان أفراد اللجنة التابِعة لدِبرا يجلسون مُصطفِّين حول مقصورة المسرح السُّفلى في قاعة الرؤساء، بالإضافة إلى لفيفٍ من الأعضاء المؤثرين من اللجان الأخرى الذين ملئوا منطقة انتظار بدء العرض حتى آخِرها.

تقدَّمتُ أنا ودان في الوقت الذي كان يُدلِّي فيه تيم الحبلَ المُخمَلِيَّ خلف الجمهور. ابتسم لي ابتسامةً صادقة وصافَحَني، فابتسمتُ له بدوري وأنا في قمَّة الرضا الآن لمعرفتي أنه سيفشَل فَشلًا ذريعًا. وجدتُ ليل وأخذتُ يدَها في يدي في طريقنا إلى صالة العرْض التي كانت تفوح برائحة غسول سجاد السيارات والإلكترونيات الجديدة.

اتَّخذنا مقاعدنا وأخذتُ أحرِّك ساقي بحركةٍ عصبية قهرية، في حين كانت دِبرا تُلقي خطابًا قصيرًا، مُرتدِية مِعطف لنكولن وقُبَّعته الطويلة. كان هناك ما يُشبه منصَّة بثٍّ مُثبَّتة فوق المسرح الآن حتى تَسمح لهم بتسليط شُعاع تطبيقهم كاملًا تِجاهنا من خلال دفقةٍ واحدة هائلة.

انتهت دِبرا من خِطابها وغادرت المسرح الذي ضجَّ بعاصفةٍ من التصفيق المُهذَّب ثم بدءوا العرض التجريبي.

لم يحدُث أيُّ شيء، وحاولتُ ألَّا ترتسِم على وجهي ابتسامة الرضا العريضة في هذه الأثناء. لم يدقَّ أي صوت في قوقعة أذني ليدُلَّ على وجود أيِّ ملفٍ جديدٍ في دليلي العام، ولم أشعر بأي دفقة من الأحاسيس، لا شيء. التفتُّ إلى ليل لأُدلي بمُلاحَظةٍ ما مُختالًا، ولكنَّ عينيها كانتا مُغلقَتين وفمها يتدلَّى مفتوحًا وتَزفِر أنفاسًا قصيرة. وكان جميع أعضاء فريق العمل بالصفِّ في الحالة نفسها من التركيز العميق الممزوج بالانبهار. جذبتُ شاشة ذهنية تشخيصية، ولكن لم أجِد أيَّ شيء، لا تشخيصات، ولا شاشة ذِهنية. أعدتُ التشغيل عن طريق إغلاق النظام ثم تَشغيله مرَّةً أخرى.

لا شيء.

كنتُ غيرَ مُتَّصِل.

غير مُتَّصِلٍ، هكذا كانت حالتي حينما غادرتُ قاعة الرؤساء. غير مُتَّصِلٍ، أخذتُ يدَ ليل ومَشَينا إلى منطقة التحميل الخاصة بليبرتي بيل، المكان الذي نُجري فيه أحادِيثَنا الخاصة. غير مُتَّصِلٍ، أخذتُ منها سيجارة.

كانت مُنزعِجةً وكان هذا واضحًا لي على الرغم مما كان يُخالِجني من تشوُّشٍ واندِهاش لكوني غير مُتَّصِلٍ. واغرورَقَت عيناها بالدُّموع.

قالت بعدَ وهلةٍ من التَّحديق بضوء القمر المُنعكس على النهر: «لماذا لم تُخبرْني؟»

قلتُ ببلاهة: «أُخبرِك؟»

«إنهم جيِّدون بالفِعل، إنهم ماهرون. إنهم أفضل منَّا، يا إلهي!»

ولأني غير مُتَّصِلٍ، فشِلتُ في إيجاد أيِّ إحصائياتٍ أو إشارات تُساعدني في مُناقشة الأمر. غير متصلٍ، حاولتُ دون مُساعدة وقلت: «لا أظنُّ ذلك. لا أظنُّ أنَّ لهم رُوحًا أو تاريخًا أو أيَّ شكلٍ من أشكال الصِّلة بالماضي. لقد شبَّ الناس جميعًا في مُدن ديزني، وهم يزورون هذا المكان من أجل الاستمرارية بقدْر ما يزورونه للترفِيه؛ وهذا ما نُقدِّمه نحن.» كنتُ غيرَ مُتَّصِل، ولكنهم ليسوا كذلك. ماذا حدَث بحقِّ الجحيم؟

«سيكون كلُّ شيءٍ على ما يُرام يا ليل. لا يُوجَد أيُّ شيءٍ في هذا المكان أفضل منَّا؛ يُوجَد ما هو حديث ومُختلِف، ولكن ليس ما هو أفضل. أنتِ تعلمين ذلك؛ لقد قضيتُ وقتًا في القصر أكثرَ من أيِّ شخصٍ آخر وتَعلمين كمَّ العمل والمجهود والتحسينات الذي بُذِل فيه. كيف يُمكن لِما أُنتِجَ في أسبوعين أن يكون أفضلَ من هذا المكان الذي حافَظنا عليه طَوال كلِّ هذه السنوات؟»

وضعَتْ ظهرَ كُمِّها على عَينيها وابتسمَت قائلة: «أنا آسِفة.» كان أنفُها أحمر وعيناها مُنتفِخَتَين وبرَز النَّمَش على خَدَّيها المُتورِّدَين. «آسِفة، ولكن الأمر صادِم. ربما تكون على حق، وحتى إن لم تكن كذلك، مهلًا، هذا هو الهدَف من مبدأ الجَدارة. أليس كذلك؟ البقاء للأجدَر وكلُّ الأشياء الأخرى تُسْتَأْصَل ليَحلَّ مَحلَّها.

تبًّا، أكرَه شكلي عندما أبكي. دعْنا نذهَب لنُهنِّئهم.»

عندَما أمسكتُ يدَها لنذهب، كنتُ سعيدًا بنفسي على نحوٍ غير مفهوم لنجاحي في تَحسين مِزاجها دُون أيِّ مُساعدة اصطِناعية.

لم أرَ دان في أيِّ مكانٍ ونحن نَعتلِي المسرح بقاعة الرؤساء أنا وليل، حيث كانت دِبرا وأتباعها ولفيف من المُهنِّئين يَحتفلون بتمرير قِطعةٍ من حجَر الكوكايين فيما بينهم. تفقَّدَتْ دِبرا المِعطف والقُبَّعة وكانت في حالة مُفرِطة من الاسترخاء والنشوة، يُطوِّق ذراعاها اثنَين من رِفاقها والغليون بين أسنانها.

بينما نُحاول أنا وليل شقَّ طريقنا عبر العديد من المُجامَلات المُرائية ابتسمَتْ دِبرا ولا يزال الغليون في فمِها، وأومأت لنا، ثم سحبَتْ نفَسًا طويلًا من الدُّخان وكان تيم يُشعِل لها وعاء الغليون كاملًا.

ردَّتْ باقتضاب: «شكرًا، لقد كان مجهودًا جماعيًّا.» واحتضنَتْ صديقَيها بشدَّةٍ حتى كادت أن تدْمَغَ رأسيهما معًا.

قالت ليل: «ما جَدولُك الزَّمني إذن؟»

بدأت دِبرا بإلقاء خُطبةٍ عصماء مُطوَّلة عن المسارات الحَرِجة، والمراحل الرئيسة، واجتماعات مُناقَشة المُتطلَّبات، ولم أكن مُنصتًا لما تقول. أما أتباعُها فكانوا يَعشقون هذه التفاصيل الخاصَّة بسَير العملية. حدَّقتُ إلى قدميَّ وألواح الأرضية، وأدركتُ أنها ليست ألواحًا أرضية، بل رسمٌ يُحاكي شكل الألواح الأرضية مرسومٌ على قِطَعٍ نُحاسية مُعشَّقة؛ نفس فكرة قفَص فاراداي. لهذا لم يُحدِث المُسدَّس الذي يُطلِقُ ترددُاتٍ لاسلكية عالية الطاقة أيَّ تأثير؛ لهذا لم يُبالوا بالمرَّة بالعمل على كمبيوتراتهم وهي مكشوفة دون حِماية. تتبَّعتُ النُّحاس الواقي الذي امتدَّ عبر المسرح بأكمِله وبطول الجُدران حتى اختفى عند السقف. وصُعِقتُ مرة أخرى من مدى ما بلَغَه أتباع دِبرا من تطوُّر، وكيف حصَّنَتْهم تجربتهم القاسِية في الصين ضِدَّ هذا النوع من الخِدَع الرديئة التي اختلقَها أمثالي من قُدامى فلوريدا عَتيقي الطراز.

على سبيل المِثال، لم أكن أظنُّ أن أيَّ عضوٍ من أعضاء طاقم العمل في المُتنزَّه خارج زُمرة دِبرا سيكون لديه الجرأة ليُخطِّط لعملية اغتيال. بمُجرَّد وُصولي إلى هذا الاستِنتاج، أدركتُ أنها كانت فقط مسألة وقتٍ حتى يُخططوا لعملية اغتيالٍ ثانية وثالثة ورابعة؛ أيُّ شيءٍ يُمكنهم أن يُفلِتوا منه دون عِقاب.

انتهت دِبرا أخيرًا من حديثها وانطلقْتُ أنا وليل بعيدًا. وقفتُ أمام محطة النَّسْخ الاحتياطي في الممرِّ ما بين ساحة الحرية وأرض الخيال وسألتُها قائلًا: «متى كانت آخِر مرةٍ أُجرَيتِ فيها نَسْخًا احتياطيًّا؟» إذا أمكنهم مُلاحَقَتي، إذن ربَّما يُلاحِقون أيًّا منَّا.

ردَّت: «أمس.» كان وَجهُها يعكِس ما تُعانيه من إعياءٍ ووَهَن؛ فلم تبدُ كأحد أفراد طاقم العمل الدَّءوبِين، بقدْر ما بدَت أشبهَ بزائرةٍ أفرطت في خَوض التجارب الوَسيطة.

«لِنَقُم بعملية نَسخٍ احتياطي أخرى. حسنًا! علينا أن نقوم بالنَّسخ الاحتياطي ليلًا وفي وقتِ الغَداء؛ ففي ظلِّ الظروف الحالية لا يُمكننا أن نتحمَّل خسارة عملِ ما بعد الظهيرة، فما بالُك بعمل أسبوعٍ كامل؟»

أدارَتْ ليل عيْنَيها مُستنكِرة، كنتُ أكثرَ حكمةً من أن أُجادِلها وهي مُتعَبة، إلَّا أنَّ هذا الأمر كان مصيريًّا وأهمَّ من أن يُتجاهَل تفادِيًا للشِّجار. فقالت: «يُمكنك القِيام بالنَّسخ الاحتياطي كيفما تشاء يا جوليوس، ولكن لا تُمْلِ عليَّ كيف أعيش حياتي. اتَّفقنا؟»

«بربِّك يا ليل! لن يَستغرِق الأمر إلَّا دقيقة وسيُشعِرني بتحسُّنٍ كبير، أرجوكِ!» كنتُ أكره نَبرةَ الأنين في صَوتي.

أجابت قائلة: «لا يا جوليوس، لا. لِنَعُد إلى المنزل ونأخُذ قسطًا من النوم. أريدُ القيام ببعض العمل على السِّلَع الجديدة الخاصَّة بالقصر؛ بعض المُقتَنَيات التي يُمكن شراؤها.»

«بحقِّ الرب! هل ما أطلُبه بالأمر الجَلَل؟ حسنًا، انتظري إذن حتى أقوم أنا بالنَّسخ الاحتياطي. اتَّفقنا؟»

زمجرتْ ليل ورَمَقتْني بنظرةٍ غاضبة.

اتَّجهتُ إلى المحطة وأعطيتُ أمرَ النَّسخ ولكن لم يحدُث أيُّ شيء. أوه، نعم بالطبع، لقد كنتُ غير مُتَّصِل. غَمَرَ عرَقٌ بارِد جسدي الجديد.

استحوذَت ليل على الأريكة بمُجرَّد دخولنا المنزل، وكانت تُغمغِم بشيءٍ عن رغبتها في العمل على بعض الأفكار الخاصَّة بالسِّلَع المُراجَعَة التي وَاتَتْها. رَمقتُها بنظرةٍ غاضبة وهي

تتحدَّث لاصوتيًّا وتكتُب على الهواء وهي جالِسة في الرُّكن مُنعزِلة عنِّي. لم أكن أخبرتُها بعدُ بأنني غير متَّصِل؛ فقد بدا الأمر وكأنه مُجرَّد شكوى شخصية تافِهة مُقارَنةً بالأزمات التي كانت تُواجِهها.

كما أنها لم تكن أولَ مرَّة يَنقطِع فيها اتِّصالي بالشبكة، على الرغم من أنَّ هذا لم يحدُث منذ خمسين عامًا، وعادةً ما يحدُث حين لا يُصحِّح النظام نفسه بعد ليلةٍ من النوم الهانئ. وكان بإمكاني زيارة الطبيب في الصباح التالي حالَ استِمرار الخَلَل.

لِذلك اتَّجهتُ ببطءٍ إلى الفِراش، وحينما أيقظتْني الرَّغبة في التبوُّل وسط الليل، اضطُرِرتُ للذهاب إلى المطبخ لأعرِف الوقتَ من ساعتِنا القديمة التي على شكل نجمةٍ مُشعَّة. كانت الثالثة صباحًا، ولكن متى بحقِّ الجحيم تخلَّصْنا من جميع الساعات الموجودة بالمنزل على أية حال؟

كانت ليل تغطُّ في النوم على الأريكة وتذمَّرتْ بوَهَنٍ حينما حاولتُ إيقاظها، فغطَّيتُها ببطانية ثم عدتُ إلى الفِراش مرَّةً أخرى وَحيدًا.

استيقظتُ من النوم مُشوشًا ونَكِدَ المِزاج دُون دَفقة الإندروفين الصباحية التي اعتدتُها. اختفَت أحلام الموت والدَّمار التي بدَت حقيقيةً تمامًا بمجرَّد نُهوضي. كنتُ أفضِّل أن أترُك اللاوعي يتصرَّف بطريقته؛ لذا برمجْتُ أنظمتي منذ زمن طويل على إبقائي نائمًا أثناء دَورات حركات العَين السريعة، إلَّا في حالات الطوارئ. خَلَّفَ الحُلم مَذاقًا كريهًا في ذِهني وأنا أدخل المطبخ مُترنِّحًا حيث كانت ليل تَصنع القهوة.

قالت ليل وأنا أترنَّح عند دخولي: «لماذا لم تُوقِظْني بالأمس؟ أشعُر بألمٍ شديد من النوم على الأريكة.»

كانت مَرِحةً ويَقِظةً كشخصٍ قادرٍ على أن يُعطِيَ جهازَه العصبيَّ أمرًا بأن يُنتِج الإندروفين والأدرينالين وقتما شاء. شعرتُ برغبةٍ في لَكْم الجِدار.

«ما كُنتِ لِتستجيبي.» ثم سكبَتِ القهوة في كوبٍ واحتسيتُها فحرَقَت لِساني.

«ولماذا استيقظْتَ مُتأخِّرًا هكذا؟ كنتُ آمُلُ أن تتولَّى إحدى المُناوَبات نِيابة عنِّي؛ لقد بدأتِ الأفكار الخاصَّة بالسِّلَع تتَّضِح وتتشكل، وكنتُ أرغَبُ في زيارة مَتجر الخَيال الابتكاري وتجربة بعض النماذج الأولية.»

«لا أستطيع.» حشَوْتُ فمي بشريحةٍ من الخُبز بالجُبن ولاحظتُ وجود طبقٍ به بقايا طعام في الحَوض. يبدو أن دان قد تناوَل طعامه وذهب بالفِعل.

قالت: «حقًّا؟» بدأ الدَّم يَغلي في عُروقي بقوَّة. ألقيتُ طبَق دان في غسَّالة الأطباق بعُنفٍ وحَشَرتُ الخُبز في فمي.

أجبتُ قائلًا: «نعم، حقًّا. إنها مُناوبَتُك أنت؛ فلتَتولَّيها بنفسك أو تَغِيبي بِحُجَّة المرض.»

تراجَعَت ليل. عادةً ما أكون المِثال الحيَّ للُّطفِ في الصباح، عندما تكون هرموناتي مُعزَّزة، على أيِّ حال. سألتْني ليل مُتَّبعةً أسلوب عضو فريق العمل الراغِب في تقديم المُساعدة: «ما الأمر يا عزيزي؟» واتَتْني حِينها رغبة في لَكْم شيءٍ آخَرَ إلى جانِب الجِدار.

«فقط دَعيني وَشأني، حسنًا؟ اذهَبي واعبَثي بالسِّلَع اللَّعينة. لديَّ عمل حقيقي لأقوم به؛ في حال لم تلحَظي، دِبرا على وشْكِ أن تَلتهِمَك أنتِ وزُمرتَك الصغيرة من المُغامِرين الشُّجعان ثم تُنظِّف أسنانها بِعظامِكم. بحقِّ السماء يا ليل! ألَا يراوِدُك الغضب حِيال أيِّ شيءٍ على الإطلاق؟ أليس لديكِ أيُّ شغَفٍ لَعين؟»

شحَبَتْ ليل وشعرتُ بِشعورٍ مُقْبِض داخلي. كان ما قُلتُه لها أسوأ ما يُمكن أن يُقال.

التقيتُ أنا وليل منذ ثلاث سنوات في حفل شواءٍ أقامه بعض أصدقاء والدَيها، كشكلٍ من أشكال التعارُف والاختلاط بين أفراد طاقم العمل. لم تكن قد تَجاوزَتِ التاسعة عشرة من العُمر حينئذ — في الشكل والواقع — تُحيط بها هالةٌ من الدَّلال والبهجة والنشاط، جعلتْني أتجاهَلُها في بادئ الأمر، مُعتبِرًا إيَّاها مُجرَّد عضوةٍ أُخرى من الأعضاء الأغبِياء التافِهين.

أمَّا والِداها — توم وريتا — على الجانب الآخر، فكانا شَخصَين رائعَين، وكانا من ضِمن أعضاء اللجنة الأصليِّين ممَّن استولَوا على السُّلطة في عالم والت ديزني، وانتزَعوا زمام الحُكم من عصابةٍ من المُساهِمين الأثرياء السابِقين الذين كانوا يُديرون المكان وكأنَّه حِكرٌ لهم. كانت ريتا تبدو في العِشرين أو نحوَ ذلك، ولكنَّها كانت تُشعُّ نُضجًا وتفانيًا مُتَّقِدًا تِجاه المُتنزَّه، وهو ما تناقَضَ بشكلٍ حادٍّ مع سطحيَّة ابنتِها.

كانا يتمتَّعان برصيدٍ غير عادي من الووفي، رصيد يفوق الخيال، ويفوق حاجة الإنسان. فكانت ثروتهما تفُوق ما يكفي للحصول باستمرار على الأشياء النادِرة القليلة الباقِية على سطح الأرض مرارًا وتكرارًا، في عالمٍ كان حتى الفاشِل الذي لا يملِك شيئًا في رَصيدِه من الووفي يستطيع الحصول على الطعام، والنوم، والسفر، والوُلوج إلى الإنترنت دُون أي مُشكلة.

تطرَّق حديثُنا إلى اليوم الأول لهما في ديزني، عندما استخدَمَت ريتا وزملاؤها آلةَ القطع باللِّحام لفتْح الأبواب الدوَّارة، ودخلوا جحافلَ وهم يرتَدُون أزياءً منزلية الصُّنع وبطاقات تعريف بأسمائهم. اخترقوا المَتاجر، ومراكز التحكُّم والألعاب بالمئات، في بادئ الأمر، ثم ازداد عددهم على مَدار ذلك اليوم الحارِّ من شهر يوليو حتى صاروا بالآلاف. حاوَلَ أتباع المُساهِمين الأوفياء، ممَّن عملوا بالمُتنزَّه تَحيُّنًا لفُرصةِ أن يَصيروا جُزءًا من هذا المكان الساحر، على الرغم من عدَم امتلاكِهم أيِّ سيطرةٍ على قرارات الإدارة، أن يُظهِروا بعضَ أمارات المُقاوَمة الشكليَّة. ولكن قبل انقِضاء اليوم، استَسلَم أغلبيتُهم للمُهاجِمين وسلَّمُوا شفرات الحماية الأمنية وانضمُّوا إلى صفوفهم.

قالت والِدةُ ليل وهي ترتشِف الليمونادة: «ولكننا كنَّا نعلَمُ أن المُساهمين لن يَستسلموا بهذه السهولة. جعلنا المُتنزَّه يعمل طَوال اليوم على مدار الأسبوعين التاليَين، فلم نُتِحْ للمُساهِمين أيَّ فرصةٍ للمقاومة؛ إذ لم يكن ذلك ليتمَّ دُون أن يكون أمام أعين الزوَّار. رتَّبْنا مُسبقًا مع أعضاء اللجنة المَعنيِّين بشركات الطيران لإضافة خطوطٍ جوية إضافية إلى ولاية أورلاندو، فتدفَّقَت أعدادٌ أكبر من الزوَّار على المُتنزَّه.» ابتسمَتْ وهيَ تتذكَّر تلك اللحظة، وكانت ملامِحها في لحظات السكون تكاد تُطابِق ملامِح ليل. فقط كانت ملامِحها تتغيَّرُ وهي تتحدَّث؛ إذ كانت عضلات وجهها تشدُّ بشرتَها بشكلٍ يَجعلها تبدو أكبر سنًّا بعشرات السنين.

«كنتُ أقضي مُعظَم الوقت في إدارة كشك بيع السِّلَع في مَتجر السيدة ليوتا الذي يقَع خارج القصر، وبينما أُبادِل المُساهِمين الشتائم بصوتٍ خفيض وهُم يُحاولون إبعادي عن المكان، كنتُ أصافح الزوَّار بحرارة. كنتُ أنام في كِيس نَومٍ على أرض أنفاق المرافق مع بضعِ عشراتٍ آخَرين في مُناوَبات عملٍ مُدَّتُها ثلاثَ ساعات، وحينها قابلتُ هذا الوغد ...» ثُمَّ دفَعَت زَوجها بكَتِفِها وأردفَتْ قائلة: «أخذَ أحدَ أكياس النَّوم بالخطأ ورَفَض التزَحزُح من مكانه حينما أتيتُ لأنام. كلُّ ما استطعتُ فِعله هو الزَّحف إلى جانِبه للنَّوم، ثمَّ حدَث ما حدَث كما يقولون.»

أدارت ليل عَينَيها مُستنكِرةً وأصدرَت أصواتًا لتُسكِتها قائلة: «يا إلهي! ريتا لا أحدَ يحتاج إلى سَماع تلك التفاصيل.»

ربتَ توم على ذِراع ليل قائلًا: «لقد صرتِ فتاةً ناضِجة يا ليل، إذا كنتِ لا تُطيقين سماع تفاصيل غزَل والِدَيك، يُمكنك أن تذهَبي للجلوس في مكانٍ آخَر أو تبتسِمي دونما اعتِراض، ولكن لا يُمكنك أن تُملي علينا موضوع الحديث.»

رمقتْنا ليل، نحن الكبار، بنظرةٍ شبابية غاضِبة للغاية وانتفضَت واقفةً وذهبتْ بعيدًا. بينما كانت ليل تُغادِر هزَّت ريتا رأسها وقالت: «هذا الجيل يَفتقِر إلى الحَماس، يَفتقِرون إلى الشَّغَف. إنه خطؤنا، كنَّا نظنُّ أنَّ عالَم دِيزني سيكون المكان الأمثلَ لتربية طفلٍ في مُجتمع الرَّوعة. ربما كان كذلك، ولكن ...» وخفَتَ صوتها تدريجيًّا حتى توقَّفَت عن الحديث وفرَكَت كفَّيْها على فَخْذَيها، وهي إيماءة عهِدتُها في ليل فيما بعد، ثم أردفَتْ قائلة: «أعتقِد أنه لم يعُد ثمَّة تحدِّيات كافية أمامهم هذه الأيام. إنهم مُتعاوِنون أكثَرَ ممَّا ينبغي.» وضحكتْ وأخذَ زَوجها يدَها.

قال توم: «إنَّنا نتحدَّث كآبائنا. حينما كُنَّا لا نزال صغارًا، لم يكن لدَيْنا أيٌّ من هذه الأشياء الحديثة التي تُطيل الحياة، لقد خاطرْنا بحياتنا مع دِبَبَةِ الكهوف والدَّيناصورات!» كان توم يبدو أكبر من سِنِّه، إذ بدا في الخمسين من عُمره، وقد كسا الشَّيبُ جوانب شَعْره وارتَسمَت على وجهه تَجاعيدُ الابتِسام، وكان يُفضِّل ألَّا يبدو أمام الزوَّار بمظهرٍ سُلطوي لا يحمِل أيَّ تهديد. كان من البديهيات لدى الرَّعيل الأول من أعضاء اللجنة أن تَبدوَ النساء شابَّاتٍ وأن يبدوَ الرجال أكبر سنًّا. «لسنا إلَّا زَوجَين من أُصولِيِّي مجتمع الروعة على ما أعتقِد.»

كانت ليل تُشارك في إحدى المُحادَثات القريبة منَّا حين نادَتْني قائلة: «هل أخبروك كم أنَّنا حفنة من المُخنَّثين يا جوليوس؟ حينما تَسأم من ذلك، لماذا لا تَنضمُّ إلينا لنُدخِّن معًا؟» لاحظتُ أنها وأصدقاءها يُمرِّرون فيما بينهم غليونًا من الكوكايين.

تنهَّدَت والِدَة ليل قائلة: «ما الفائدة؟»

أجبتُ قائلًا: «أوه، لا أعلم أنها بهذا السوء.» كان هذا هو أول ما نطقتُ به فعليًّا بعد الظهر. فقد أدركتُ بأسًى عميقٍ أنني كنتُ في ذلك المكان فقط من باب المُجامَلة، لم أكن إلَّا واحدًا من حشود الطامِحين الذين يَتوافَدون على أورلاندو كلَّ عام، طامِعين في أن يَجِدوا لأنفسهم مَوطئ قدَمٍ بين الزُّمرة الحاكِمة. أردفتُ قائلًا: «إنهم مُهتمُّون بالحِفاظ على المُتنزَّه بكلِّ تأكيد. أخطأتُ الأسبوع الماضي برفعِ إحدى بوَّابات الطوابير في لُعبة جولة قارِب الغابة، وتلقَّيْتُ مُحاضرة جادَّة للغاية من أحد أعضاء طاقم العمل، لا يُمكن بأيِّ حالٍ أن يكون قد تجاوَز الثماني عشرة، عن التشغيل السَّلِس للمُتنزَّه. أعتقِد أنهم لا يَهتمُّون بِخلْق حِس الانتِماء إلى مُجتمَع الروعة الذي لدينا؛ فهم لا يحتاجون إلى ذلك، ولكنَّ لدَيهم دافعًا كبيرًا للحِفاظ عليه.»

رمَقتْني والدة ليل بنظرةٍ مُتأمِّلة طويلة لم أتمكَّن من فَهم مَغزاها. لم أستطِع تحديد إن كان ما قلتُه أغضبَها أم ماذا.

«أعني أنه لا نَفْع من أن تكون ثَوريًّا بعد اندِلاع الثورة بالفِعل. أليس كذلك؟ ألم نُناضِل جميعًا حتى لا يُجبَرُ الأطفال مثل ليل على ذلك؟»

قال توم وقد ارتسمَتْ على وجهه نفس النظرة المُتفحِّصة: «من المُضحِك أن تقول ذلك، كنَّا نتحدَّث عن الشيء نفسه بالأمس. كنا نتحدَّث ...» وأخذ نفَسًا عميقًا ونظَر في ارتِيابٍ إلى زَوجته التي أومأتْ له بدَورها فأكملَ قائلًا: «عن التَّعليق المؤقَّت للحياة لفترةٍ قصيرة على أيِّ حال، ونرى إن كانت الأوضاع ستتغيَّر كثيرًا في غُضون خمسين أو مائة عام من الآن.»

شعرتُ بشيءٍ من الإحباط المُخجِل. لماذا كنتُ أضيِّع وَقتي في تملُّقِ هذَين الاثنين وهما لن يكونا مَوجودَين عندما يَحين وقتُ التصويت لي؟ سُرعان ما طردْتُ هذه الفكرة من ذِهني بمُجرَّد أن خطرَتْ لي؛ لقد كنتُ أتحدَّث إليهما لأنهما شَخصَين لَطيفَين. فليس بالضرورة أن تكون كلُّ مُحادَثةٍ ذاتَ أهمية استراتيجية.

قلت: «التعليق المؤقَّت للحياة. حقًّا؟» أذكر أنَّني فكرتُ في دان حينها وفي آرائه عن أن التعليق المؤقَّت للحياة هو عملٌ جَبان، وعن شَجاعة إنهاء الأمر عندما تجِد نفسك باليًا بلا أهمية. لقد واساني ذات مرَّة عندما فضَّل آخرُ الباقين على قَيد الحياة من أقاربي، وكان عمِّي، أن يُعلِّق حياته مُؤقَّتًا لمدَّةِ ثلاثة آلاف سنة. وُلِدَ عمِّي في حِقبة ما قبل مُجتمع الروعة ولم يتأقلَم مع الأمر قط. ولكنَّه كان لا يزال القشَّة الوحيدة التي تَصِلني بعائلتي وبمرحلة بلُوغي الأولى وطفولتي الوحيدة. اصطحبَني دان إلى جانانوكواي وقضينا اليوم نتجوَّل عبر الرِّيف مُرتَدِين أحذية السبعة فراسِخ، مُبحِرين عاليًا فوق بُحيرات الألف جزيرة وأوراق أشجار الخريف ذات الألوان النارية التي بدَت وكأنها سجَّادة مُمتدَّة من النِّيران. واختتمْنا اليوم في إحدى بلدات صناعة مُنتجَات الألبان التي يعرِفها دان، حيث كانوا لا يزالون يصنعون الجُبن من حليب الأبقار، وكان المكان يفوح بآلاف الروائح، وبه العديد من زُجاجات نَبيذ التفاح القوي، وفتاة نَسيتُ اسمها منذ زمنٍ بعيد، ولكنَّني لن أنسى ضحكتها المُشرِقة ما دُمتُ حيًّا. ولم يكن الأمر مُهمًّا للدرجة، أن يَنام عمِّي لثلاثة آلاف عام؛ لأنَّ أيًّا كان ما سيحدُث، فستظلُّ أوراق الأشجار، والبُحيرات، والغروب المُنعِش المُخضَّب بحُمرةٍ كحُمرة الدِّماء وضحكة الفتاة.

سألتُ قائلًا: «هل تحدَّثتِ مع ليل عن الأمر؟»

هزَّت ريتا رأسَها قائلة: «إنها مُجرَّد فكرة. لا نُريد أن نُثير قلقَها. فهي لا تُجيد تقبُّل القرارات القاسِية بصدرٍ رَحب؛ هكذا هو جِيلها.»

لم يَمُرَّ وقتٌ طويل حتى غيَّرا موضوع الحديث، وشعرتُ بعدَم الارتياح؛ إذ أدركَتُ أنهما أخبراني بأكثرَ مما ينبغي، أكثرَ ممَّا كانا يَنوِيان قولَه. فابتعدتُ عنهما تدريجيًّا ووجدْتُ ليل وأصدقاءها الشباب فأخذْنا نُدخِّن قليلًا ونَتعانَق قليلًا.

في غُضون شهرٍ واحد كنتُ أعمل بالقصر المسكون، وكان توم وريتا يرقُدان داخل أوعِيَةٍ كانوبية في كيسيمي عليها تعليمات ألَّا يُوقَظا حتى تَجْمَع تطبيقاتُهما الإلكترونية المسئولة عن تجميع الأخبار موادَّ مُثيرةً وشيِّقةً تستحقُّ أن يَعودا إلى الوَعي، وكنتُ أنا وليل مادَّةً مُثيرة.

لم تُحسِن ليل التعامُل مع قرار والديها بالدُّخول في غَيبوبةٍ مؤقَّتة طوعًا. كان الأمر بالنسبة إليها بمثابة صفْعةٍ على الوجه وعارٍ عليها وعلى جِيلها من أعضاء طاقم العمل المُغرِّدين المُتفائلين الذين يَنحازون لمَبدأ الإيجابية.

بحقِّ السماء يا ليل! ألا يُغضبك أيُّ شيءٍ على الإطلاق؟ أليس لديكِ أيُّ شَغَف؟

خرجَتِ الكلمات من فَمي قبلَ أن أُدرِك ما أقول، فما كان من ليل إلَّا أن استحالَتْ بَيضاء كالوَرَقة، واستَدارَت على عقِبَيها وخرجَت من المطبخ؛ استقلَّتْ سيارتها الصغيرة وذهبَتْ إلى المُتنزَّه لتَتسلَّم مُناوَبَتها؛ ليل التي كانت تُمثِّل خمسة عشر بالمائة من عُمري وكانت صغيرةً بما يكفي لأن تكون حفيدتي؛ ليل، حبيبتي وصديقتي المُقرَّبة وراعِية اللجنة المسئولة عن ساحة الحرية.

عدتُ إلى الفِراش مرَّةً أخرى وأخذتُ أُحدِّق إلى مروحة السَّقف وهي تدُور ببطءٍ وشعرتُ باشمِئزاز شديد من نفسي.

الفصل الخامس

حين عُدتُ إلى المُتنزَّه أخيرًا كان قد مَرَّ ٣٦ ساعة ولم تعُد ليل إلى المنزل. كان سيجري تَحويلها إلى بريدي الصوتي لو حاوَلَت الِاتِّصال بي؛ فلم يكن لديَّ أيُّ طريقةٍ لأُجيب على هاتفي. ولكنها لم تُحاوِل الِاتِّصال بي على الإطلاق، كما اتَّضَح لاحِقًا.

قضيتُ وَقتي بين التفكير الكئيب، واحتِساء الشراب، ووضْع خطط بشِعة خلَتْ من أي عقلانية للانتِقام من دِبرا لقتلِها إياي، وتَدميرها عَلاقتي بليل، واستِيلائها على قاعة الرؤساء المُحبَّبة إلى قلبي (وهو ما أدركتُه مُتأخِّرًا على أيِّ حال)، ولِما تُمثِّله من تهديدٍ للقصر المسكون. حتى في حالتي المُشوَّشة هذه كنتُ أعلم أن هذه الأفكار غير بنَّاءة، وظللتُ أعدُ نفسي بأنني سأكُفُّ عنها وسأستحِمُّ وأتناوَلُ بعض المُنبِّهات وأتَّجِه إلى العمل بالقصر.

كنتُ أحاوِلُ تعزيز نشاطي لأتمكن من فِعل هذا، ودخل دان في هذه الأثناء.

قال مصدومًا: «يا إلهي!» أعتقِد أنني كنتُ في حالة مُزرِية؛ إذ كنتُ مُستلقيًا على الأريكة بملابِسي الداخلية نَتِنًا مُترهِّلًا مُحتقِنًا.

«مرحبًا دان. كيف الحال؟»

رمَقَني بإحدى نظرَاته التهكُّمية الساخِرة المميَّزة وراوَدَني نفس شعور تبادُل الأدوار الغريب الذي مرَرْنا به في جامعة تورونتو، حينما اندَمَج حتى صار وكأنه أحد طلَّاب الجامعة وصرتُ أنا الدخيل. كان هو الصديق المُخلِص ذا النظرات الساخِرة وكنتُ أنا الباحِث المُثير للشفَقة الذي دَمَّر كلَّ رأسِ ماله من السُّمعة الطيِّبة. تفحَّصتُ رصيدي من الووفي، بحُكم العادة، وبعد لحظةٍ توقَّفْت عن الانزِعاج من رصيدي المُنخفِض، ليَحلَّ مَحلَّه شعور بالدَّهْشة من حقيقة أنَّني استطعتُ تفحُّصَه أصلًا. لقد عاد اتِّصالي بالشبكة مرة أخرى!

قلتُ وأنا أُحدِّق إلى رصيدي المُحزَّن من الووفي: «الآن، ماذا تعرِف عن ذلك الأمر؟»

ردَّ قائلًا: «ماذا؟»

اتَّصلتُ بقوقعة أذُنه لاصوتيًّا قائلًا: «لقد صارت أنظِمَتي مُتَّصِلة بالشبكة مرَّة أخرى.»

أجاب مُتسائلًا: «هل كنتَ غيرَ مُتَّصِل؟»

قفزتُ من على الأريكة ورقصتُ فرحًا وأنا أرتدي ملابسي الداخلية وأردفتُ قائلًا: «كنتُ، ولكن لم أعُد كذلك.» شعرتُ بتحسُّنٍ كبير عن الأيام الماضية، وكنتُ مُستعدًّا لهزيمة العالم أجمع، أو دِبرا على الأقل.

«دَعْني آخذُ حمَّامًا أولًا، ثم لنذهبْ إلى معامِل المُبتكرين؛ لديَّ فكرة رائعة حقًّا.»

كانتِ الفكرة، كما شرحتُها وأنا في السيارة الصغيرة، هي إعادة تجديدٍ استباقية للقصر. كان تخريب القاعة فِكرة سيئة وغَبيَّة وقد نِلتُ جزائي عنها. لقد كان الهدَف من مجتمع الروعة هو أن يكون له سُمعة أفضل من اللجنة القادِمة، والنجاح عن جَدارة لا بالخِداع، على الرغم من عمليات الاغتِيال وما شابَه.

إنها إعادة التجديد إذن.

أوضحتُ قائلًا: «قديمًا، في بِدايات قصر ديزني لاند بكاليفورنيا، كان يعمل لدى والت ديزني رجل يرتدي سُترةً مُدرَّعة وكان يقِف بعد أول مُنحنًى لعربات المَوت مُباشرة. كان يقفِز ليُفزِع الزوَّار أثناء مُرورهم، ولم يدُم الأمر طويلًا بالطبع. فقد كان ذلك الوغد المِسكين دائمًا ما يتلقَّى اللَّكَمات من الزوَّار المُرتعِبين، كما لم يكن ارتِداء الدِّرْع مُريحًا مع طول مُناوَبات العمل.»

ضحِك دان بإعجاب. كان مُجتمع الروعة قد تخلَّص من أيِّ شكلٍ من أشكال العمل المُكرَّر المُمِل، وما تبقَّى من هذه الأعمال — مثل تقديم الطلبات في الحانة وتنظيف المراحيض — كان يُكسِبك رصيدًا وافرًا من الووفي وحياة مُترَفةً في غير ساعات العمل.

أردفتُ قائلًا: «ولكنَّ هذا الرجل ذا السُّترة المُدرَّعة كان يَستطيع الارتِجال. فكنتَ تُشاهِد عرضًا مُختلفًا قليلًا في كلِّ مرة، وهو ما يُشبِه الحديث المُنمَّق الذي يَسرِده أعضاء طاقم العمل خلال جولة لُعبة مَركِب الغابة. فكلٌّ منهم له أسلوبه ودُعاباته الخاصَّة التي يُلقِيها، وعلى الرغم من أن الدُّمى الآلية المُتحرِّكة ليست جذَّابة كثيرًا، فإن ذلك يجعل العرْضَ يستحقُّ المُشاهَدة.»

سأل دان وهو يهزُّ رأسه: «هل ستملأ القصر بأفرادٍ يرتَدُون الدُّروع؟»

لوَّحتُ مُستنكرًا اعتراضاته، مما تسبَّبَ في انحِراف السيارة عن مَسارها، وهو ما أفزَع مجموعة من الزوَّار كانوا في جولةٍ على دَرَّاجاتٍ مُستأجَرة حول المكان. قلت: «لا.» ولوَّحت مُعتذرًا إلى الزوَّار الذين شحَبوا خَوفًا، وأردفتُ قائلًا: «على الإطلاق. ولكن ماذا لو كان لجميع الدُّمى الآلية المُتحرِّكة عُمَّال تشغيل من البَشر؛ مُشغِّلون يتحكَّمون فيها عن بُعدٍ عن طريق جهازٍ يَعمل بالريموت كنترول؟ سندَعُهم يتفاعَلون مع الزوَّار، ويتحدَّثون معهم، ويُخيفونَهم ... سنتخلَّص من الدُّمى الآلية المُتحرِّكة الحالية ونَستعِيض عنها بروبوتات قابلة للتحرُّك بحُريَّة كاملة، ثم نعرِض الأدوار على الشبكة. فَكِّرْ في الووفي! يُمكنك، على سبيل المِثال، تعيين الآلاف من المُشغِّلين عبر الإنترنت في وقتٍ واحد، بواقِع عشر مُناوَبات في اليوم، كلٌّ واحدٍ منهم داخل قصرنا ... سنمنَح جوائز للأداء الأكثر تَميُّزًا، وستُنظَّم المُناوَبات طبقًا للتصويت الشعبي. عمليًّا، سننجَح في زيادة أعداد زوَّار القصر إلى عشرة آلاف زائر كلَّ يوم، وهؤلاء الزوَّار فقط هم من سيَصيرون عُمَّالًا شرفِيِّين.»

أجاب دان: «هذا جَيِّد بالفِعل ويَتَّفِق مع رؤية مجتمع الروعة. قد يكون لدى دِبرا الذكاء الاصطناعي وتقنية التَّخليق السريع، أما أنت فسيكون لدَيك التفاعُل الإنساني كهديَّةٍ لأشدِّ المُعجَبين بالقصر في العالم ...»

قاطعتُه قائلًا: «وهؤلاء هم المُعجَبون أنفسهم الذين سيجِب على دِبرا استمالَتُهم حتى تتمكَّن من الاستيلاء على القصر. شيء رائع للغاية. أليس كذلك؟»

كانت المُهمَّة الأولى هي الاتِّصال بليل، وتصحيح الأمور وتعريفها بالفِكرة. ولكن كانت المُشكلة الوحيدة أنَّ قوقعة أذُني انقطَع اتِّصالها بالشبكة مرَّةً أخرى. وعُدتُ نَكِدَ المِزاج ثانيةً فجعلتُ دان يتَّصِل بها بدلًا منِّي.

قابلْناها في مَجمع المُبتكرين، وهو مَجمَع ضخْم من المباني الجاهِزة المصنوعة من الألومنيوم المَطلِيَّة باللَّون الأخضر، كان يزدَحِم بالمُخترِعين المَجانين منذ دخول مجتمع الروعة إلى عالم ديزني. كان أعضاء اللجنة الذين بَنَوا قِسم التخيُّل الابتكاري بفلوريدا ويُديرون الأمر الآن هم الأقلَّ انخراطًا في السياسة بالمُتنزَّه، كانوا ممَّن يرتدون معاطِف المُختبرات البيضاء ويُمسِكون بألواح الكتابة والأوراق، ولا يُمانِعون في العمل لدى أيِّ شخصٍ ما دامت الأفكار جيدة. وكان عدَم اهتمامهم بالووفي يَعني أنهم قد راكَمُوا الكثير منها.

كانت ليل تعمَل مع سانيب، المعروف أيضًا باسم «مُعجِزة السِّلَع»؛ فقد كان بإمكانه تصميم أي هديةٍ تذكارية وصُنع نماذج أوَّلية لها أسرَع من أيِّ شخصٍ آخر: القُمصان، والمَنحوتات، والأقلام، والدُّمى، والأدوات المَنزلية، كان المَلِكَ في مَجاله. كانا يَتعاوَنان عبر شاشتهما الذهنية؛ إذ كانا يَجلِسان على أحد مَقاعد المُختبَر الطويلة، أحدهما قُبالة الآخر بمُنتصَف المُختبَر، الذي كان في حجم ملعب كرة السلَّة ويَعجُّ بالحُليِّ الرخيصة ذات العلامات التجارية، يُثرثِران في حِين كانت أعينُهما تتراقَصُ عبر شاشاتٍ غير مرئية.

اتَّجَه دان تلقائيًّا ليَنضمَّ إلى مساحة العمل المُشترَك بمُجرَّد دخوله المُختبَر تاركًا إيايَ وحيدًا. من الواضح أن دان كان سعيدًا بما رآه.

وَكزتُه بمرفقي وهمستُ له قائلًا: «اصنع نُسخةً مطبوعة.»

بدلًا من إظهار شفَقتِه عليَّ والرِّثاء لحالي، اكتفى دان بكتابة بِضعة أوامر في الهواء، فبدأتِ الصفحات في الخروج تِباعًا من طابعة موجودة في رُكن المُختبر. كان أيُّ شخصٍ آخر سيُثير جلبةً حول هذا الأمر، ولكنَّه لم يفعل شيئًا سوى دَمْجي في المُناقشة.

لو كنتُ بحاجةٍ إلى دليل يُثبِت أن ليل وأنا مُقَدَّرٌ لنا أن نكون معًا، لكانت التصميمات التي توصَّلَت إليها هي وسانيب كافيةً للغاية. فقد كانت تفكر مِثلي تمامًا: تذكارات تُبرِز الطابع الإنساني للقصر. كانت ثمَّة دُمى آلية مُتحرِّكة مُصغَّرة للأشباح الجوَّالة في صندوقٍ أسودَ خفيف، وكانت هياكلها الآلية الداخلية مكشوفة من خلال طبقات البلاستيك التي تُغطيها، والدُّمى الصغيرة لأبطال الحركة التي كانت تَتواصَل عبر الأشعة تحت الحمراء، بحيث يؤدِّي وَضْع إحداها بالقُرب من الأخرى إلى تشغيل حركاتها المُستَوحاة من أجواء القصر؛ فتنعِق الغِربان، وتُلقي رأس السيدة ليوتا التعاويذ، وتَشرَع التماثيل النِّصفية الغنَّاءة في الغِناء. كما عمِلتْ على تصميم بعض الملابس الرسمية مُستَوحِية زِيَّ أفراد طاقم العمل، ولكن وفقًا لآخِر صَيْحات الموضة لهذا العام.

ما أحاول قوله هو إنها كانت سِلَعًا جيدة. كنتُ أرى بعَين خَيالي إعادة افتتاح القصر في غضون ستَّة أشهر وهو يَعجُّ بالأفاتارات الآلية للمَهووسين بالقصر حول العالم، وعربة هدايا السيدة ليوتا مُكدَّسة حتى آخِرها بالغنائم الرائعة، واللاعبين البشريِّين المُتنقِّلين يرتَجِلون مع الزوَّار في منطقة الانتظار …

رفعَت ليل رأسَها خارجةً من حالة التجارب الوسيطة التي كانت تَخوضها، وسدَّدَت إليَّ نظرةً غاضبة وأنا أُمعِنُ النظر في النُّسخة المَطبوعة وأومئ برأسي بِحَماس.

هاجَمتْني سريعًا قائلة: «هل هذا الشَّغَف كافٍ في نظرِك؟»

شعرتُ بالدِّماء تتدفَّق إلى وَجهي وأذُني في مَزيجٍ من الغضب والخَجل، وذكَّرتُ نفسي بأنَّني أكبرُها بأكثرَ من قرنٍ من الزمان؛ ومن ثمَّ كان عليَّ أن أتصرَّف بنُضج، كما أنَّني من بدأ الشِّجار.

قلت: «هذا رائع حقًّا يا ليل.» لم تَلِنْ نظرتُها الحانِقة. «اختيار جيِّد بِحق، لديَّ فِكرة رائعة ...» وشرعتُ أسرد كلَّ شيء: الأفاتارات والروبوتات وتجديد القصر، فتوقفَّتْ عن نظراتها الغاضِبة، وبدأت تُدوِّن مُلاحظات وتبتسِم فتظهر غمَّازاتها، وتَتجعَّد عيناها المائلتان عند زواياهما.

قالت أخيرًا: «هذا ليس سهلًا.» أومأ سانيب لاإراديًّا، بعدَ أن كان يَتظاهَر بأدَبٍ بأنه لا يُنصِتُ لي، ودان كذلك.

قلت: «أعلم ذلك.» ازداد وَجهي سُخونة وأكملتُ قائلًا: «تلك هي الفِكرة، فما تفعلُه دِبرا ليس سهلًا كذلك. إنها مُجازَفة خطيرة جعلتْها هي وأتباعَها في حالٍ أفضل، وجعلَتْهم أذكى.» أذكى منَّا بكل تأكيد. «إنهم يستطيعون اتِّخاذ قراراتٍ كهذه بسرعة، وتنفيذها بنفس السرعة. نحتاج إلى أن نتمكن من فعل ذلك أيضًا.»

هل كنتُ حقًّا أؤيِّد السير على خُطى دِبرا؟ لقد انسَلَّت هذه الكلمات من فمي هكذا، ولكنِّني رأيتُ أنني كنتُ على حق؛ لا بُدَّ أن نهزِم دِبرا في مَلعبها وأن نتفوَّق على قُدرات أتباعها.

قالت ليل: «أفهم ما تقول.» استطعتُ الجزْمَ بأنها كانت مُستاءة؛ فقد تحوَّل أسلوب حديثها إلى أسلوب أفراد طاقم العمل. «إنها فكرة جيدة بحق. أعتقد أن لدَينا فرصة جيدة لنُنفِّذها إذا تحدَّثنا مع المجموعة وعرضناها عليهم بعد القيام بالبحث اللازم، ووضع الخُطط، ورسم المسار الحرِج، وطلَب آراء بعضهم عما نفعله بشكل سرِّي.»

شعرتُ أنني أسبَحُ في بركةٍ من العسل الأسود اللَّزِج. فوفقًا للمُعدَّل الذي يسير به أفراد اللجنة المسئولة عن ساحة الحرية، سنعقِد نحن اجتماعات مُراجعة المُتطلَّبات الرسمية في حين يُدمِّر أتباع دِبرا القصر بالفعل من حولنا. لذا جرَّبتُ تكتيكًا آخر.

«لقد شاركتَ في بعض عمليات التجديد والإحلال يا سانيب. أليس كذلك؟»

أومأ سانيب ببطءٍ وارتسمَت على وجهه علامات الحذَر؛ فقد دفعتُ بشخصٍ لا يهتمُّ بالسياسة في نقاشٍ سياسي.

أردفتُ قائلًا: «حسنًا أخبِرني، إذا جِئنا لك بهذه الخُطة وطلَبْنا منك أن تضعَ لها جدولَ إنتاج دُون وقتٍ لأيِّ تنقيح إضافي، فقط تأخذ الفِكرة وتعمَل عليها ثم تُنفِّذها، فكم ستحتاجُ من الوقت لتنفيذها؟»

ابتسمت ليل بوقار، كانت قد تعاملت مع المُبتكِرين من قبل.

أجاب في التوِّ دون تفكير: «حوالي خمسة أعوام.»

صرختُ قائلًا: «خمسة أعوام؟ لماذا خمسة أعوام؟ لقد أصلح أتباع دِبرا القاعة في شهرٍ واحد!»

أجاب: «أوه، مهلًا. دون أيِّ تنقيحٍ على الإطلاق؟»

أجبت: «دُون تنقيح. كلُّ ما عليك هو تحديد أفضل طريقةٍ لفعل هذا وتطبيقها. ويُمكننا نحن أن نُزوِّدك بأيِّ عددٍ من العَمالة الماهرة، بواقِع ثلاثِ مناوباتٍ على مَدار اليوم.»

أدار عَينَيه إلى الوراء وحسَبَ عدد الأيام على أصابعه وهو يُغمغِم في سرِّه. كان طويلًا رفيعًا ذا لبدةٍ من الشَّعْر المُجعَّد الداكن كان يُسوِّيه لا إراديًّا بأصابعه البدينة القصيرة المُدهِشة وهو مُستغرِق في التفكير.

أجاب قائلًا: «حوالي ثمانية أسابيع. في حال عدَم وقوع حوادث، والحصول على الأجزاء الجاهزة المُتاحة في السوق، وتوافر عمالة لا محدودة، وإدارة مُتمكنة، والخامات ...» ثم خفَتَ صوته مرة أخرى واهتزَّت أصابعه القصيرة وهو يسحَب شاشة ذِهنية ثم بدأ في إعداد قائمة بالمطلوب.

قالت ليل مُنزعِجة: «انتظر، كيف تختصِر المدَّة من خمس سنوات إلى ثمانية أسابيع؟»

كان دَوري الآن لأرسُم على وَجهي ابتسامةً مُتكلَّفة. لقد رأيتُ كيف يعمل المُبتكِرون حينما يكونون مُستقِلِّين بأنفسهم، فيَبنُون النماذج الأولية ونماذج تصوُّرية بالأحجام الطبيعية؛ كنتُ أعلم أن المأزق الحقيقي في التنقيح المُستمرِّ والمُراجَعات والإجماع المُتأرجِح دَومًا للعقل الجمعي لأعضاء اللجنة المسئولين الذين كلَّفوهم بالعمل.

بدا سانيب مُرتبكًا وقال: «حسنًا، إذا كان كلُّ ما يجِب عليَّ القيام به هو إرضاء نفسي بأن خُطَطي جيدة والمباني الخاصَّة بي لن تنهار، إذن يُمكنني إنجاز المُهمَّة بسرعةٍ هائلة. بالطبع خُططي ليسَت مثالية. أحيانًا أكون قد أنجزَتُ نِصف المشروع حين يظهَر أحدُهم ويقترِح فكرةً أو أسلوبًا يجعلُ كلَّ شيءٍ أفضلَ إلى أبعدِ الحدود. حينئذٍ أعود إلى لَوح الرسم ... لذا أقضي وقتًا طويلًا أمام لوح الرَّسم في البداية، وأجمَعُ آراء مُبتكِرين آخرين وأعضاء

اللجنة ومجموعات التركيز والشبكة فيما أنجزته، ثم نقوم بالتنقيح والمُراجعة في كل مرحلة من مراحل البناء، ونرى إن كان ثَمَّةَ أيُّ شخصٍ لديه فكرة أخرى رائعة لم نفكر فيها وندمجها، وأحيانًا نعيد العمل مرة أخرى من جديد.

إنها عملية بطيئة، ولكنها تنجح.»

كانت ليل مُضطربة: «ولكن إذا كان باستطاعتك أن تصنع نُسخة مُنقَّحة كاملة من العمل في ثمانية أسابيع، فلماذا لا تُكمل تنفيذها ثم تُخطط لعملية تنقيح أخرى وتنفِّذها في ثمانية أسابيع أخرى وهكذا؟ لماذا تحتاج إلى خمس سنوات قبل أن يتمكن أيُّ شخصٍ من ركوب أي لعبة؟»

أجبتُها قائلًا: «لأن هذه هي الطريقة التي يتمُّ بها الأمر، ولكن ليست هذه هي الطريقة التي «يجِب» أن يتمَّ بها الأمر، وهذه هي الطريقة التي سنُنقِذ بها القصر.»

شعرتُ بالثقة تَسري بداخلي، بالمعرفة اليقينية بأنَّني على حق. كانت فكرة اللامركزية رائعة، فكرة يمتاز بها مجتمع الروعة، إلَّا أن المنظومة كانت تحتاج إلى تغيير شامل، وهذا بالضبط ما سيجعلها أكثر تفرُّدًا.

حدَّثتُ ليل وأنا أنظر في عينيها بتمعُّن مُحاولًا أن أنقل إليها وجهة نظري: «لا بُدَّ أن نفعل هذا، إنها فُرصتنا الوحيدة. سنُعيِّن المئات ليأتوا إلى فلوريدا ويُشاركوا في عملية الإحلال والتجديد، سنُتيح الفرصة لكل مُولَع بالقصر على وجه الأرض أن ينضمَّ إلينا، ثم سنُوظِّفهم مرة أخرى للعمل فيه، وتشغيل روبوتات الحضور عن بُعد. سوف نحصل على تأييد أكبر وأعظم جهات التوصية في العالم، وسنبني شيئًا أفضل وأسرع من أيِّ شيءٍ بناه أيُّ فردٍ آخر من أفراد اللجنة دون التخلِّي عن الرؤية الأصلية للمُبتكِرين. سيكون الأمر تجسيدًا يفوق الوصف لمجتمع الروعة.»

خفَضَت ليل عينيها، وكانت هي من تَورَّد وجهُها حماسةً الآن. أخذت تذرَع المكان جَيئةً وذَهابًا ويداها تتأرجَحان إلى جانبيها. كنتُ أُدرك أنها ما زالت غاضبة منِّي، ولكنها كانت مُتحمِّسة وخائفة و — نعم — شغوفة أيضًا.

قالت بعد وقتٍ طويل وهي لا تزال تمشي جَيئةً وذهابًا: «الأمر ليس بيدي، كما تعلَم.» تبادلتُ أنا ودان ابتساماتٍ خبيثة؛ فقد صارت معنا.

أجبتُ قائلًا: «أعلم.» ولكنها كانت، تقريبًا، أحد قادة الرأي الأساسيِّين ضِمن مجموعة اللجنة المسئولة عن ساحة الحرية، وواحدة ممَّن يعرفون الأنظمة عن ظهر قلب، واتخَذوا قراراتٍ جيدة ومعقولة، واحتفَظوا بربَاطة جأشِهم في وقت الأزمات. لم تكن مُتهوِّرة ولا

تميل إلى اتخاذ مواقف متطرفة. وهذه الخطة كان من شأنها تدمير تلك السُّمعة ورصيدها من الووفي المُتعلِّق بها في وقت قصير، ولكن بحلول الوقت الذي سيحدُث فيه ذلك، ستكون قد حصلَت بالفعل على رصيدٍ وافرٍ من الووفي، في وجود أعضاء اللجنة الجدد الذين سيكونون أقوى بآلاف المرَّات.

أردفتْ قائلة: «أعني أنَّني لا أستطيع أن أضمن أيَّ شيء. أرغَب في دراسة الخُطط التي سيخرُج بها قسم الخيال الابتكاري والقيام ببعض جَولات المُعاينة التفصيلية ...»

بدأتُ في إبداء اعتراضي لأُذكِّرها أن السرعة عامل مِحوري، ولكنها سبقتْني.

قالت: «ولكنَّني لن أفعل، لا بُدَّ أن نتحرَّك سريعًا. أنا معكم.»

لم تلقِ نفسها بين ذراعيَّ، ولم تقبِّلني وتُخبِرني بأنها قد غفرَت لي كلَّ شيء، ولكنها انضمَّت لنا وكان ذلك كافيًا.

عاودَتْ أنظِمتي الاتصال بالشبكة مرةً أخرى في ذلك اليوم، وبصعوبة لاحظتُ ذلك. كنتُ مُنشغلًا للغاية بالقصر الجديد. اللعنة! من أين لهم بهذه الجرأة؟ لم يجرؤ أي شخص منذ افتتاح القصر في كاليفورنيا عام ١٩٦٩ على العبَث به. أوه، بالطبع، كان لنُسخة باريس، (قصر الأشباح)، قصة مُختلِفة قليلًا، ولكنه حظِيَ ببعض التعديلات والتغييرات الطفيفة لإرضاء ذَوق السوق الأوروبية في ذلك الوقت. فلم يرغَب أحد في العبَث بالأسطورة.

ما الذي جعل القصر بهذه الروعة على أيِّ حال؟ لقد زُرتُ عالم ديزني العديد من المرَّات كزائر قبل أن أستقِرَّ فيه، وأصدُقُكم القول، لم يكن القصر هو أكثر ما أُفضِّله على الإطلاق.

ولكنني عندما عدتُ إلى عالم ديزني بشَحمي ولَحمي بعد تجربةٍ أعيتْني ضَجرًا من السفر — واعيًا — من تورونتو لمدة ثلاث ساعات، وجدت نفسي مدفوعًا بقوة الحشود تجاهه.

أنا من أسوأ الأشخاص على الإطلاق الذين يُمكن أن تذهب معهم لزيارة أيٍّ من المُتنزَّهات الكبيرة. فقد كنتُ دائمًا مَهووسًا بالتغلُّب على الحشود منذ كنتُ طفلًا مُشاكسًا أشقُّ طريقي كالأفعى وسط الحشود بمَحطات مترو الأنفاق، وأتسلَّل خِلسة إلى المقعد الخالي الوحيد في عربة مكدَّسة.

في الأيام الأولى لمجتمع الروعة، عرفتُ لاعب بلاك جاك مَهووسًا بِعدِّ الأوراق، وينعَم بِمَوهِبة فِطرية في معرفة احتمالات الفوز. كان مُهندسًا مُتواضِعًا قصيرًا وبدينًا، ومؤسِّسًا

مُتواضِع النجاح لشركةٍ ناشئة مُتواضِعة النجاح للتكنولوجيا الفائقة، كانت تعمل على شيءٍ سرِّيٍّ مع وكلاء برامج الكمبيوتر. وعلى الرغم من كونه مُتواضِع النجاح، فقد كان فاحِش الثراء؛ فلم يَجمع سنتًا واحدًا لتمويل شركته التي كان يَمتلِكها بالكامل دون شركاء، حتى باعها في مُقابل تِلالٍ من المال. كان السرُّ وراء ذلك هو طاولات قمار لاس فيجاس الخضراء التي كان يَحُجُّ إليها في كلِّ مرةٍ ينخفِض فيها رصيد حِسابه البنكي، فيعُدُّ الأوراق التي تحمل الصور ويحسِب احتمالات الفوز ويَهزم مُوزِّع الأوراق.

بعد مرور وقتٍ طويل من بيعِه شركة برامج الكمبيوتر التي كان يملِكها، وبعد جمع تكلفة إطلاق مشروعه التجاري، كان يتخفَّى مُرتديًا ثيابًا تَنكُّرية سخيفة، ويذهب إلى نوادي القمار ويفوز بجولة تِلوَ الأخرى فقط ليشعُر بالرِّضا النابِع من هزيمته لمُوزِّع الأوراق؛ فقد كان الأمر بالنسبة له مُجرَّد مكافأة عقلية بحتة ودفْقة من إكسير السعادة تجتاحه في كلِّ مرةٍ كان يخسَر فيها مُوزِّع أوراق اللعب، في حين ينجَح هو في مُضاعَفة الرِّهان على مجموعةٍ كاملة من بطاقات الصور.

على الرغم من أنَّني لم أشترِ طوال حياتي سوى بطاقة يانصيب واحدة، فإنني سرعان ما فهِمتُ هَوَسه؛ فقد كنتُ مِثله مهووسًا ولكن بهزيمة الحشود، بالعثور على الطريق الأقلِّ مُقاومَة، بملء الفراغات، بتخمين أيِّ الطوابير سيكون أقصر، بتفادي الازدِحام المُروري، بتغيير الحارات المُرورية بأقلِّ قدرٍ من الكلام وإن كان همسًا، بالتحرُّك بدقَّةٍ ورشاقة، وقبل كلِّ شيء، بسرعة.

وعند تلك العَودة المشئومة، سجَّلتُ دخولي بأرض مُخيَّم حِصن البرية ونصبتُ خَيمتي وركضتُ نحوَ أرصفة السفن لألحقَ بعبَّارةٍ تُوصِّلني إلى البوابة الرئيسة.

كان الزِّحام قليلًا قبل وصولي إلى البوابة الرئيسة وطوابير قطْع التذاكر. قاومتُ رغبةً أولية في أن أُهرَع نحو أبعد عبَّارة لأفوز على أقراني الراغبين في استقلال العبارات التي، بحُكم القاعدة العامة، سيكون أمامها أقلُّ وقت انتظار، وأخذتُ خطوةً إلى الخلْف وقمتُ بمسحٍ بَصريٍّ سريع للأكشاك العشرين وقيَّمتُ طابور المُتجمهِرين أمام كلٍّ منها. قبل مجتمع الروعة كنتُ أهتمُّ بأعمارهم بشكلٍ أساسي، ولكن ذلك المِقياس لم يعُد كونه مُجرَّد استِشرافٍ أجوفَ لسلوكهم؛ لذا بدلًا من ذلك تفحَّصتُ بدقةٍ أساليب اصطفافهم في الطابور، وثيابهم، والأهمُّ من كلِّ ذلك، ما يَحملونه من أمتعة.

يُمكنك أن تتعرَّف بشكلٍ أفضل على قُدرة الشخص على التعامُل بفاعلية مع تعقيدات ومصاعب الانتظار من خلال ما يَحملونه معهم أكثر من أيِّ وسيلةٍ أخرى؛ فقط لو أن عددًا

أكبر من الناس يُدركون ذلك. إن الشخص التقليدي، بالطبع، هو ذلك الذي لا يحمل معه أيَّ شيء: لا حقيبةَ كتِف صغيرة ولا حتى يرتدي شيئًا ذا جيوب أمامية. بالنسبة إلى الأشخاص العاديين، يُمكن اعتبار هذه النوعية من الناس رِهانًا رابحًا في المُعامَلات السريعة، ولكنني قمتُ بدراسة غير رسمية وتوصَّلتُ إلى أن هؤلاء المُتمردِّين الشُّجعان على العادات، غالبًا ما يكونون الأكثر طيشًا؛ فلا يكون أمامهم إلَّا الابتسام بارتباكٍ كالبُلَداء وهم يُفتِّشون جيوبهم عبَثًا بحثًا عن أداةٍ للكتابة، أو شيء يدلُّ على هُويتهم، أو بطاقة الدخول الإلكترونية، أو تميمة على شكل قدَم أرنب، أو مِسبحة، أو شطيرة تونة.

أما بالنسبة لي فلا، وحفاظًا على مالي سأختار النوع الذي أسمِّيه «المهموم بالطريق»، وهو الشخص الذي يحرِص على أن يكون مُزوَّدًا بأربعة أو خمسة أنواعٍ مُختلفة من وسائل حمل الأشياء، بداية من السراويل ذات الجيوب الواسعة الكبيرة والمُنتفِخة، والحقائب العسكرية الصغيرة الذكية التي تُثبَّت بأحزمةٍ على الحقائب الكبيرة التي تعمل بخاصيَّة الإغلاق البيومتري. ولكن ما يجِب الانتِباه إليه هو: إلى أيِّ مدًى تُعتبَر وسائل الحمل والنقل هذه مريحة؛ هل تتَّسِم بالتوازُن الجيد؟ هل هي مُصمَّمة بشكلٍ يجعلها أقلَّ عُرضةً للتداخُل مع غيرها وأسهل في الوصول إليها؟ مثل هذا الشخص الذي أعطى هذا القدْر الكبير من الاهتمام لأنواع الأمتعة المُختلِفة التي يحملها، من المُرجَّح أن يقضي الوقت الذي يُنفِقه في طابور الانتظار في تحديد أيٍّ من الأشياء سيحتاج إلى استخدامها عندما يصِل إلى بدايته، وستجِده يَحملها استعدادًا لتشغيلها في أسرع وقتٍ ممكن.

إنها مُهمَّة صعبة؛ إذ يوجَد العديد من المُدَّعين المُشابهين الحمقى الذين يحزمون كلَّ شيء في حقائبهم؛ لافتِقارهم إلى الذكاء التنظيمي اللازم لتحديد ما ينبغي تحزيمه، فتجِدهم يميلون إلى إثقال كواهِلهم بالحقائب والجيوب والأكياس الإضافية، ولكن الفيصل هو مدى فعالية هذه الأحمال. فهؤلاء الأشخاص الأشبه ببِغال حَمْل الأمتعة سوف يئنُّون تحت أحمالهم الثقيلة، مُنشغِلين بإزاحة هذه الحقيبة وتلك في الوقت نفسه، ورفع نهايات الأحزِمة المفكوكة من على أكتافهم.

استرقتُ السمع إلى أحد الطوابير التي كانت تتألَّف من مجموعةٍ من «المهمومين بالطريق» وكان أطول قليلًا من باقي الطوابير، ولكنَّني انضممتُ إليه وتشنَّجتْ عضلات وَجهي لا إراديًّا بعصبية، وأنا أُلاحِظ وَتيرة تقدُّمي في الصف مُقارَنةً بالأماكن الأخرى التي كان بإمكاني اختيارها. كان كل ما حولي يؤكد صِحَّة اختياري، ويُخبرني أنه فأل

حسن لعالَمٍ خالٍ من الانتظار، وكنتُ أتقدَّم نحو الشارع الرئيس، شارع الولايات المُتَّحدة الأمريكية، قبل بقيَّةِ رِفاقي في العبَّارة.

كانت العودة إلى عالم والت ديزني بمثابة عَودةٍ للوَطن بالنسبة لي. كان والداي قد اصطحباني إلى هناك لأول مرَّة حينما كنتُ في العاشرة تمامًا، عندما بدأتِ الإلماعات الأولى لمجتمع الروعة بالتدفُّق شيئًا فشيئًا إلى وَعي جموع الناس: فناء النُّدرة، وموت الموت نفسه، والنِّضال من أجل إعادة تنظيم اقتصادٍ لم يَنمُ إلَّا من خلال التركيز على النُّدرة والموت. ذِكرياتي عن هذه الرحلة مُشوَّشة ولكنها دافئة: طقس فلوريدا المُعتدِل، وبحرٌ من الوجوه الباسِمة يتخلَّلهما لحظات سِحرية مُظلمة أثناء ركوب عربات التنقُّل الخاصَّة بديزني لاند، ومُشاهَدة عرضٍ بعد آخَر من العروض المُجسَّمة ثلاثية الأبعاد.

ذهبتُ مرة أخرى بعد تخرُّجي في المدرسة الثانوية، وأبهَرَني ثراء التفاصيل وعَظمة وفَخامة كل شيء. قضيتُ هناك أسبوعًا كنتُ فيه مَشدوهًا كالأبلَه، على وجهي ابتسامة عريضة، أتجوَّل من مكانٍ لآخر. وعرفتُ أنَّني يومًا ما سآتي للعَيش هناك.

صار المُتنزَّه مِعيارًا أساسيًّا لي، شيئًا ثابتًا في عالمٍ يتغيَّر فيه كلُّ شيء، فصرتُ أعود إليه مرارًا وتكرارًا مُثبِّتًا أقدامي فيه، وأتسامَر مع كلِّ الناس بحميميةٍ ووُد.

تجوَّلتُ في ذلك اليوم من مكانٍ إلى مكان ومن لُعبة إلى أخرى، بحثًا عن الطوابير القصيرة، التي كانت بمثابة المَناطق الهادئة في قلب الإعصار الأكبر من الحشود التي اجتاحَتِ المُتنزَّه عن آخِره. كنتُ أقِف على أيِّ أرضٍ مُرتفِعة، أو على أحد المَقاعد، أو أقفز على أحد الأسوار وأُجري مسحًا بصريًّا لجميع الطوابير المُمتدَّة على مرمى البصر، وأُحاوِل أن أُحدِّد التيَّارات السائدة في سَيل الحشود التي عادةً ما يكون لها وقتُ ذُروة قديم مُتعارف عليه. وأصدُقُكم القول، ربما أكون قد أمضيتُ وَقتًا كبيرًا في البحث عن المناطق الفسيحة، التي يُمكن التجوُّل بها، يُضاهي ما كنتُ سأقضيه في الاصطفاف في الطابور كحَمَل مُطيع، ولكنني كنتُ أحظى بمُتعة أكبر وأمارس المزيد من التمارين الرياضية.

كان القصر المسكون يمرُّ بفترة خَواء كبيرة من الزوَّار؛ فقد مرَّ مَوكِب عرض تَحَطُّم الثلوج المُذهِل عبر ساحة الحرية لِتوِّه في طريقه إلى أرض الخيال يَتبعُه جَحافِل من الزوَّار يرقصون على أنغام موسيقى الراب الياباني لـ «فريق سوشي كيه» الكوميدي ويُقلِّدون حركات البطل الشجاع هيرو. وبعد مرور المَوكِب، تحوَّلَت ساحة الحرية إلى مدينة أشباح، واسْتُغِلَّت الفرصة للقيام بخمس جولات مُتتالية سيرًا على الأقدام في القصر.

أخبرتُ ليل أنَّني قد لاحظتُها ثم لاحظتُ القصر، ولكن في الحقيقة كان الأمر معكوسًا.

كنتُ سعيدًا خلال أول جَولَتَين بالصقيع الآتي من مُكيِّف الهواء وبالإحساس اللذيذ لقطرات العرَق وهي تجفُّ على جلدي، إلا أنني في الجولة الثالثة بدأت أُلاحظ كم كان الجوُّ باردًا. كان أعلى أشكال التكنولوجيا تَقدُّمًا في المكان هو جهازٌ لعرْض الأفلام الحلقية، إلَّا أن كلَّ شيء كان مَحبوكًا بدَهاء شديد، حتى إنه أعطى إيحاءً مِثاليًّا بأنه منزل مسكون بحق: كانت الأشباح التي تحوم في قاعة الرقص كأنها أشباح حقيقية، ثلاثية الأبعاد وأثيرية وَطَيفِية. كانت جميع الأشباح التي غَنَّت في العرْض الهزْلي بالمَقبرة مُقنعةً على النحو نفسه وخفيفة الظلِّ بحقٍّ ومُخيفة في الوقت نفسه.

خلال جَولتي الرابعة لاحظتُ التفاصيل: العيون ذات النظرة العدائية المدمجة في نقْش وَرَق الجُدران، والرسوم المُكرَّرة في الحِليات المِعمارية، والثُّريَّات، ومَعرض الصُّور الفوتوغرافية. بدأتُ أفسِّر كلمات أغنية «الأشباح المُبتسِمة المُروِّعة» التي كانت تُردَّد طَوال الجولة سواء عبر الأنغام الشريرة لآلة الأرغُن التي تُكرِّر اللحن الرئيس بشكلٍ مُبالَغ، أو الغناء المرِح للتماثيل النِّصفية الموسيقية الأربعة الموجودة بالمقبرة.

كان لحنًا جذَّابًا أخذتُ أردِّده خلال جَولتي الخامسة، ولكنِّي لاحظتُ هذه المرة مدى قسوة برودَة مُكيِّف الهواء؛ إذ سَرَت نَوبات قَشعريرةٍ غامضة، عبر الغُرَف كلَّما أعلنَتِ الأرواح المُتجوِّلة عن وجودها. وبِمُجرَّد نُزولي في نهاية الجَولة للمرَّة الخامسة، كنتُ أردِّدُ اللَّحن صفيرًا مُضيفًا إليه ارتِجالات لحنِيَّة من موسيقى الجاز بإيقاعٍ مُختلَط.

كان ذلك حين قابلتُ ليل مُصادفة. كانت تحمِل ورقة تغليف آيس كريم فارغة، وكنتُ في ذلك اليوم قد رأيتُ عشراتٍ من أفراد طاقم العمل يَجمعون النفايات على نَحوٍ مُتكرِّر، حتى إنني أيضًا بدأتُ ألتقطها. ابتسمَت لي بخُبثٍ وأنا أترجَّل داخل المُتنزَّه الذي كان يفوح برائحة الأطعمة المَقليَّة ومُبيدات الجراثيم واضعًا يديَّ في جُيوبي وفي رضًا تامٍّ عن نفسي؛ لمُعايَشتي تجربة مُتكاملة لِقطعةٍ فنية مُمتازة بحق.

بادَلتُها الابتسام؛ فقد كان من الطبيعيِّ لواحدةٍ من ملوك الووفي المحظوظين الذين تسنَّى لهم الاعتِناء بهذه القِطعة الترفيهية البديعة أن يُلاحظ كيف كنتُ أستمتِع بشدَّة بما أنجزتُه من عمل.

حدَّثتُها مُبديًا إعجابي بتِلال الووفي العِملاقة التي نَسبتْها إليها شاشتي الذهنية: «إنه تجسيد لمجتمع الروعة حقًّا.»

كانت مُتقمِّصة الشخصية ولم يكن من المُفترَض أن تكون مَرِحة، إلَّا أن أعضاء فريق العمل من جِيلها لا يَسعُهم إلَّا أن يكونوا ودُودِين، فمزَجَت بين السلوك المُتحفِّظ وروحها الحلوة الطبيعية وابتسمَت لي بخُبثٍ وانحنَت انحناءةً قوية على طريقة الزومبي على سبيل التحية وتنهَّدَت قائلة: «شكرًا لك، إننا نُحاوِل بالفِعل أن نجعَله مُفعمًا بالحياة.»

غمغمتُ استحسانًا لجُهدها وبدأتُ ألاحِظ كم كانت لطيفةً تلك الفتاة صغيرة الحجم التي كانت ترتدي زيَّ خادِمة مُتعفِّنًا وتُمسِك بمِنفَضة غبار يتَساقط ريشُها. كانت مُغتسِلةً وفي غاية النظافة وسعيدة بكلِّ شيء، وكانت تشعُّ بكلِّ ذلك، وهو ما جعلني أرغَب في قرْص وَجنتَيْها.

حانت اللحظة لأتحدَّث، فقلت: «متى يَسمحون لكم أيها الغِيلان بالذَّهاب؟ أودُّ اصطحابَك لاحتِساء شراب زومبي أو بلودي ميري.»

قادَنا ذلك إلى مِزاحٍ مُريع ومن ثَمَّ اصطحابها لتَناوُل الشراب بنادي المغامرين وتعرَّفتُ على عمرها خلال هذه الأثناء، وفقدتُ أعصابي وأنا أخبِر نفسي بأنه لا يُمكن أن يكون ثَمَّة أيُّ شيء يقوله أحدُنا للآخَر عبر فجوةٍ زمنية تُساوي قرنًا كاملًا.

وبينما أخبرتُ ليل أنها هي من لفتَتِ انتباهي أوَّلًا قبل القصر، إلَّا أن العكس هو ما كان صحيحًا. ولكن الحقيقة أيضًا — وهو ما لم أُخبِرها به إطلاقًا — أنَّ أكثر ما أحببتُه في القصر هو:

أنه كان المكان الذي قابلتُها فيه.

قضيتُ اليوم أنا ودان نتجوَّل في القصر، نُعِدُّ سيناريوهاتٍ مكتوبة للاعبي الحضور عن بُعد الذين كنَّا نأمَل في ضمِّهم إلى الفريق. كنَّا في مساحةٍ إبداعية بالكامل، وكان الحوار يتدفَّق بسرعة فاقَت قُدرة دان على تدوينه. كان العمل على الأفكار مع دان أروعَ طريقةٍ مُمكنة لتَمضِية الوقت على الإطلاق.

كنتُ مُؤيِّدًا بشدَّة لتَسريب الخُطة على شبكة الإنترنت على الفَور لكسْب قلوب وعقول جمهورنا الأساسي، ولكن ليل رفضَت الفكرة.

كان مُزمَعًا أن تقضي اليَومين المُقبلين في مُناورات سياسية هادئة وسط باقي أفراد اللجنة؛ لكسْب بعض الدَّعم للفكرة، ومن ثَمَّ لم تكن ترغَب في ظهور أيِّ شيءٍ غير لائق قد ينبُع من انضمام غُرَباء مُؤيِّدين للفِكرة قبل انضمام أفراد اللجنة أنفسهم.

كان التحدُّث إلى أفراد اللجنة وإقناعهم مهارةً لم أتقِنها قط. كان دان وليل يُجيدان هذا الأمر، أما أنا فأعتقِد أنَّني كنتُ أنانيًّا مُنغلِقًا على نفسي على نحوٍ مُبالَغ فيه، وهو ما لم يَجعلني أطوِّر مهاراتٍ جيدة كصانعٍ للسلام. حينما كنتُ أصغَر سنًّا، كنتُ أعتقِد أن هذا عائد إلى ذكائي الذي يفوق الجميع، ومن ثَمَّ فليس لديَّ من الصبر ما يكفي لتوضيح الأمور بكلمات مُقتضَبة للأغبياء الذين لم يفهموها بسهولة دون كثيرٍ من الشرح.

وحقيقة الأمر أنني رجل ذكي بما فيه الكفاية، ولكن ليس إلى حدِّ العبقرية، خاصة فيما يتعلق بالناس. ربما كان هذا يُعزى إلى فِكرة «مزاحمة الحشود» وعدَم رؤية الأفراد، بل مُجرَّد الحشد؛ فأنا مَحضُ عدوٍّ للوفاق.

لم أكن لأنجَحَ في الدخول إلى عالم أفراد اللجنة المسئولين عن ساحة الحرية وحدي، لولا ليل التي حقَّقَت لي ذلك قبل وقتٍ طويل من شُروعنا في ممارسة الحب. ظننتُ أنَّ أقرانها سيَصيرون أفضل حُلفائي في عملية الانضمام، ولكنهم كانوا مُنهَكين تمامًا وأكثر استعدادًا للُّجوء إلى النوم الطويل من أن يُعيروا اهتمامًا كبيرًا لوافدٍ جديد مثلي.

أخذتْني ليل تحت جَناحها، وصارت تدعوني إلى الحفَلات التي يُقيمونها بعد العمل وتُقدِّمني إلى أصدقائها المُقرَّبين، وتُوزِّع نُسخًا من أطروحتي في كتمان. وكانت تفعل العكس أيضًا؛ فكانت تُطري على فضائل الآخَرين ممَّن كنتُ أقابلهم بصدقٍ حتى لمستُ فيهم ما يَستوجِب الاحترام، ومن ثَمَّ لم يَسعني إلَّا أن أعامِلَهم كأشخاصٍ مُتفرِّدين.

خلال السنوات التالية، فقدتُ هذا الاحترام وصرتُ أمضي الوقت مع ليل في مُعظَم الأحيان، ثم مع دان بمجرَّدِ وُصوله، ومع أصدقاء الإنترنت في جميع أنحاء العالم. كان أفراد اللجنة الذين كنتُ أعمل معهم طَوال اليوم يُعاملونني بالدرجة العادية من اللياقة، ولكن دون كثيرٍ من الود.

أعتقد أنني عاملتُهم بالمثل. حينما كنتُ أتصوَّرهم في ذهني، كنتُ أراهم بلا وجوه، مجرَّد حشدٍ من أشخاص عُدوانِيِّين سلبِيِّين علَقُوا في ذلك العالم الجامد القائم على بِناء الإجماع حتى لم يعُد بمقدورهم القيام بأي شيء.

انغمستُ أنا ودان في الأمر تمامًا، وأخذنا نتصيَّد مَواقِع الإنترنت للحصول على قوائم بعناوين المهووسين بالقصر في أركان العالم الأربعة، واضِعين إيَّاها في جدول بيانات يُقابِلها مناطقهم الزمنية وطبائعهم، وبالطبع رصيدهم من الووفي.

«هذا غريب»، هكذا قلتُ وأنا أنظر إلى أعلى من محطة الإرسال عتيقة الطراز التي كنتُ أستخدمها؛ إذ عادت أنظمتي غير مُتَّصِلة بالإنترنت مرة أخرى. كانت تتأرْجَح صعودًا

وهبوطًا منذ يومين للآن، وظللتُ أنوي الذَّهاب إلى الطبيب، ولكن لم تتسنَّ لي الفرصة لذلك. كان ثمَّةَ شعور مُلحٌّ يَجتاحُني على نحوٍ دَوري عندما كنتُ أتذكر أن هذا يعني أن تحديث نُسختي الاحتياطية قد انتهت مُدَّته، ولكن القصر كانت له الأولوية دائمًا.

قال دان: «ماذا؟»

نقرتُ على شاشة العرض قائلًا: «أترى هذه الأشياء؟» كان أحد مواقع المُعجبين يعرِض صورًا مُتحرِّكة مُتداخلة ثلاثية الأبعاد لعناصر مُختلِفة من القصر، وهو ما كان جزءًا من مشروعٍ تعاوني عِملاق ظلَّ قائمًا على مدار عقود يهدف إلى بناء عرضٍ تفصيلي ثلاثي الأبعاد لكل بوصة من المُتنزَّه. وقد استخدمتُها لبناء نموذجي التجريبي لمُحاكاة جولات الطيران الافتراضية.

قال دان: «إنهم رائعون حقًّا. لا بُدَّ أن هذا الشخص بارع للغاية.» قام مُصمِّم هذه الصور المتداخلة بتصميم وترتيب وتحريك كلِّ شَبَح موجود في مَشهد قاعة الرقص ببراعةٍ وأكمَلَها بإضافة الكينيماتيكا اللازمة لتحقيق الحركة الكاملة. كان أي فنان من المُعجبين «العاديين» سيستخدم مكتبة كينيماتيكا بشرية قياسية لتحريك الأشكال، أما هذا الشخص فقد كَتَبَها بنفسه من الألف إلى الياء لتتحرَّك الأشباح بانسيابٍ طَيْفي لا يَمتُّ للبشر بِصِلة.

سألَنِي دان: «من هو المُصمِّم؟ هل هو موجود على قائمتنا؟»

انتقلتُ إلى أسفلَ لعرض أسماء المُساهِمين، فشهَقَ دان قائلًا: «تبًّا لي!»

كان المُصمِّم هو تيم، صديق دِبرا القِزم، وقد قدَّم هذه التصميمات قبل أسبوعٍ واحد من اغتيالي.

سألتُ دان على الرغم من وجود بعض الأفكار الخاصَّة بشأن هذا الموضوع لدي: «ماذا يَعني ذلك في اعتقادك؟»

قال دان: «إن تيم من المُولَعين بالقصر. كنتُ أعرف ذلك.»

«كنتَ تعرِف؟»

بدا دِفاعيًّا قليلًا. «بالتأكيد، لقد أخبرتُك من قبل حينما جعلتَنِي أتسكع مع عصابة دِبرا.»

هل طلبتُ منه التسكع مع دِبرا؟ ما أتذكره أنَّ ذلك كان اقتِراحه هو. الأمر مُعقَّد على نحوٍ يستحيل التفكير فيه.

سألته: «ولكن ماذا يعني ذلك يا دان؟ هل هو حليف؟ هل عَلينا أن نُحاوِل تَجنيده؟ أم أنه هو من أقنع دِبرا بضرورة الاستيلاء على القصر؟»

هزَّ دان رأسه قائلًا: «لستُ متأكدًا أصلًا من أنها ترغَب في الاستيلاء على القصر. أنا أعرف دِبرا، كل ما تريده هو تحويل الأفكار إلى أشياء مادية بأقصى سرعة ووفرة ممكنة، إنها تتخيَّر مشروعاتها بحِرص. إنها مُولَعة باقتناء الأشياء بالطبع، ولكنها حذِرة أيضًا. لقد كانت لديها فكرة رائعة لقاعة الرؤساء، فتَوَلَّتْها بالتَّبَعية. ولم أسمعْها تتحدَّث عن القصر أبدًا.»

«بالطبع لم تسمَعْها. إنها حَذِرة. هل سمعتَها تتحدَّث عن قاعة الرؤساء؟»

تلعْثَمَ دان قائلًا: «ليس تمامًا ... أعني، لم تَقُل الكثير، ولكن ...»

قاطعته قائلًا: «لكن لا شيء. إنها تسعى وراء القصر، وراء المملكة السحرية، وراء المُتنزَّه. إنها في طريقها نحوَ السيطرة، تبًّا لذلك! ويبدو أنني الوحيد الذي لاحظ هذا الأمر.»

اعترفتُ لـ «ليل» بما أصاب أنظِمتي في تلك الليلة، ونحن نتشاجر. فقد أصبح الشِّجار هو وَسيلتنا المُعتادة لتَمضِية المساء، أما دان فقد فضَّل الذهاب للنوم في أحد الفنادق الكائنة بالمكان على أن يتحمَّل شِجارنا.

كنتُ أنا من بدأ الأمر بالطبع. قلتُ وأنا أُلقي بنفسي على الأريكة بعُنف وأركل طاولة القهوة المخدوشة «سَوف نُقتَل إذا لم نُسرِع ونبدأ في عملية التجديد.» وفي الأثناء سمعتُ الهستيريا واللامنطق في صوتي وهو ما أغضبَني أكثر. كنتُ مُحبَطًا من عدَم قُدرتي على تفقُّد سانيب ودان، وكالعادة، كان الوقت مُتأخِّرًا جدًّا للاتصال بأيٍّ منهما والقيام بأي شيء حيال هذا الأمر. وبِحلول الصباح كنتُ قد نَسيتُ مرة أخرى.

صاحَت ليل من المطبخ قائلة: «أنا أفعل ما أستطيع يا جولز. إذا كانت لديك طريقة أخرى أفضل، فأودُّ مَعرفتها.»

«أوه، سُحقًا! أنا أفعل كلَّ ما في وُسعي وأخطط للأمر. أنا مُستعدٌّ للذَّهاب. لقد كانت مُهمَّتك أن تُعِدِّي أفراد اللجنة للأمر، ولكنك لا تتوقَّفِين عن إخباري بأنهم غير مُستعدِّين، متى سيصيرون مُستعِدِّين؟»

«يا إلهي! يا لك من مُتذمِّر!»

«لن أتذمَّر فقط إذا قُمتِ بهذا الأمر. ماذا تفعلين طوال اليوم على أية حال؟ تعملين بمناوبات مُختلِفة في القصر؟ تُعيدين ترتيب المقاعد على سفينة مُغامرة تيتانيك العظيمة؟»

«إنني أعمل بأقصى جُهدي، لقد تحدَّثتُ مع كل واحدٍ منهم مرَّتَين على الأقلِّ خلال هذا الأسبوع عن الأمر.»

صحتُ في المطبخ قائلًا: «بالطبع، بالطبع فعلت.»

«لا تَثِق بكلامي إذن دون تحقُّق. تَفحَّص سِجِلَّات هاتفي.»

وقفَتْ مُنتظِرة.

«حسنًا؟ هيا تفحَّصْها!»

قلتُ وأنا خائفٌ ممَّا قد يُفضِي إليه هذا: «سأتفحَّصُها لاحقًا.»

قالت وهي تدخل إلى الغرفة مُستشيطةً غضبًا: «أوه، لا لن تفعل. لا يُمكنك أن تنعَتَني بالكاذبة ثم ترفُض أن ترى الدليل.» وضعَتْ يدَها بقوَّةٍ على رِدْفَيها الرَّشيقين الصغيرين ورمَقَتْني بنظرةٍ غاضبة. واستحال لونُها إلى الشُّحوب حتى إنَّني تمكنتُ من إحصاء النَّمَش على وَجهِها، ورقَبَتِها، وتَرقُوَتِها والبروز الخفيف على جانبي شقِّ الثديَين، الذي كان يَظهَر من القميص القديم ذي الرَّقَبة المُثلَّثة، الذي كنتُ قد أعطيتُها إياه في رحلةٍ لمُدَّة يومٍ واحد إلى مدينة ناساو.

سألتني: «وبعد؟» كانت تبدو على استعدادٍ لكسْر عُنُقي.

اعترفتُ مُتلافِيًا النَّظر إلى عَينيها: «لا أستطيع.»

«بل يُمكِنك، ها هي ذا، سأضعُها في دليلِك العام.»

تحوَّلَ تعبير وَجهها إلى الارتِباك حينما فشِلتْ في إيجادي على شبَكتها وقالت: «ما الذي يحدُث؟»

أخبرتُها بالأمر. كنتُ غير مُتصلٍ، منبوذًا ومعطلًا.

«حسنًا، لماذا لم تذهَب لرؤية الطبيب؟ أعني، لقد مرَّت أسابيع. سأتَّصِل به الآن.»

أجبتُ قائلًا: «انسَي الأمر، سأذهبُ لأراه غدًا، لا داعِيَ لأنْ نُقلِق مَنامه.»

ولكنني لم أره في اليوم التالي ولا اليوم الذي يليه. كان هناك الكثير لأفعله، وفي المرَّات التي كنتُ أتذكَّر فيها أن أتَّصِل بأحدهم، كنتُ إما بعيدًا جدًّا عن المحطات العامَّة أو كان الوقت مُبكرًا أو مُتأخِّرًا للغاية. عادتْ أنظِمتي للاتِّصال بالشبكة بضع مرات، وكنتُ غارقًا حتى أذني بالخُطط المتعلقة بالقصر، وصارت ليل مُعتادة على المُسوَّدات الورقية المُبعثرة في أرجاء المنزل وطباعة مُلاحظاتها على تصميماتي ووضعِها على مقعدي المفضل، والعَيش كما عاش أهلُ الكهف في عصر المعلومات، مُحاطين بالأشجار المَيِّتة والساعات الدقَّاقة.

ساعدَني عدَم اتِّصالي بالشبكة على التركيز. ليس «التركيز» هي الكلمة المُناسبة لوَصْف حالي، بل الهوَس. كنتُ أجلس أمام المحطة التي جلبتُها معي إلى المنزل طوال اليوم، كل يوم، أضع الخطط بجنون وأُملي البريد الصوتي. كان على كلٍّ من يرغَب في التحدُّث معي أن يأتي إلى المنزل مباشرة.

صرتُ غارقًا في العمل حتى لم يعُد لديَّ وقت للتشاجُر، وعاد دان إلى المنزل مرة أخرى، ثم حان دَوري الآن للانتقال للإقامة بغُرَف الفنادق حتى لا يقضَّ صوت لَوحة مفاتيحي الصاخِب ليالِيَه. كان هو وليل يُديران حملةً بِدوامٍ كامل لإقناع أفراد اللجنة بالانضِمام إلى قَضيتنا، وبدأتُ أشعر بأننا صِرنا أخيرًا مُتناغمين وأننا على وشْك الوصول إلى هدفنا.

ذهبتُ إلى المنزل في عصر أحد الأيام مُمسكًا حزمةً من الأوراق، ودخلتُ مُسرعًا إلى غُرفة المَعيشة وأنا أثرثر بسرعةٍ شديدة حول شائبةٍ شابت خُطَّتي الأساسية من شأنها أن تُضيف جولةَ تَفَحُّصٍ سيرًا على الأقدام ثالثة إلى جَولات اللعبة، وهو ما يعني زيادة عدد روبوتات الاتِّصال المرئي عن بُعد، التي يُمكِنُنا استِخدامها دون تقليل الإنتاجية.

كنتُ في خِضَمِّ ثَرثَرَتي حينما عادت أنظمتي للاتِّصال بالشبكة فظهر الحديث العام الذي كان يدور في الغُرفة على شاشتي الذهنية.

ثُمَّ سأُمزِّق كلَّ جُزءٍ صغيرٍ من ملابِسكَ وأضاجِعُك.

وماذا بعدَ ذلك؟

سأُضاجِعُكَ حتى لا تَقوى على السَّيْر.

يا إلهي يا ليل! تَبدِين كراعِيةِ بقَرٍ مَمشوقةِ القَوام.

أغلَقتُ عيني وأُغلِق معها كلُّ شيءٍ فيما عدا الحُروف المُضيئة.

تلاشَتْ سريعًا، وفتحتُ عيني مرَّةً أخرى ونظرتُ إلى ليل التي بدَت مُشوَّشةً وعلى وَجهِها حُمرة خَجَل، فيما بدا دان خائفًا.

سألتُ بهدوء: «ما الذي يحدُث يا دان؟» دقَّ قلبي في صدري بِعُنف، على الرَّغم من شُعوري بالهدوء واللامُبالاة.

همَّ دان بالحديث: «جولز»، ثُمَّ سُرعان ما استسلَم ونَظَر إلى ليل.

فهمَتْ ليل في ذلك الحين أنَّني عدتُ للاتِّصال بالشبَكة وأنَّني اكتشفتُ رسائلهما السرِّية.

قلت: «هل تَستمتِعين يا ليل؟»

هزَّت ليل رأسها ورَمَقَتْني بنظرةٍ غاضبة وقالت: «فقط اذهَب يا جولز، سأُرسِل أغراضَك إلى الفُندق.»

«تُريدينَني أن أذهب. أليسَ كذلك؟ لتُضاجِعيه حتى لا يقوى على السير؟»

«هذا منزلي يا جوليوس، وأطلُبُ منك أن تَترُكه. سأراك في العمل غدًا، لدَينا اجتماع عام لأعضاء اللجنة للتصويت على التجديد.»

كان منزلها.

هم دان قائلًا: «ليل، جوليوس ...»

قاطعَتْه ليل قائلة: «هذا أمر بَيني وبينه، لا تتدخَّل فيه.»

أسقطتُ أوراقي، أردتُ أن أرمِيَها، ولكنني أسقطتُها فارتطَمَتْ مُحدِثة صوتًا مكتومًا ثم استدرتُ وخرجتُ من المنزل غيرَ عابئ بإغلاق الباب خَلْفي.

قَدُمَ دان إلى الفندق بَعدي بعشرِ دقائق وطرَقَ بابي بعُنف. كنتُ فاقدًا للإحساس تمامًا حينما فتحتُ له الباب. كان يَحمِل زجاجة تكيلا — الزجاجة الخاصَّة بي — جلبَها من المنزل الذي كنتُ أتَشارَكُه مع ليل.

جلَسَ على السرير وأخذ يُحدِّق إلى ورَق الحائط المطبوع عليه شِعار. أخذتُ الزُّجاجة منه وجلبتُ كُوبَين من الحمَّام وسكبتُ الشراب.

قال: «إنه خَطئي.»

قلت: «أنا مُتأكدٌ أنه كذلك.»

«اعتدْنا احتِساء الشَّراب قبل بِضع ليالٍ؛ كانت غاضبة جدًّا. لَمْ تَرَك منذ أيام، وعندما رأتْكَ أثَرْتَ حنَقَها. لم تَجِد منك إلَّا صِياحًا، وشِجارًا وإهانة.»

أجبتُ قائلًا: «ولذا قرَّرْتَ أن تُضاجِعَها.»

هزَّ رأسَه ثُمَّ أومأ واحتَسى رشفةً من الشراب وقال: «نعم، لقد فعلت. لقد مَرَّ وقتٌ طويل منذ أن ...»

قاطعتُه قائلًا: «لقد مارَسْتَ الجِنس مع حَبيبتي في مَنزلي وأنا بالعمل.»

«جولز، أنا آسِف. لقد فعلتُ ذلك ولم أتوقَّف عن فعله، أنا لستُ بصديقٍ لأيٍّ منكما. إنها مُحطَّمة تمامًا. لقد أرادَتْ مِنِّي أن آتي إليك هنا وأُخبِرَك أنَّ هذا كلَّه مُجرَّد خطأ وأنك مريض بالشكِّ فحسب.»

جلسْنا صامِتَين لوقتٍ طويل. ملأتُ كوبه ثانيةً ثم ملأتُ كوبي.

أردف قائلًا: «لم أستطِع فعل ذلك. أنا قلقٌ بشأنك، لستَ على ما يُرام منذ شهور. لا أعلَمُ ما الأمر، ولكن يَجِب أن تذهبَ إلى طبيب.»

فقدتُ أعصابي وصِحتُ قائلًا: «لا أحتاج إلى طبيب.» أذاب الشَّراب شُعوري بفُقدان الإحساس ولم يترُك داخلي إلَّا الغضب المُتأجِّج والمرارة، رفيقيَّ الدائمين. «أحتاج إلى صديقٍ لا يُضاجِع حبيبتي بمُجرَّد أن أدير ظهري.»

ألقيتُ بكوبي في الجِدار فارتدَّ تاركًا بُقَعًا من التكيلا على وَرقِ الحائط وتدحرَج أسفل السرير. جفَل دان ولكنَّه ظلَّ جالسًا، لو كان نَهَض من مكانه لضربتُه. إنه يُجيد التصرُّف في الأزمات.

ردَّ قائلًا: «إذا كان فيما سأقول أيُّ عزاء، فأنا أتوقَّع أن أموت في القريب العاجِل.» ابتسم لي ابتسامةً ساخِرة وأردف قائلًا: «إن رصيدي من الووفي جيِّدٌ ومن المُتوقَّع أن ترفَعَه مسألة إعادة التجديد هذه إلى أعلى المُستويات، وحينئذٍ سأكون مُستعِدًّا للرحيل.»

أوقفني ذلك، لقد تمكنتُ بشكلٍ من الأشكال من نِسيان أن دان، صديقي العزيز، كان سيَقتُل نفسه.

قلتُ وأنا أجلِس إلى جانِبه: «ستفعَلُها.» كان التفكير في الأمر مُوجِعًا. لقد كنتُ أحبُّ هذا الوغد حقًّا. لعلَّهُ كان أعزَّ أصدقائي.

كان هناك طرْق على الباب. فتحتُه دون التحقُّق من الطارق عبر العَين السحرية. كانت ليل.

كانت تبدو أصغرَ سِنًّا من أيِّ وقتٍ مضى، صغيرة سنًّا وحجمًا وبائسة. كنتُ على وشْك التلفُّظ بمُلاحَظة ساخرة ولكنَّها ماتت في حلْقي قبل أن تخرُج. كنتُ أرغَب في ضمِّها.

تجاوَزَتْني واتَّجَهَت نحوَ دان الذي تملَّص من مُعانَقتِها.

«لا»، هكذا قال. ونَهض ثُمَّ جلس على حافَةِ النافذة مُحدِّقًا بالأسفل في بُحيرة البحار السبعة.

تحدَّثتُ قائلًا: «كان دان يَشرَح لي لِتوِّه أنه يُخطِّط للمَوت في غضون بضعة أشهر. سيُفسِد ذلك الخُطط الطويلة المدى يا ليل. أليس كذلك؟»

انسابَتِ الدُّموع على وجهها وبدَت تتقَوقَع على نفسها، وقالت: «سآخُذ كلَّ ما أستطيع الحصول عليه.»

اختنقتُ شاعرًا بغُصَّةٍ من البؤس وأدركتُ أن فُقدان دان، وليس ليل، هو ما يُحزِنُني أكثر من أيِّ شيء.

أخذَتْ ليل يدَ دان واصطحَبَتْه خارج الغُرفة.

أعتقِد أني سآخُذ كلَّ ما أستطيع الحصول عليه أيضًا، هكذا فكَّرْت.

الفصل السادس

بينما كنتُ مُستلقِيًا على سريري بالفندق، مأخوذًا بمُشاهَدة الدَّورات الكسولة لمروحة السقف، تأملتُ احتمالية أنَّني قد أكون مجنونًا.

لم يكن هذا الأمر غير مألوف، حتى في زَمن مجتمع الروعة، وعلى الرغم من وجود عِلاجات، فلم تكن لطيفة.

كنتُ مُتزوِّجًا في يومٍ من الأيام بامرأةٍ مجنونة. كان كِلانا في السَّبعين من العمر تقريبًا، ولم أكن أعيش لأجل أي شيء إلا المرَح. كان اسمها زُويا وكنتُ أدعوها زِدْ.

تقابلْنا في الفضاء، حين ذهبتُ إلى هناك لأرى المشاهير من السَّاعين وراء المُتعة الذين يعيشون في الفضاء الخارجي. لا تُوجَد مُتعة كبيرة في الثَّمالة حتى الترنُّح عند درجة واحد من مِقياس الجاذبية، أما عند دَرَجة عشرة إلى سالِب ثمانية فالأمر يَصير في غاية المُتعة. فأنت لا تترنَّح بل تِقفز، وحينما تقفِز داخل كُرة سماوية تعجُّ بآخَرين من السُّعداء الصاخِبين الذين يقفِزون عُراة تصير المُتعة مُضاعَفة.

كنتُ أقفِز داخل كرة شفَّافة قُطرها مِيل ومليئة بكرات أصغر حجمًا يمكن أن يحصل فيها المرء على العديد من الأفكار الجيدة لاختراعات مجنونة وقاتلة. كانت الآلات الموسيقية مُبعثَرة على أرضية الكرة، وإذا كنتَ تجيد العزْف على إحداها، كان يُمكنك أن تأخذ واحدة وتربطها بك وتبدأ في العزف، في حين يلتقط الآخرون جيتاراتهم الإلكترونية ويُصاحبونك العزف. كانت الإيقاعات تتفاوَت، فمنها ما كان رائعًا ومنها ما كان مُروِّعًا، إلَّا أنها جميعًا كانت مُفعَمةً بالحيوية دائمًا.

كنتُ أعمل على تأليف سيمفونيتي الثالثة على نحوٍ غير مُنتظم، وكلما ظننتُ أنني تمكنتُ من تأليف جزءٍ جيِّدٍ قضيتُ بعض الوقت داخل الكرة في عَزْفِه. أحيانًا كان الغُرباء الذين يُصاحبونني في العزف يَمنحونني أفكارًا لألحانٍ جديدة ومُبتَكرة وكان ذلك جيدًا.

وحتى حينما لا يفعلون، كان مُجرَّد العَزف على أيِّ آلةٍ موسيقية وسيلةً سريعة لإثارة فضول أحدِ الغُرَباء العارين المُثيرين للاهتمام.

وهكذا التقَينا. التقطَتْ إحدى آلات البيانو وأخذَتْ تعزِف بعُنف ألحانًا بأحدِ أساليب موسيقى الجاز مُستخدِمة زمنًا موسيقيًّا غير مُعتادٍ في حين لعبتُ أنا اللحن الأساسي للقِطعة الموسيقية على آلة التشيلو. كان الأمر مُزعِجًا في البداية، ولكن بعد فترةٍ قصيرة بدأتُ أفهم ما كانت تفعله بموسيقاي شيئًا فشيئًا، وقد كان جيدًا حقًّا؛ فأنا مُولَع بالموسيقيين.

أنهينا جلسة العزْف نهايةً صاخبة وأنا أعزف على الكمان بجنونٍ وقد تجمَّعَت قطرات العرَق كحبَّات عِقدٍ على جسدي، ثم طُفْتُ في الهواء برشاقةٍ وتوجَّهتُ نحو أجهزة إعادة تدوير المياه، وكانت هي تضرِب بعُنفٍ على أصابع البيانو الثمانية والثمانين وكأنَّهم الجُناة المسئولون عن قَتلِ حبيبها.

انهرتُ تمامًا عندما اخترَقَت آخرُ نغمة موسيقية الفُقَّاعة بقوَّة. وتوقَّف الأفراد والعُشَّاق والمجموعات في مُنتصَف جِماعهم الطائر ليُصفِّقوا. فانحنَتْ وتحلَّلَت مِن الحِبال التي كانت تَربِطها بالبيانو وتوجَّهَت نحوَ الكوَّة.

لففتُ ساقيَّ لأعلى وانطلقتُ مُسرِعًا عبر الكُرة مُحاولًا باستماتةٍ الوصولَ إلى الكوَّة قبلَها، وأمسكتُ بها قبل أن تُغادِر.

«مرحبًا! كان هذا رائعًا! أنا جوليوس! كيف حالك؟»

مدَّت كِلتا يدَيها واعتصرَتْ أنفي وقَضيبي في الوقت نفسه. لم تفعَلْ ذلك بعُنفٍ بالطبع، بل على نحوٍ دُعابي وقالت: «بيب!» ثُمَّ شقَّتْ طريقها للخروج من الكوَّة مُتمَعِّجَة، في حين حدَّقتُ فاغرًا فِيَّ وأنا في حالةٍ من الاستِثارة الحِسِّية.

لاحقتُها وهي تَتشقلَبُ عبر مِكبح المحطة نحوَ الجاذبية وناديتُ قائلًا: «انتظري.»

كان لها جَسدُ عازِفة بيانو: ذِراعان مُعادٌ تَصميمُهما، ويَدان تَتمدَّدان لأطوالٍ لا معقولة، وكانت تَستخدِمُهما برشاقةٍ فضائية وتدَفَع نفسها وَثبًا إلى الأمام بسرعة. تعثَّرتُ في طريقي وأنا أتْبَعُها قدْرَ ما أستطيع على ساقيَّ الفضائيَّتَين المُبتدئَتَين، ولكنها كانت قد ذهبت لحظةَ وُصولي لحافَةِ المحطة التي تُساوي قوة جاذِبيَّتِها نِصفَ وحدةِ جاذبية.

لم أجِدْها مرَّةً أخرى حتى انتهائي من الجُزء التالي من السيمفونية حين ذهبتُ إلى الفقاعة لعزفِها على آلة الأوبوا. كنتُ لا أزال أقوم بالإحماء والاستعداد حينما مرَّتْ من خلال الكوَّة وربطَت نفسها بالبيانو.

ثبَّتُّ آلة الأوبوا هذه المرة تحت ذِراعي وانطلقتُ تِجاهها مُسرِعًا قبل ترطيب ريشة الأوبوا والبدء في العزف. حُمتُ فوق البيانو ونظرتُ في عينَيها مُباشرة ونحن نعزِف. كان مِزاجها ذلك اليوم يَميل إلى استِخدام الزمن الموسيقي ٤/٤ والتآلُف الموسيقي المؤلَّف من القرار (النغمة الأولى من السلم) والنغمة الرابعة والنغمة الخامسة التامَّة وهو ما أضفى جوًّا من التنوُّع ما بين موسيقى البلوز والروك والفولكلورية، عابِثةً بحدود ألحاني الخاصَّة. تَبارَيْنا في الارتِجال وكانت جوانب عَينَيها تتجعَّد على نحوٍ ساحِرٍ كلَّما تمكَّنْتُ من التعامُل جيدًا مع جُزءٍ صغير من هذا التنوُّع الموسيقي العبقري.

كانت مُسطَّحة الصَّدْر تمامًا تقريبًا يُغطِّي جسَدَها فِراء أحمر ناعِم وأنيق مثل السِّنجاب. كانت تبدو كالرَّحالة، وهو ما ناسَبَ حياة الفضاء الناعِمة ذات المناخ المحكوم. بعد خمسين عامًا، كنتُ أُواعِد ليل، فتاة صَهْباء أخرى، إلَّا أنَّ زِد كانت مَعشوقَتي الأولى.

ظلَلتُ أعزِف وأعزِف مَفتونًا برشاقة حَرَكاتها على البيانو وبتَقْطيبات التركيز المُضحكة التي ارتسمت على وجهها عند التقاط جُملة موسيقية متكررة ذات إثارة خاصة. وكنت حينما أشعر بالتعب، أعزف قطعة موسيقية انتقالية بطيئة أو أتركها تعزف مُنفرِدة. وكنتُ أنوي أن أفعل ذلك لأطول وقتٍ ممكن، وفي هذه الأثناء كنتُ أتحرَّك بخفَّةٍ بينها وبين الكوة.

حينما عزفتُ آخِرَ لحن، كان الإنهاك يَعتصِرُني كمِنشَفَةِ وجه، ولكنني استجمعتُ قواي وانطلقتُ نحو الكوة ووقفتُ أمامها لأُغلِقَها وأمنَعَها من الخروج؛ ففكَّتْ أربطَتَها بهدوءٍ وسبَحَت نَحوي.

نظرتُ في عينَيها الفِضيَّتَين المائلتين اللتين تَبدوان كعيون القطط؛ العينين اللتين كنتُ أُحدِّق إليهما طوال المساء وأُراقِب الابتسامة التي وُلِدت في رُكنَيْهما وامتدَّت إلى أصابع قدَمَيها الطويلة الرشيقة. نظرَتْ لي بدَورها ثم أمسكتْ بمِفصَلي مرَّة أخرى بطول ذِراعيها.

قالت: «لا بأس بك.» ثُمَّ قادَتْني إلى غُرفة نَومها التي تَقَع قُبالة المحطة.

لم نَنَمْ.

كانت زُويا من أوائل مُهندِسي الشبكات المسئولين عن المجموعات النَّجمية ذات النطاق العريض والمدار الجُغرافي المُتزامِن مع الأرض التي كانت في طريقها إلى الصعود عبر أطراف مَطلَع العالم نحوَ عالم الروعة. تعرَّضَت إلى العديد من الطاقات الإشعاعية الشديدة ودرجات الجاذبية المنخفضة حتى أصبحَتْ إنسانًا بعدَ بَشريٍّ بمرور الوقت، وأدخلَتْ

تحديثات من خلال إضافة مجموعة مُذهلة من التعزيزات الخارجية: ذيل لاوظيفي، عينين تستطيعان الرؤية عبر مُعظَم أطياف التردُّدات اللاسلكية، ذِراعَيها، فِرائها، ومفاصل رُكبةٍ قابلة للانعِكاس والالتِواء، وعمود فقري آلي تمامًا غير عُرضةٍ لأيٍّ من الأمراض السخيفة التي تُصيب بَقيَّتنا، مثل آلام أسفل الظهر، والتهابات الكتِف، وعِرق النَّسا والانزلاقات الغضروفية.

كنتُ أعتقد أنني أعيش لأجل المُتعة، ولكني لم أكن أعرِف أيَّ شيء عن زِدْ؛ فقد كانت لا تلجأ إلى الكلام إلا حينما لا يُجدِي التزمير والصَّفير والإمساك والتقبيل نفعًا، وكانت تُدخِل تحديثات على نفسها على نحوٍ دَوري بناءً على أيِّ نزوةٍ عابرة تخطُر ببالِها، مثل حينما قرَّرَتِ السَّير في الفضاء مُجرَّدةً من الجِلد وقضَتْ فترة ما بعد الظهيرة تُغطَّى بصفائح القصدير ويُرَكَّب لها رئة اصطناعية.

وقعتُ في حُبِّها مئات المرَّات في اليوم، وواتَتْني رَغبةٌ في خنقِها على الأقلِّ مرَّتَين. قضتْ يَومَين على الأقلِّ في جولة السير بالفضاء تطفو عبر الفقَّاعة وتصنع وُجوهًا مجنونة لانعكاسها الخارجي. لم تكن لديها وسيلة لمعرفة ما إذا كنتُ بالداخل، ولكنها كانت تفترِض أنَّني أشاهدُها. أو ربما لم تفعل، وكانت تصنع هذه الوجوه لتسلية من كان يُشاهدها.

ولكنها عادت عبر المِكبح مرة أخرى، غريبة ولا تنطِق ببِنتِ شفَةٍ وقد امتلأت عيناها بالنجوم التي رأتها وتعكس بشرَتَها المَعدِنية برودة هواء الفضاء الشاغر، وقادَتْني في لُعبة مُطارَدة مرِحة عبر المحطة، والرَّدهة الفوضوية حيث انزلقْنا عبر بودينج الأرز الزَّلِق المُتهادي ذي الشكل البيضاوي، والصوبات التي كانت تختبئ فيها كالسِّنجاب وتتسلَّقُها كالقرد، مرورًا بالمناطق السكنية والفقاعات التي مرَرْنا بها وقاطَعْنا الآلاف من المُضاجَعات.

في الغالِب ستعتقِد أننا قد مارَسْنا الحُبَّ معًا بعد هذا اللهو واللعب، وفي الواقِع كان هذا هو ما كنتُ أتوقَّعُه بكلِّ تأكيد منذ بدأنا اللُّعبة التي كنتُ أراها كلعبةِ سباق الحواجز للخيول، ولكننا لم نفعل مُطلقًا. كنتُ أنسى في خِضَمِّ لَعِبنا دَوافعي الشهوانية وأعود إلى حالة من البراءة الطفولية غير عابئ إلَّا بإثارة المُطارَدَة وشعور الرغبة في الضحك الشديد الذي كنتُ أشعُر به كلَّما كانت تكتشِف مُنعطفًا جديدًا أكثر غرابةً لتَتَّخِذه. أعتقد أننا صِرنا أسطورة بالمحطة؛ ذلك الثنائي المجنون المُفعَم دائمًا بالحيوية والنشاط، وكأن مُمثِّلَيْن كوميديَّيْن يَقتحِمان حفلك عارِيَيْن فجأة ثم يَختفِيان.

حينما طلبتُ منها الزَّواج والعودة معي إلى الأرض لنعيش معًا حتى تنفكَّ دعائم الكون، ضحِكتْ واعتصرَتْ بأصابِعِها أنفي وقضيبي وصاحت قائلة: «لا بأس بك!»

اصطحبتُها للعيش في تورونتو وأقمْنا في مسكنٍ يقَع في الطابق العاشر أسفل الأرض بالمساكن المؤقتة للجامعة. لم يكن رصيدنا من الووفي على كوكب الأرض رائعًا للغاية، وكانت الممرات المؤسَّسِية اللامُتناهية تُشعِرها بأنها في موطِنها وأتاح لها فُرصًا لمُمارَسة شَغَبِها وَخُدَعِها.

ولكن شيئًا فشيئًا تضاءل شغَبُها، وبدأت تتحدَّث أكثر. أعترِف أنني في البداية كنتُ أشعر بالارتياح حيال ذلك؛ إذ كنتُ سعيدًا بأن زَوجتي الصامتة الغريبة الأطوار قد بدأت في التصرُّف بشكلٍ طبيعي أخيرًا والتعامُل بلُطفٍ مع الجيران، بدلًا من تدبير المقالِب لهم بالتزمير وركْلِ مُؤخراتهم واستِخدام المُسدَّسات المائية لرشِّهم بالمياه. توقَّفنا عن مُمارسة لعبة سباق الحواجز وتخلَّتْ هي عن المفاصل القابلة للالتواء وأزالت فِراءها وتخلَّت عن عَينَيها الفِضِيَّتين وتَحوَّلَتا إلى لونٍ بُندقي، ولكنه كان لونًا جميلًا وساحرًا تمامًا مثلما كان اللون الفضي يُضفي عليها غموضًا.

ارتدينا الملابس العادية، واستضفنا الآخرين. وبدأتُ أتدرَّب على سيمفونيتي في قاعات منخفضة الووفي، وفي المُتنزَّهات مع أيِّ موسيقيين كان يُمكنني العثور عليهم، وكانت تدعَمُنا دون أن تعزِف، فقط تجلِس جانبًا وتظلُّ مُبتسِمة ابتسامةً لا تتجاوَز حدود شفتَيها.

ثُمَّ فقَدَت عقْلَها.

كانت تتغوَّطُ على نفسها، وتجذِب شعرَها، وتَجرَح نفسها بالسكين. اتهمَتْني بالتخطيط لقتلِها. أشعلَتِ النيران في شُقَقِ الجيران ولفَّتْ نفسها في أغطيةٍ بلاستيكية وضاجَعَت الأثاث.

جُنَّتْ. وكانت تُمارِس جُنونها بشكلٍ صريح وعلى نِطاق واسع، بالرسم على جُدران غُرفة نومنا بدَمِها، والترنُّح والثرثرة بكلماتٍ غير مفهومة طوال الليل في وَصَلاتٍ من الهَذَيان المُتكرِّر. كنتُ أبتسِم وأومئ وأواجه الأمر لأطولِ فترةٍ مُمكنة، ثم أجذِبُها وأسحَبُها وهي تركُل كالبَغْل إلى عيادة الطبيب بالدَّور الثاني. لقد عاشتْ على سطح الكوكب عامًا كاملًا وفقَدَتْ عقلَها لمُدَّة شهر، ولكن الأمر استغرَقَ مِنِّي كلَّ هذه المُدَّة لتَقبُّله.

شخَّص الطبيب حالتها بأنها خَلَل غير كيميائي، وهو ما يَعني أن عقلها — وليس دِماغها — هو الذي أصابه الخَلَل. بعبارة أخرى، لقد قُدْتُها إلى الجنون.

يُمكنك الحصول على المَشورة في حالة الخَلَل غير الكيميائي، من خلال مُحاولة الحديث عن الأمر بالأساس، وتَعلُّم كيفية الشعور بالرِّضا عن نفسك أكثر، ولكنها لم ترَغب في ذلك.

كانت بائسةً ولدَيْها مُيول انتِحارية وترغَبُ في القتل. وفي لحظات الوَعْي الوَجيزة التي كانت تَمرُّ بها تحت تأثير المُخدِّر، وافقتْ على استِرجاعِها من نُسخةٍ احتياطية صُنِعَتْ قبل قُدومنا إلى تورونتو.

كنتُ إلى جِوارها بالمُستشفى حينما استفاقت. كنت قد جهَّزتُ لها مُلخَّصًا مكتوبًا للأحداث منذ استِرجاعها من آخر نُسخةٍ احتياطية لها وأخذَتْ تقرؤه على مدار اليومين التاليين.

«جوليوس»، هكذا قالت وأنا أصنع الفطور في شقَّتِنا التي تقَع تحت الأرض. كانت نبرةُ صوتِها تبدو جادَّة للغاية وخلَت من أيِّ مرَح، فعلمتُ على الفور أن ما لدَيها من أخبار لن يكون جيدًا.

أجبتُ وأنا أُحَضِّرُ أطباق البَيض واللحم المُقدَّد وأصنع أكوابًا من القهوة الساخنة: «نعم؟»

أجابت: «سأعود إلى الفضاء وسأعود لاستِخدام نُسخةٍ قديمة منِّي.» كانت قد جهَّزَت حقيبة كتِفٍ وارتدَت ملابس السفر.

سحقًا! هكذا قلتُ في قرارة نفسي، ولكنِّي قلتُ بمرَحٍ مُصطَنَع وأنا أقوم في عقلي بعملية جرْدٍ لقائمة مَسئولياتي على الكوكب: «عظيم! أعطِني دقيقةً أو اثنتَين، سأحزُم أمتِعَتي. أنا أيضًا أفتقِد الفضاء.»

هزت رأسها غير مُوافِقة وتطايَرَ شرَرُ الغضب من عينيها البُندقيَّتَين ذات التعبيرات المفهومة تمامًا وقالت: «لا، سأعود إلى ما كنتُ قبل أن ألتقي بك.»

كان الأمر مُؤلمًا بشدَّة. لقد أحببتُ زِد القديمة التي كانت تلعَبُ لعبة كسر الحواجز، أحببتُ مرَحَها وشغَبَها. لقد صارت بعد زواجِنا شخصًا مُرعِبًا ومُروِّعًا، إلَّا أنَّني بقيتُ معها احترامًا لما كانت عليه في الماضي.

وها هي الآن ذاهِبة لاستِرجاع نفسها من نُسخة احتياطية صُنِعَت قبل أن نلتقي. كانت في طريقها لاقتِطاع ثمانية عشر شهرًا من حياتها والبدْء من جديد والعودة إلى نُسخةٍ محفوظة.

مؤلمًا؟ لقد كان الأمر مؤلمًا بلا احتِمال.

عُدتُ إلى المحطة بعد شهر ورأيتُها تعزِف داخل الكرة السماوية مع رجلٍ له ثلاثة أزواج من الأذرع الإضافية مُنبثِقة من فَخذَيه. كان يُحلِّق سريعًا حول الكرة وكانت هي تعزف لحنًا على البيانو، وحينما التقَتْ أعيُنُنا ووقعَتْ عيناها ببريقِهما الفضيِّ عليَّ، لم يبدُ فيهما أيُّ شيءٍ يدلُّ على أنها تَعرِفُني على الإطلاق، وكأنها لم تُقابِلْني من قبلُ قط.

تخلَّصتُ من الأمر بعضَ الشيءِ أيضًا، وأخرجتُ الواقِعةَ من رأسي وارتحلتُ إلى عالَم ديزني حتى أُعيدَ تجديدَ ذاتي باكتِساب أصدقاء جدُدٍ والحصول على مِهنةٍ وحياة جديدَتَين. لم أتحدَّث عن زِد مرَّةً أخرى على الإطلاق، خاصَّةً مع ليل التي لم تكن بحاجةٍ نهائيًّا لأن أُعَكِّر صفوَها بذِكرياتي عن حَبيباتي السابِقات المَجنونات.

إذا كنتُ مجنونًا، فلم يكن جنوني من ذلك النوع الغريب الذي وصلَتْ إليه زِد. كان جنونًا من النَّوع البطيء الهائج والقبيح الذي جعلَنِي أُنفِّر أصدقائي منِّي، وأُدمِّر أعدائي، ودَفَع حبيبتي للارتِماء في أحضان أقرَبِ أصدقائي.

قرَّرتُ أن أذهبَ إلى طبيبٍ بِمُجرَّد انتهائنا من تمرير فكرة التجديد في الاجتماع العام لأعضاء اللجنة. كان لا بُدَّ أن أُحدِّد أولوياتي بوضوح. ارتديتُ ملابس الليلة الماضية ومشيتُ مباشرة إلى محطة القطار الكهربائي المُعلَّق التي تقَع في البهوِ الرئيس. كان رصيف الانتظار يعجُّ بالزوَّار الفرِحِين المُبتهِجين المُتأهِّبين لقضاء يومٍ من المُتعة المُنتظِمة التي يُستخدَم فيها تطبيقات الوسائط المُتعدِّدة الفائقة. حاولتُ أن أجبر نفسي على الاهتمام بهم كأشخاص، ولكن على الرغم من مُحاولاتي الحثيثة، فقد ظلُّوا يتحوَّلون في عقلي إلى مُجرَّد حشود، وكان لا بُدَّ أن أُثبِّتَ قَدميَّ على أرض الرصيف بقوَّةٍ حتى لا أجِدَ نفسي مدفوعًا بهم إلى الحافَة، وكان من الأفضل أن أنتزِع لنفسي مقعدًا.

عُقِد الاجتماع بشُرفة شجرة ضوء الشمس في أرض المُغامرة، على بُعد بضعِ خُطوات من المكان الذي سقطتُ فيه صريعًا وتحوَّلتُ إلى أشلاء على يَدِ القاتل الذي لا يزال مَجهولًا. كان أعضاء اللجنة المسئولون عن أرض المغامرة يُدينون لطاقم عملِ ساحةِ الحرية بمعروف؛ إذ إنَّ عملية اغتيالي قد وقعتْ في منطقتهم، لذا أعطَونا حقَّ استخدام غُرفة اجتماعاتهم الفخمة، حيث تنساب شمس فلوريدا عبر ألواح الستائر المَعدِنية مُلقِيةً أشعَّات من الضوء المُمتزِج بذرَّات التراب عبر الغرفة. سمعت الأصوات الخافِتة لطبول التيكي وثرثرة مُرشدي جولة رحلة الغابة الآتية من خارج الغرفة، كان صوتًا أشبَهَ بِطنينٍ مُنخفِضٍ قادِمًا من لُعبَتَين من أقدَم ألعاب المُتنزَّه.

كان هناك ما يَقرُب من مائة عضوٍ من أعضاء طاقم عمل اللجنة المسئولة عن ساحة الحرية، مُعظمُهم تقريبًا من الجيل الثاني من أعضاء طاقم العمل، ارتسَمَت على وُجوههم ابتسامةٌ عريضة وَدُودة. ملئوا الغُرفة عن آخِرها، وكان هناك الكثير من المُعانَقة والمُصافَحة

قبل بدء انعقاد الاجتماع. كنتُ مُمتنًّا أن الغرفة أصغر من أن تَسع دائرة المقاعد البروتوكولية للأعضاء، وهو ما مكَّن ليل من اعتِلاء إحدى المنصَّات ومُطالَبة الحضور بالهدوء احترامًا للاجتماع.

قالت بمرَح: «مرحبًا!» كانت المنطقة التي حول عيَنَيْها لا تزال مُنتفِخة من البكاء، وهو ما كان واضحًا إذا عرفتَ كيف تدقِّقُ النظر، ولكنها كانت بارِعةً في التَّظاهُر بالشجاعة مهما كان حَجم الألَم الذي تَشعُر به.

ردَّ الأعضاء التحيَّة في صَوتٍ واحدٍ هادِر: «مرحبًا يا ليل!» وضَحِكوا على تقاليدهم السخيفة. لقد كانوا بالطبع حُفنةً من الشخصيات المَرِحة في المملكة السحرية.

قالت ليل بابتسامة متواضعة للغاية: «الكل يعلم لماذا نحن هنا. أليس كذلك؟» لقد كانت تحشدُ بقوَّةٍ على مدار أسابيع على أيِّ حال. «هل لدى أيٍّ منكم أسئلة بشأن الخطط؟ نوَدُّ البدْء في التنفيذ على الفور.»

رفع رجل ذو ملامح صِبيانية مُصطنَعة بالكامل ذِراعه في الهواء، فأشارت إليه بالحديث بإيماءة فقال: «حينما تقولين «على الفور.» هل تقصدين ...»

تَولَّيتُ مُقاطعته قائلًا: «الليلة، بعد هذا الاجتماع. لدَينا جدول إنتاج مدَّته ثمانية أسابيع، وكلَّما عجَّلْنا بالبدء انتهينا سريعًا.»

غمغَمَ الحشدُ مُضطربًا، ورمَقَتْني ليل بنظرةِ احتِقار، فهززتُ كتفيَّ بلا مُبالاة. لم تكن السياسة لُعبتي.

ردَّتْ ليل: «إننا نُجرِّب شيئًا جديدًا هنا يا دون، عملية تحديث حقيقية. الخبر الجيد هو أن هذه العملية قصيرة؛ ففي غضون شَهرَين سنعلَمُ ما إذا كانت ناجحة أم لا. إذا لم تكن كذلك، حسنًا، يُمكننا تَغييرها في غضون شَهرين أيضًا. ولهذا لا نَقضي الكثير من الوقت في التخطيط مِثلما نفعل عادة؛ لن يَستغرِق الأمر خمس سنوات لتُثبِتَ الفكرة نَجاحَها، ومن ثَمَّ فإن المَخاطِر أقل.»

قالت عضوة أخرى من أفراد طاقم العمل، وهي سيدة تبدو في الأربعين ذات هيئة مُستديرة وسلوك رقيقٍ حانٍ: «أنا أؤيد التحرُّك سريعًا بشدَّة، يعلَمُ الله، لم يكن إيقاعُنا في العمل بهذه الحماسة أبدًا. لكنَّني قَلِقَة بشأن كل هؤلاء الأشخاص الجُدُد الذين تقترَحِين توظيفهم، ألن يُبطِّئنا وجود عدد أكبر من الناس فيما يتعلَّق باتِّخاذ قرارات جديدة؟»

لا — فكَّرت بِحدَّة — لأن الأشخاص الذين آتي بِهم لا يُدمِنون الاجتماعات.

أومأت ليل قائلة: «هذه نُقطة جيدة يا ليزا، العرض الذي نُقدِّمه للاعبي الحضور المرئي عن بعد يُعتبَر فترة اختبار، ولن يُسمَح لهم بالتصويت إلَّا بعد أن نتَّفِق نحن على نجاح عملية التجديد.»

وقفَ عضو آخَر من أفراد طاقم العمل. تعرَّفتُ عليه: إنه «ديف»، شخص أحمق مغرور ممتلئ الجسم يُحِبُّ العمل عند البوابة الأمامية على الرغم من أنه كان يُفسِد كلامه أغلب الوقت تقريبًا. قال وهو يبتَسِم لها بِحزن: «ليليان، أعتقِد أنكِ تَرتكِبين خطأً كبيرًا هنا. نحن نُحِبُّ القصر، جميعنا، وكذا الزوَّار. إنه قِطعة تاريخية، ونحن حُرَّاسه ولسنا مُلَّاكَهُ، وتغييره بهذا الشكل، حسنًا ...» وهزَّ رأسه ثم أكمل قائلًا: «هذه ليست إدارة جيدة، إذا كان الزوَّار يرغبون في التجوُّل عبر بيتٍ للرُّعب يقفِز فيه رجال من الظِّلال فجأة ويصرخون بالزوَّار ليُفزِعوهم، فليذهبوا إلى أحد منازل الهالوين الموجودة في مساقط رأسهم. القصر أفضل من ذلك، لا يُمكنني أن أصير جُزءًا من هذه الخطة.»

رغبتُ لو مَحوتُ ابتسامة الزهوِ التي ارتسمتْ على وجهه. لقد شننتُ هذا الهجوم العنيف نفسه آلاف المرات — فيما يتعلَّق بأعمال دِبرا — ولكن سَماعه من هذا الأحمق فيما يتعلق بعملي جعَلَني أستشيط غضبًا بداخلي.

تحدثتُ قائلًا: «اسمع، إذا لم نفعل هذا، إذا لم نُغيِّر الأمور بأنفسنا، فسيُغَيِّرها آخرون بدلًا منَّا. السؤال يا ديف هو: هل يَسمح الحارس بأن يُنتزَع منه ما هو مُوكَّل إليه حراسَتُه، أم يفعل كلَّ ما في وُسعِه للتأكُّد من استمرار وجوده ليضمَن أنَّ ما عُهِدَ إليه يَحظى بالرعاية على النحوِ الصحيح؟ إن دفْن رءوسنا في الرمال ليس من الوصاية الجيدة في شيء.»

أستطيع القول إنني لم أبلِ بلاءً جيدًا؛ فقد كان مِزاج الحشد يزداد كآبةً ووجوههم تزداد تَجهُّمًا، فقررتُ ألَّا أتحدَّث مرةً أخرى حتى انتهاء الاجتماع مهما كانت الاستفزازات.

قدَّمَت ليل ملاحظاتي بشكلٍ أكثر سلاسة، وتعامَلَت مع العشرات من المُلاحظات الأخرى، وبدا أن الاعتراضات ستستمرُّ طوال فترة ما بعد الظهيرة والليل وحتى اليوم التالي، وكنتُ مُجهدًا وذِهني مُشوشًا وبائسًا في الوقت نفسه، أُحدِّق إلى «ليل» وابتِسامتها المُتوتِّرة وكيف تُسوِّي شعرَها خلف أُذُنِها بِعصبِيَّة.

أخيرًا، طلبتُ أخذَ الأصوات. وفقًا للتقاليد، تُجَمَّع الأصوات سرًّا وتُعرَض في جدولٍ على الملأ على قنوات البيانات. تَشتَّتَتْ عيون المجموعة وهم يَستدعون شاشاتهم الذهنية ويشاهدون المجاميع الكلية وهي تتوالى ظهورًا. كنتُ غير مُتصلٍ وغير قادِرٍ على التصويت أو المشاهدة.

وأخيرًا تنفَّسَتْ ليل الصُّعَداء وابتسمت واضِعةً يدَيْها خلْفَ ظهْرِها.

قالت بصوت تجاوَزَ طنين الحشد: «حسنًا إذن، لنَذْهبْ إلى العمل.»

وقفتُ ورأيتُ دان وليل يُحدِّقان أحدُهما إلى عَيني الآخر بنظرةٍ ذاتِ مَغزًى بين حَبيبَين جديدين وتملَّكَني غَضَبٌ شديد جعَل لَوني يَستحيل إلى الأحمر حرفيًّا. تَشوَّش بَصَري وتخضَّب باللون الوردي، وخفَق وهَجٌ وَامِضٌ على أطراف بَصَري بقوة. مَشيتُ خُطوتَين مُتثاقِلَتَين إلى الأمام نَحوَهما وفتحتُ فمي لأقول شيئًا بَشِعًا، ولكن لم يخرُج منه إلا صَيحة تأوُّه. لقد تخدَّر نصفي الأيمن وانزلَقَتْ ساقي من تحتي وارتطمت بالأرض.

بينما كنتُ أحاوِل جاهدًا رفع ذِراعي اليُسرى شقَّت أشعَّة الضوء القادمة من بين ألواح الستائر المعدنية طريقها إلى صدري، ثم استحال كلُّ شيءٍ إلى الأسْوَد.

لم أكن مجنونًا على أيِّ حال.

كانت عيادة الطبيب في المشفى الواقِع بالشارع الرئيس نظيفةً بيضاء ومُزيَّنة بمُلصقات لجيمني كريكت يرتدي ملابس الأطباء البيضاء وسماعة طبيب ضخمة. جئتُ على نقَّالة صُلبة وُضِعَت لتستقرَّ أسفلَ لافتةٍ ذكَّرتْني بأن أُجري فحوصات طبية مَرَّتَين في السنة، كم هذا رائع! وحاولتُ أن أرفع يديَّ إلى أعلى لأحجُب عن عَينيَّ الضوء المُبهِر واللافتات المُبهِجة واكتشفتُ أنَّني لا أقوى على تَحريك ذِراعي. ولكن بعد مزيدٍ من التحقُّق اكتشفتُ أن هذا كان يُعزى إلى أنَّني كنتُ مُقيَّدًا بالكامل بالأركان الأربعة للنَّقَّالة.

صحتُ مرةً أخرى: «واااه.»

حامَ وجهُ دان القَلِقُ في مجال رؤيتي إلى جانب طبيبٍ ذي ملامحَ وَقُورةٍ يبدو في السَّبعين من عُمره، له وجه كوَجهِ نورمان روكويل امتلأ بتجاعيد حوْلَ العَينَين وتجاعيد الابتِسام.

قال الطبيب بصوتٍ رقيق تناسَبَ مع وَجهِه: «مرحبًا بك مرةً أخرى يا جوليوس، أنا الطبيب بيت.» على الرغم من هُراء أعضاء طاقم العمل الذي أصابَني بِخيبةِ الأمل مُؤخرًا، فقد وجدتُ العَزاء في خُدعَتِه المُسلِّية هذه. استرخَيتُ على النقَّالة مرةً أخرى وأضاء الطبيب الأضواء في عينيَّ وفحَص أجهزة التشخيص المُختلِفة. تحمَّلتُ الأمر بصمتٍ رَزين وأربكتْنِي بِشدَّةٍ أصواتُ التأوُّه البَشِعة التي كنتُ أُطلِقُها في مُحاولةٍ للكلام. سيُخبِرني الطبيب بما يحدُث حينما يكون جاهزًا.

سأله دان: «هل لا يزال بحاجة لأن يظلَّ مُقيَّدًا؟» وهززتُ رأسي رافِضًا بإلحاح؛ فلم يكن التقييد هو فكرتي عن قضاء وقتٍ مُمتِع.

ابتسم الطبيب بحنانٍ وقال: «أعتقِد أن هذا هو الأفضل في الوقت الحالي. لا تقْلَقْ يا جوليوس، سنجعلُك تتعافى وتعود إلى سابق عهدك في القريب العاجِل.»

أبدى دان اعتراضه، ولكنه توقَّف حينما هدَّدَه الطبيب بإخراجه من الغُرفة، فأخَذَ بيدي عِوَضًا عن ذلك.

شعرتُ بحكَّةٍ في أنفي، حاولتُ أن أتجاهَلَها، ولكنها ازدادتْ وظلَّتْ تزداد سوءًا حتى لم أعُد أقوى على التفكير في أيِّ شيءٍ آخر إلَّا تلك الحكَّة التي كانت كنَصْلٍ مُشتعِلٍ يَصعَقُ طرف مِنخاري. جعَّدتُ وجهي بشراسةٍ وأخذت أهزُّ قُيودي. لاحظ الطبيبُ حركاتي العنيفة وهو شارِدُ الذِّهن وحكَّ أنفي برفقٍ بأحد أصابِعِه المُقفَّزة، كان الشعور بالراحة رائعًا. جلُّ ما تمنَّيتُه ألَّا تُصيب الحكَّة خِصيتيَّ في أيِّ وقتٍ قريب.

أخيرًا سحَب الطبيبُ مقعدًا وقام بشيءٍ تَسبَّب في ارتفاع مُقدِّمة السرير، حتى تَمكنتُ من النظر إلى عينَيه مُباشرة.

قال وهو يُداعِب ذَقنَه: «حسنًا، الآن. لديك مُشكلة يا جوليوس، قال لي صديقك إنَّ أنظمتك غير مُتَّصِلة منذ أكثر من شهر؛ كان من الأفضل بالطبع أن تأتي لرؤيتي حينما بدأ ذلك كلُّه، ولكنك لم تفعل وازدادتِ الأمور سوءًا.» وأشار برأسه إلى أعلى نحوَ عِبارة جيمني كريكت: هيا، اذهب لرؤية طبيبك! وأردف قائلًا: «إنها نصيحة جيدة يا بُنَي، ولكن لا فائدة من البُكاء على اللبن المسكوب. لقد استُرجِعتَ من نُسخةٍ احتياطية منذ ثمانية أسابيع مضت، كما أرى. لا يُمكِنُني التأكُّد دون إجراء مَزيدٍ من الاختبارات، ولكن فَرضيَّتي هي أن الواجهة البينية بين الآلة والدماغ التي رَكَّبوها في ذلك الوقت كان بِها خَلَل مادي، وظلَّتْ تتدهوَرُ منذ ذلك الحين وتُخفِق وتُعيد التحميل. إن عمليات إيقاف التشغيل هي آلية وِقائية، الغرَض منها منعُ حدوث هذه النَّوبة التي أصابتْك بعدَ الظهر. حينما تَستشعِر الواجهة أيَّ عُطل، تُغلق نفسها مُباشرة وتُشغِّل وضعَ التشخيص، وتُحاوِل إصلاح نفسها ومُعاوَدَة الاتِّصال بالشبكة.

حسنًا، هذا جيد في حالة المشاكل البسيطة، ولكنها ليستْ مُؤشرًا جيدًا في مثل هذه الحالات، فقد ظلَّت الواجهة تتدهوَرُ بشكلٍ مُنتظم، ويكون الأمر مُجرَّد مسألة وقتٍ قبل أن تتسبَّبَ في أضرارٍ خطيرة.»

سألتُه قائلًا: «واااه؟» كنتُ أقصِد أن أقول حسنًا، ولكن ما الذي أصاب فمي؟

وضع الطبيب إصبَعه على شفَتي قائلًا: «لا تُحاوِل، لقد أغلقتُ الواجِهة وأغلقتُ معها بعض عملياتك العصبية الطَّوعِية. وستُغلَق تمامًا بمرور الوقت على الأرجح، ولكن في الوقت الراهِن لا جدوى من ذلك. ولهذا السبب قَيَّدناك؛ فقد كنتَ تُصارِع بِشدَّةٍ حينما أَتَوا بك، ولم نَشأ أن تُؤذِيَ نفسك.»

ستُغلَقُ تمامًا على الأرجَح؟ يا إلهي! هل يُمكن أن يَنتهي بي الأمر عالِقًا في هذه الحالة للأبد؟ وبدأتُ أرتعِش.

هدَّأ الطبيبُ من رَوعي وربَّتَ على يدي، وفي هذه الأثناء وضع لاصِقةً تحتوي على مُهدِّئ ينتقل عبر الجلد على مِعصَمي، فتراجَع الذُّعر مع تسرُّب المُهدِّئ الذي تحتويه اللاصِقة إلى مَجرى دَمي.

حدَّثني قائلًا: «هوِّن عليك، إنه ليس شيئًا دائمًا، يُمكِننا أن نصنعَ لك مُستنسَخًا جديدًا ونُحدِّثه من نُسختِك الاحتياطية الأخيرة. هذه النُّسخة الاحتياطية للأسف لم تُحدَّث منذ بضعة أشهر. لو قُمنا بذلك في وقتٍ سابق، فربَّما تَمكنَّا من إنقاذ نُسخةٍ احتياطية حديثة، ولكن نظرًا للتدهْوُرِ الذي أبديْتَه حتى الآن ... حسنًا، فلن يكون ثَمَّةَ جدوى من ذلك.»

خفَقَ قلبي بِعنف، سأفقِد شَهرَين من حياتي، سأفقِد كلَّ شيءٍ وكأنَّ شيئًا لم يكن: اغتيالي، قاعة الرؤساء الجديدة ومُحاوَلاتي المُخزية بعد ذلك، مُشاجراتي مع ليل، ليل ودان، الاجتماع، خُطَطي لتجديد القصر! كل شيء، الجيد والسيئ، ستُقتلَع كلُّ لحظة من جُذورها وكأنها لم تكن.

لا أستطيع القيام بذلك. كان لديَّ عملية تجديد عليَّ أن أُنجِزها وكنتُ الوحيد الذي يعرِف كيف يَجِب أن تُنفَّذ. وبدون تحفيزي المستمرِّ سيلجأ أعضاء اللجنة إلى طريقتهم القديمة وأساليبهم الآمِنة بلا شك، بل قد يتركون الأمر برمَّته في مُنتصف الطريق ويؤجِّلون العملية لإجراء مُراجعة مُطوَّلة لا تنتهي، فنَصير هدفًا يَسهُل تدميره لدِبرا.

لن أسترجِع نفسي من نُسخة احتياطية.

أُصِبتُ بنَوبتَين أُخرَيَين قبل أن تُغلِق الواجهة نفسها أخيرًا بشكلٍ كامل. أتذكَّر النوبة الأولى: تشوُّشٌ في الرؤية، وَمَضاتٌ خاطِفة تمنع الرؤية وتشنُّجات لا إرادية ومَذاق نُحاسي، أما النوبة الثانية فقد حدَثَتْ دون أن تُوقِظني من غَيبوبتي العميقة.

كان دان لا يزال موجودًا حينما عدتُ إلى الوعي مرةً أخرى في المشفى. كانت لِحيته خفيفة للغاية وارتسمت خطوط قلقٍ جديدة حول أركان عَينَيه التي جُدِّدَت مؤخرًا. دخل الطبيب وهو يهزُّ رأسه.

«حسنًا، الآن، يَبدو أنَّ الأسوأ قد انتهى. لقد أعددتُ نماذج المُوافَقة لإجراء عملية التحديث وسيكون المُستنسَخ الجديد جاهزًا في خلال ساعة أو اثنَتَين. في هذه الأثناء أعتقِد أن التخدير الكامل سيكون مطلوبًا. وبِمجرَّد الانتهاء من عملية الاسترجاع، سنُنَحِّي هذا الجسد نيابة عنك وبذلك نكون قد انتهَينا.»

نُنَحِّي هذا الجسد؟ سيَقتُلُني، هذا ما يعنيه الأمر.

قلت: «لا.» شعرتُ بالحماس على الرغم من القيود: لقد استعدتُ السيطرة على صوتي!

تخلَّى الطبيب عن أسلوبه المُراعي وأطلَقَ العِنان لسُخطه وقال: «مهلًا! لا يُوجَد حلٌّ آخر. لو كنتَ أتيتَ لزيارتي حينما بدأ الأمر كله، فربما كان لدَيْنا خيارات أخرى؛ لا تَلومَنَّ إلَّا نفسك.»

كرَّرتُ رفضي قائلًا: «لا، ليس الآن. لن أوقِّع.»

وضع دان يدَه على يدي، حاولتُ أن أسحب يدي من تحت يده، إلَّا أن القيود وقبضته لم تُمكِّنني من ذلك. قال: «لا بدَّ أن تفعل هذا يا جوليوس. إنه الخيار الأفضل.»

قلتُ مُطبِقًا على أسناني: «لن أدعَك تَقتُلَني.» كانت أطراف أصابِعه خَشِنةً وصُلبة؛ إذ كان يعمل بجهد يفوق ما هو مطلوب.

قال الطبيب: «لن يَقتُلَك أحدٌ يا بُنَي.» بُنَي، بُنَي، بُنَي. من يَعلَمُ كم كان عمره؟! يُمكِن أن يكون في الثامنة عشرة من عمره على حدِّ عِلمي. «على العكس من ذلك: إننا نُنقِذُك. إذا استمررتَ على هذا الوضع فستزداد الأمور سوءًا. نوبات انهيارٍ عَصبي، وفي النهاية سينهار عقلك تمامًا، وأنت لا ترغَب في حدوث ذلك.»

فكرتُ في التحوُّل المُثير الذي مرَّتْ به زِدْ حتى فقَدَتْ عقلها تمامًا. لا، بالطبع لا أرغب في هذا. «لا تَهمُّني الواجهة، تخلَّص منها. لا أستطيع القيام بذلك الآن.» وابتلعْتُ ريقي وأردفت: «لاحقًا، بعد عملية التجديد، بعد ثمانية أسابيع أخرى.»

يا لسخرية الأقدار! بمجرَّد أن عِلمَ الطبيب أنَّني جادٌّ فيما أقول، أرسل دان خارِج الغُرفة وأدار عينَه لأعلى وهو يَهمُّ بإجراء مُكالمةٍ هاتفية. رأيتُ حلقَه يتحرَّك وهو يتحدَّث لا صوتيًّا. تركني مُقيدًا بالطاولة أنتظِر.

لم يكن بالمشفى أيُّ ساعات، ولا ساعة داخلية، وربما كان قد مرَّ من الوقت عشر دقائق أو خمس ساعات. كنتُ مُتَّصِلًا بقَسطَرة، ولكن لم أكتشِف ذلك إلا حينما اقتضتِ الضرورة القصوى.

حينما عاد الطبيب كان مُمسِكًا بأداةٍ صغيرة تعرفتُ عليها على الفور: المُسدَّس الذي يُطلِقُ تردُّداتٍ لاسلكيةً عالية الطاقة.

أوه، ولكنه لم يكن النموذج نفسه الذي استخدمتُه في قاعة الرؤساء. كان أصغر حجمًا، ومصنوعًا بشكلٍ أفضل، ومُصمَّمًا بدقَّة الأدوات الجراحية. رفع الطبيب حاجِبَيه وحدَّثَني بشكلٍ قاطِع قائلًا: «أنت تعلَمُ ما هذا.» غمغَمَ جُزءٌ مُعتِم في عقلي: إنَّهُ يعرِف، إنَّهُ يعرِف، قاعة الرؤساء. ولكنه لم يكن يعرِف الأمر؛ فقد كانت هذه الواقِعة مُوصَدَةً في ذهني، غير قابلة للنَّسخ الاحتياطي.

قلت: «أعرِف.»

«هذه الأداة شديدة القوَّة إلى أقصى الحدود، ستخترِق الغِطاء الذي يحمي الواجهة وتَصهَرُه. لن تتسبَّب لك في غَيبوبةٍ على الأرجَح. هذا أفضل ما يُمكِنني فِعله. إذا فَشِل ذلك، فسنَسترجِعُك من آخِر نُسَخِك الاحتياطية. لا بُدَّ أن تُوقِّع بالمُوافَقة قبل أن أستَخدِمَها.» تخلَّى عن النَّبرة الحَنونة المُصطَنَعة التي كان يتحدَّث بها، غيرَ عابِئٍ بإخفاء اشمِئزازه. شرَدَ ذِهني لتَأمُّل مُعجِزة مجتمع الروعة، المجتمع الذي كان لدَيه كلُّ شيءٍ إلَّا مِهنة الطبِّ التي عَفى عليها الزمن: لماذا تُزعِج نفسك بالخضوع لجراحةٍ في حين يُمكِنك صُنعُ مُستنسَخٍ وأخْذ نُسخةٍ احتياطية ثم إعادة تحديث الجسد الجديد؟ كان بعض الناس يُبدِّلون أجسادهم فقط ليتخلَّصوا من نزلَةِ بردٍ أصابتْهم.

وقَّعت. دفع الطبيب بسريري النقَّال عبر ضجيج وهمْهَمَة أنفاق المرافق، ثم وَضَعه على قطار نَقْل انطلقَ مُسرعًا إلى مَجمَع المُبتكِرين ومن ثَمَّ إلى قفصٍ فاراداي ثقيل ومكشوف. كان من شأن استِخدام المُسدَّس ذي التردُّدات اللاسلكية عالية الطاقة قتلُ أيِّ إلكترونيَّاتٍ مُجاورة بالطبع؛ لذا كانوا لا بدَّ أن يَعزِلوني قبل الضغط على الزناد.

وَضَع الطبيب المُسدَّس على صدري وفك قيودي، ثم أقفلَ القفص بإحكامٍ وتراجَع نحو باب المعمل. سحب مِئزرًا ثقيلًا وخوذة بها واقٍ للوَجْه من على أحد العَلَّاقات الموجودة بجوار الباب.

«بمُجرَّد خروجي من الباب وَجِّه المُسدَّس إلى رأسك واسحَبِ الزناد. سأعود في غضون خمس دقائق. وبمُجرَّد دخولي الغُرفة، ضعِ المُسدَّس على الأرض ولا تَلمِسه. إنه يَصلُح للاستِخدام لمرَّةٍ واحدة، إلَّا أنني لا أرغبُ في اكتِشاف أنَّني مُخطئ.»

أغلق الباب. أخذتُ المسدَّس في يدي. كان ثقيلًا، مُحتشِدًا بطاقةٍ كثيفة مُختزَنة بداخله، وكان طرفه بيضاويًّا مُجوَّفًا بغرَض تركيز هيكله المخروطي بشكل أفضل.

رفعتُ المُسدَّس وصوَّبته تِجاه صدْغي وثَبَّتُّه، ووَجَدَ إبهامي طريقَه إلى مِسمار الزناد.

توقفتُ قليلًا. هذا لن يَقتُلني، ولكنه قد يُغلِق الواجهة إلى الأبد ويُصيبُني بالشَّلَل ويُحوِّلُني إلى مجنونٍ مُهتاج. علمتُ أنَّني لن أتمكَّن أبدًا من الضغط على الزناد، ولا بُدَّ أن الطبيب كان يَعلَم ذلك أيضًا؛ كانت هذه هي طريقته لإقناعي بأن أدَعَه يقوم بعملية الاسترجاع.

فتحتُ فمي لأستدعي الطبيب ولم يَخرج منه إلَّا صوتُ التأوُّه.

لقد بدأتِ النوبة. تَشنَّج ذِراعي وضغَط إبهامي على مِسمار الزناد وكان هناك نَكهة أوزون قوية. ثم توقَّفَتِ النوبة.

لم يعُد لي واجهة بعدَ الآن.

بدا الطبيب نَكِدَ المِزاج ومُتوتِّرًا بِشحوبٍ حينما رآني جالسًا على النقَّالة وأفرُك عضلاتِ ذراعي، فأخرَج أداةَ تشخيصية يَدويَّة ووجَّهها نحوَ رأسي، ثم أعلَنَ أنَّ كلَّ جزءٍ صغير من الدوائر الرقمية الدقيقة فيه قد ماتت. وهكذا ولأول مرة منذُ كنتُ في العشرين من عمري لم أعُد أكثرَ تَطوُّرًا مما خُلِقتُ عليه.

تركَتِ القيود كدَمَاتٍ أرجوانية على مِعصميَّ وكاحِلَيَّ حيث كنتُ أناضِل لأتحرَّر منها. خرجتُ من قفص فاراداي وأنا أعرُج وَصار المَعملُ تحت سُلطتي، ولكن فقط بالكاد؛ إذ كانت عضلاتي تَئِنُّ من الحركات العنيفة المُقاوِمة التي كنتُ أقوم بها لا إراديًّا أثناء النوبة.

كان دان يَنتظِر في نفقِ الخدمات جاثمًا قُبالة الحائط وقد غلَبَه النُّعاس. هزَّه الطبيب مُوقِظًا إيَّاه وطقطق رأسَه وأمسكَتْ يدُه بِذراع الطبيب لا إراديًّا بِسرعة البرْق. كان من السهل نِسيان العمل الذي كان يُمارِسه دان سابقًا هنا في المملكة السحرية، ولكنني تذكرتُ حينما قَبضَ على ذراع الطبيب بسلاسةٍ وانتفض واقفًا بِعَينَين مُنتبِهَتَين حادَّتَين. إنه صديقي القديم الذي كان كأبطال أفلام الحركة والإثارة.

ترَك دان الطبيب بسرعة واعتذَرَ منه. قيَّمَ حالتي الجسدية وثبَّتَ كتِفَه أسفل إبطي دُون أن ينبِس ببِنت شَفَة ليَسنُدَني. لم تكن لديَّ القوة لَمنْعِه؛ فقد كنتُ أحتاج إلى النَّوم.

قال: «سأصطحِبُك إلى المنزل، سنُحارِب دِبرا غدًا.»

أجبتُ قائلًا: «بالتأكيد.» ثم ركبتُ القطار الذي كان يقِف مُنتظِرًا.

ولكنَّنا لم نذهَب إلى المنزل. فقد اصطحبَني دان إلى الفندق الذي كنتُ أُقيم به مرَّة أخرى، فندق كونتمبراري، وأوصلَني إلى باب غُرفَتي. فتح قُفل الباب عبر بطاقة الدُّخول الإلكترونية ووقفَ مُرتبكًا وأنا أعرُج إلى داخل الغُرفة الخاوية التي صارت منزلي الجديد، ثم أسقُطُ راقدًا على السرير الذي أصبَحَ ملكي الآن.

انسلَّ خِلسةً وفي عينَيه نظرةُ اعتِذار، ليَعود إلى ليل وإلى المنزل الذي كُنَّا نَتَشارك فيه.

ضغطتُ على لاصِقةٍ تحتوي على مُهدِّئٍ ينتقِل عبر الجِلد أعطاني إيَّاها الطبيب، وأضفتُ مُنظِّمًا للمِزاج كان قد أوصى باستِخدامه ليُساعِدَني على السيطرة على «تقلُّبات الشخصية»، وفي ثوانٍ خلدْتُ إلى النوم.

الفصل السابع

ساعَدتْني الأدوية على تجاوُز الأيام القليلة التالية، وبدأتْ عملية تجديد القصر. عمِلْنا طوال الليل على نَصبِ سقَّالات حَول واجهةِ المبنى، على الرغم من أنها لن تُستخدَم للقيام بأيِّ عمل حقيقي، أردْنا فقط أن نُضفي مَظهرًا يُوحي بالتقدُّم السريع، كما أنَّني كانت لديَّ فكرة.

عملتُ مع دان جنبًا إلى جنب، مُستعينًا به كمساعدٍ شخصي لي؛ فكان يردُّ على مُكالماتي ويبحث الخُطط ويرصُد أوائل ردود الفعل المُتذمِّرة على شبكة الإنترنت بعدما بدأ مُرتادو عالم ديزني يعرِفون أن القصر يُفَكَّك لإجراء عملية تجديد كاملة. لم نكن نتبادَل الحديث إلَّا إذا اقتضت الضرورة وكنَّا نقِف كتفًا إلى كتِفٍ دون أن ينظُرَ أيٌّ مِنَّا في عَين الآخر. لم أكن أشعُر بالإحراج وأنا مع دان على أية حال، ولم يدَعْ ذلك يحدُث، وعلاوةً على ذلك فقد كُنَّا مُنشغِلين بصرف الزُّوَّار المُحبِطين بعيدًا عن القصر. وكان عددٌ كبير منهم يتوجَّه إلى قاعة الرؤساء مُباشرة، وهو ما كان مُحبِطًا.

لم نُضطرَّ للانتِظار طويلًا حتى وَصلَنَا أولُ ردِّ فعلٍ مُطوَّلٍ ومذعور حول القصر في ثوبه الجديد، وقد قرأه دان بصوتٍ عالٍ عبر شاشته الذهنية: «مرحبًا! هل سمِع أيٌّ منكم أيَّ شيءٍ عن أعمال الصيانة التي تَقرَّر إجراؤها في القصر المسكون؟ لقد مررتُ به منذُ قليلٍ في طريقي إلى قاعة الرؤساء الجديدة ويبدو أن عملًا ضخمًا يَجري مَجراه؛ سقَّالات وحشود من أعضاء طاقم العمل يدخلون ويخرجون، ألقوا نظرة على الصور. أتمنَّى ألَّا يكون فيما يفعلونه إفساد لشيءٍ جميل. بالمناسبة، لا تُفوِّتوا زيارة قاعة الرؤساء الجديدة، إنها تجسيد حقيقي لمجتمع الروعة.»

قلت: «حسنًا، مَن صاحِب هذا التعليق؟ وهل هو لدَينا على القائمة؟»

تأمَّلَ دان للحظةٍ ثم قال: «إنها كيم رايت، وهي على قائمتنا. لدَيها رصيد جيِّد من الووفي، وتقوم بالكثير من أنشطة المُعجَبين، كما أنها من القُرَّاء النَّهِمين.»

قلت: «اتَّصِل بها.»

كانت هذه هي الخطة: نُعيِّن المهووسين من المُعجَبين على الفور ونُسلِّمهم زِيًّا يَرتدونه ثم نَضعُهم على السَّقَّالات، ونُعطيهم مُعدَّاتٍ ضخمة مُزيَّنة بالوطاويط ونجعَلهم يقومون بأداءٍ تمثيليٍّ صامِتٍ وهم يتحرَّكون بصخَبٍ في أعمال البناء. وفي الوقت المُناسِب، سيتفاجأ سانيب وعصابته بدفْعةٍ من روبوتات الحضور المرئي عن بُعدٍ تعمل وتتحرَّك بالفعل، وسنتوَجَّه إليها، ونجعلها تتجوَّل في منطقة طوابير الانتِظار وتتفاعل مع الزوَّار الفُضوليِّين. سيفتح القصر الجديد للعمل في خلال ٤٨ ساعة، ولكن بشكل محدود. كان استِخدام السَّقَّالات استراتيجية جيدة؛ إذ كانت عامِلَ جذبٍ بَصريًّا للحشود المُتدفِّقة إلى قاعة الرؤساء الخاصَّة بدِبرا، إذ كانت تقِفُ كي تُلقي نظراتٍ فضوليةً سريعة.

أنا رجل في غاية الذكاء.

اتَّصَل دان بالمَدعُوَّة كيم وتحدَّث معها وهي تُغادِر لُعبة قراصنة الكاريبي. تساءلتُ ما إذا كانت الشخص المُناسِبَ لهذا العمل؛ فقد كانتْ مفتونةً بِشدَّةٍ بعمليات التجديد التي قامت بها دِبرا وطاقمها. لو كان لديَّ مُتَّسَعٌ من الوقت، لتحقَّقتُ بإمعانٍ من هوية وماضي كلِّ شخصٍ لدَيْنا على قائمة الأسماء، ولكن هذا الأمر كان سيَستغرِق شهورًا.

فتَحَ دان حديثًا جانِبِيًّا مع كيم وتحدَّث بصوتٍ عالٍ، مُراعاة لإعاقتي، قبل أن يدخل في صُلب الموضوع قائلًا: «لقد قرأنا مَنشورَكِ عن تجديد القصر. أنتِ أول من لاحَظَه وكُنَّا نتساءل إن كنتِ مُهتمَّة بزيارتنا للتعرُّف أكثر على خُطَطِنا.»

جفَل دان وقال لي هامسًا: «صوتُها مُرتفِع للغاية.»

حاولتُ بشكلٍ لا إرادي سحْبَ شاشةٍ ذِهنية لأستعرِضَ مَلفَّاتي المُخصَّصة للمُعجَبين بالقصر الذين كنَّا نأمُل في تَوظيفهم، ولم يحدُث أيُّ شيءٍ بالطبع. فعلتُ ذلك عشرات المرات هذا الصباح دون جدوى. وعلى الرغم من ذلك لم يَسعْني أن أُبدي أيَّ غضبٍ إزاء ذلك، ولا إزاء أيِّ شيءٍ آخَرَ في الواقع، ولا حتى أثر القُبلة الواضِح على رَقَبة دان أسفل الياقَةِ مُباشرة. كانت لاصِقَةُ مُنظِّم المِزاج، الموضوعة على عضلَةِ ذِراعي بأوامر الطبيب، هي السَّبَبُ في هذا الهُدوء.

«حسنًا، حسنًا. نحن نقِفُ بجوار مَقبرة الحيوانات الأليفة، عُضوان من أفراد طاقم العمل، رَجُلان يَرتدِيان ملابس القصر وطولُنا حوالي خمس أقدام وعشر بُوصات ونبدو في الثلاثين من عُمُرنا، لا يُمكِنُك أن تُخطئينا.»

لم تُخطِئنا. وصلَتْ مَقطوعةَ الأنفاس ومُتحمِّسةً وهي تركُض. كانت تبدو في العِشرين وكانت تَرتدي ما يُميِّز هذه الشريحة العمرية: عباءة تَحكُّمٍ بالجَوِّ شبابية عصرية مُزوَّدة بغِطاءٍ للرأس مُلتصِقة بأطرافها وتكشِف ساقَيها الطويلَتَين ذَواتي الرُّكبَتَين المُزدَوَجَتين. كانت مُفعَمَةً بالحماس الذي يُميِّز هؤلاء الشباب، بمن فيهم الفتاة التي قتَلَتْني.

ولكنَّ التَّشابُهَ بينها وبين قاتِلَتي لم يتجاوَز ملابِسَها وشكل جسدها. فلم تكن ترتدي قِناعًا مُصمَّمًا، بل كان وَجهًا به من العيوب ما يكفي للقول إنه الوجه الذي وُلِدَت به؛ إذ كانت عيناها قَريبَتَين إحداهما من الأخرى وأنفُها عريضًا وأفطَس قليلًا.

أعجبتْني طريقتها في التنقُّل عبر الحشود: سريعة ومُنخفِضة ولكن دون تدافُع. نادَيتُ وهي تقترِب قائلًا: «كيم، ها هنا.»

أطلقَتْ صيحةَ سعادةٍ وتوَجَّهَت نحوَنا مُباشرة. على الرغم من أنها كانت تتحرَّك بأقصى طاقتها، فقد كانت ماهِرة في اجتِياز الحشود دون مُلامَسةِ ولو شخص واحد. عندما وَصَلَتْ إلينا وجدتُها قصيرة وكانت تَثِبُ قليلًا. «مرحبًا، أنا كيم!» هكذا قالت وهي تهُزُّ ذِراعيَّ لأعلى وأسفل بالعُنف المُمَيِّز لذوي المفاصِل الإضافية. أجبت: «جوليوس.» وانتظرتُ وهي تُعيد الكَرَّة مع دان.

قالت: «إذن، ما العَرْض؟»

أخذتُ يدَها قائلًا: «لدَيْنا فُرصة عمَلٍ لكِ يا كيم، إذا كُنتِ مُهتمَّة.»

اعتصرَتْ يَدي بقوَّةٍ ولمَعَتْ عَيناها وقالت: «سوف أقبَلُها!»

ضَحِكتُ وضحِكَ دان أيضًا. كانت ضحكة مُهذَّبة تُميِّز أفراد طاقم العمل، ولكن كان وراءها شعور بالارتِياح. أردفتُ قائلًا: «أعتقِد أنَّ من الأفضل أن أشرح لك الأمر أولًا.»

أجابت وهي تعتَصِر يدي مرة أخرى: «تفضل!»

سحبتُ يدي من يدِها واستعرضتُ سريعًا نُسخةً مُختصرة من خطط التجديد دون التطرُّق إلى أيِّ شيء يخصُّ دِبرا وأتباعها. أنصَتَتْ كيم بتعطُّشٍ جَمٍّ وكانت تُومئ برأسها نَحوي في انبِهار وهي تَستعرِض الخطط. كان الأمر مُقلِقًا، وأخيرًا سألتُها: «هل تُسجِّلين ما أقوله؟»

تورَّد وَجهُها خَجلًا وقالت: «أرجو أن يكون ذلك مَقبولًا! لقد بدأتُ في إعداد دفتر قُصاصات جديد عن القصر. لديَّ دفترٌ مُخصَّص لكل لُعبةٍ بالمُتنزَّه على حِدة، ولكن هذا الدفتر بالذات لن يكون له مثيل!»

لم أفكر في هذا الأمر. لقد كان نَشرُ ما يقوم به أفراد طاقم العمل داخل المُتنزَّه محظورًا، حتى إنَّني لم يخطُر ببالي أن أفراد طاقم العمل المُستجدَّين الذين أتَيْنا بهم سيَرغبون في تسجيل كلِّ تفصيلةٍ صغيرة ونَشْرها على الإنترنت، وهي وسيلة قديمة لجمع الكثير من نقاط الووفي.

قالت كيم: «يمكنني إيقاف تشغيله.» كانت تبدو قلقة، وبدأتُ أستوعبُ كم كان القصر مُهمًّا للأشخاص الذين نُوظفُهم، وكم كان ما نُقدِّمه لهم شرفًا كبيرًا.

أجبتُ قائلًا: «اتركيه يعمَل. دَعينا نُرِ العالَم كيف يَجري الأمر.»

قُدْنا كيم إلى أحدِ أنفاق المَرافق نزولًا إلى قِسم الملابس. كانت شِبْهَ عارية حينما وَصلْنا إلى هناك، وكانت تمزِّق ملابسها، حرفيًّا، استعدادًا لتقمُّص الشخصية الجديدة. وكانت سونيا، وهي أحد أفراد لجنة ساحة الحرية كنَّا قد أخفَيْناها عن الأعيُن في قِسم الملابس، قد جهَّزَت لها بالفعل زيَّ خادِمةٍ رثًّا وحِزام أدوات ضخمًا.

تركنا كيم على السَّقَّالة وهي تَضعُ على الحائط بديلًا للأسمنت ذا قاعدة مائية وتُسَوِّيه بنشاطٍ ثُمَّ تكشُطه وتنتقِل إلى بُقعةٍ جديدة. بدا لي الأمر مُملًّا، ولكن كان بإمكاني تصديق أنه حينما يَحين الوقت، سيكون علينا أن نُجبِرَها على المُغادَرة.

عُدْنا إلى البحث على الإنترنت عن المُرشَّح التالي.

بِحُلول وقت الغَداء، كان هناك عشرة أفراد طاقم عمل مُستجدِّين فوق السقَّالات هنا وهناك، يقومون بالحفر والدقِّ وتَسويَةِ بديل الأسمنت ويدفعون عَرَبات النقل اليدوي السوداء، وهم يُغنُّون أغنية «الأشباح المُبتَسِمة المُروِّعة» ويَقضُون وقتًا مُمتِعًا بشكلٍ عام.

قلتُ لدان: «هذا يكفي.» كنتُ مُنهكًا وأتصبَّب عرَقًا، وكانت اللاصِقة أسفلَ الزِّيِّ الذي أرتدِيه تُسبِّب لي الحكَّة. على الرغم من السعادة الغامِرة التي كنتُ أشعُر بها بداخلي، إلَّا أن دفقة من النَّزَق غير المعهود في طباع أفراد طاقم العمل تسلَّلَت إلى مِزاجي. كنتُ بحاجةٍ إلى الخروج من المسرح.

ساعَدَني دان على الخروج وأنا أعرُج، وبِمُجرَّد خروجنا إلى نَفَق المرافق همَس في أذُني قائلًا: «كانت فكرة عظيمة حقًّا يا جوليوس.»

قفَزْنا بأحد القِطارات المُتجِّهة إلى مَجمَع المُبتكِرين وأنا أشعر بالفخر الشديد. كان لسانيب ثلاثة من مُساعديه يعملون على الجيل الأول من روبوتات الحضور المرئي عن بُعدٍ المُتحرِّكة للسطح الخارجي، بعد أن قطَع وَعدًا بتقديم نموذج أوَّليٍّ بَعدَ ظُهر هذا اليوم. كانت الروبوتات سَلِسةً بما فيه الكفاية — فهي من الأشياء الجاهزة المُتاحة في السوق — ولكن الأزياء والبرامج الكينيماتيكية كانت شيئًا مُختلفًا. أسعدَني قليلًا التفكير فيما سيخرُج به هو وعصابة سانيب مُفرِطة الإبداع من العباقرة الفائقين، كما أسعدَني كَوني بعيدًا عن عيون الجمهور.

بدا مَعمل سانيب وكأنَّ إعصارًا قد ضربه؛ فقد كانت تدخل وتخرُج منه أفواج من المُبتكِرين يحمِلون آلاتٍ غامِضةً أو يُشكِّلون دوائر نِقاش صغيرةً في الزوايا وهم يَصيحون كلما عرَضَت شاشاتهم الذهنية شيئًا أيًّا كان. وفي وَسط ذلك كلِّه وقَفَ سانيب، الذي بدا يَمنَع نفسه بالكاد من الصُّراخ فرَحًا! كان واضِحًا أنه في أفضل حالاته.

فتح ذِراعَيه عن آخِرهما حينما لَمَحَني أنا ودان، حتى بدا وكأنه مُستعِدٌّ لاحتِضان الجمع الفوضوي المُثرثِر بأكمله. صاح بِصوتٍ ارتفعَ فوق صوتِ الضجيج قائلًا: «يا له من جُنون رائع!»

وافقتُه قائلًا: «بكلِّ تأكيد، ما أخبار النموذج الأولي؟»

لوَّح سانيب بِلا مُبالاة وأصابعه القصيرة ترسُمُ تَفاهات في الهواء وقال: «في الوقت المناسب، في الوقت المناسب. لقد كلفتُ هذا الفريق بشيءٍ آخر: تصميم برنامج كينيماتيكي لفئة من الأشباح الطائرة تَستخدِم أكياس الغاز لتظلَّ مُحلِّقة عاليًا؛ صامتة ومُرعِبة. إنها تقنية تجَسُّس قديمة، والتعديل يَسير على نَحوٍ رائع، انظر!» وأشار بإحدى أصابعه إليَّ وأطلَقَ دفقةً من البيانات نحوي مُفترِضًا أنَّني سأتمكَّن من رؤيتها.

ذكَّرتُه بِلطف: «أنا غير مُتَّصِل بالشبكة.»

خبَط على جبهته واستغرَق بُرهةً ليُزيح شَعْره من على وَجهِه ولوَّح لي مُعتذِرًا ثم قال: «بالطبع، بالطبع، إليك هذا.» فَرَدَ شاشة عرضٍ بلُّورية (إل سي دي) وأعطاها لي. رقَصَ سِربٌ من الأشباح على الشاشة في مُواجهة مَشهد قاعة الرقص، كانوا يَتناسَبُون من حيث الموضوع مع أشباح القصر الموجودين بالفعل، وكانوا مُضحكين أكثر منهم مُخيفين وكانت وجوههم مألوفة؛ نظرتُ حولي في المُختبَر وأدركتُ أنهم كانوا نُسَخًا كاريكاتيرية للعديد من المُبتكِرين.

قال سانيب وهو يفرُك يدَيه معًا: «هاه! لقد لاحظت! مُزْحة جَيِّدة بحق. أليس كذلك؟»

قلتُ بحذر: «هذا رائع! ولكنَّني أحتاج حقًّا إلى بعض الروبوتات الجاهزة للتشغيل غدًا مساءً يا سانيب. لقد ناقَشْنا هذا. هل تتذكَّر؟» بدون روبوتات الحضور المرئي عن بُعد، ستكون تَعييناتي مقصورة على المُعجَبين أمثال كيم مِمَّن يعيشون بالمنطقة. وقد كانت مُخطَّطاتي أكبر من ذلك.

بدا سانيب مُحبَطًا وقال: «بالطبع ناقشْناه. فقط لا أُحبُّ أنْ أوقِفَ زُملائي حينما يكون لدَيهم أفكار جيدة، ولكن ثمَّةَ مُتَّسعٍ من الزمان والمكان. سأجعَلهم يَبدءون العمل على هذا الموضوع فورًا، اترك الأمر لي.»

استدار دان ليُحيِّي أحد الأشخاص، نظرتُ لأعرف من هو. كانت ليل، بالطبع. كانت الهالات السوداء تُحيط بِعَينيها المُتعَبَتَين. مدَّت يدَها لتُمسِك بيد دان، ولكنَّها حينما رأتْني، غيَّرَت رأيها.

قالت بعَفْوِية حَذِرة: «مرحبًا يا رِفاق.»

ردَّ سانيب: «أوه مرحبًا!» أشار بإصبعه نحوَها ربما ليُرِيَها الأشباح الطائرة، كما أعتقد. استدارتْ عَينا ليل إلى أعلى لوهلَةٍ ثُمَّ أومأت له بِوَهَن.

قالت: «جيد جدًّا، لقد بَلغَتْني أخبار للتوِّ من ليزا. تقول إن أفراد طاقم العمل الذين يعملون بالداخل يَسيرون وفق الجدول المُحدَّد. لقد فكَّكوا مُعظم الدُّمى الآلية المُتحرِّكة ويُنزِلون الآن اللوح الزُّجاجي في قاعة الرقص.» نُفِّذَتْ مُؤثرات الأشباح البصرية بقاعة الرقص، عن طريق لَوحٍ عملاق من الزجاج المصقول، قسَّم الغرفة بشكل جانبي إلى قِسمين، وبُني القصر حوله؛ كان ضخمًا للغاية بدرجةٍ تَحُول دون تَفكيكه كقطعةٍ واحدة. أردفَتْ ليل قائلة: «يقولون إنهم سيحتاجون إلى بضعة أيام حتى يُقَطِّعوه ويصير جاهزًا للنقل.»

خيَّم علينا صمتٌ غير مُريح تَبارى المُبتكِرون في كسْرِه بضجيجهم.

وأخيرًا قال دان: «لا بُدَّ أنَّك مُرهَقة.»

قلت: «هذا صحيح.» وفي نفس اللحظة قالت ليل: «نعم، أعتقِد ذلك.»

ابتَسَم كِلانا ابتسامةً باهِتة. وَضَع سانيب ذِراعيه حول كتِفِ ليل وكتِفي واعتَصَرَهُما. كانت تَفُوح منه رائحة مَزيجٍ غريب من زُيوت التشحيم والأوزون وسُموم الإرهاق.

قال سانيب: «يجِب أن تعودا أنتما الاثنان إلى المنزل ويَدلُك أحدكما الآخر. أنتما تَستحقَّان بعض الراحة.»

التقَتْ عَينا دان بِعينيَّ وهزَّ رأسه مُعتذرًا. أفلتُّ من أسفل ذِراع سانيب وشكرتُه بهدوء، ثم انسللتُ خِلسة إلى مُنتجَع كونتمبراري لأحظى بحمَّامٍ ساخِنٍ وساعتَين من النوم.

عُدتُ إلى القصر عند غروب الشمس. كان الجوُّ باردًا بما يكفي، فسلكتُ أحد الطرق البَرِّية، واضعًا ثياب العمل مَطوِية في حقيبة كتِف، بدلًا من القيادة عبر جَلَبة أنفاق المرافق المُكيَّفة المُريحة.

حينما هبَّت نِسمة هواء مُنعِشة نَحوي، شعرتُ بحنينٍ مُفاجِئٍ إلى الجوِّ الحقيقي، وبهذا النوع من المناخ الذي ترعرعتُ فيه بتورونتو. كنَّا في شهر أكتوبر، ولكن بعد قضاء عمرٍ كامل في الأجواء المكيفة كنتُ أشعر أننا في شهر مايو. توقَّفتُ وانحنيتُ على أحد المقاعد للحظةٍ وأغلقتُ عينيَّ. من تلقاء نفسي، وبنفس وضوح رؤية الشاشة الذهنية، رأيتُ مُتنزَّه هاي بارك في تورونتو في ردائه الخريفي المُلوَّن بدرجات الأحمر والبرتقالي النارية ودرجات الخُضرة الدائمة واللون البُني الترابي. يا إلهي! كنتُ في حاجة إلى إجازة.

فتحتُ عينيَّ وأدركتُ أنني أقف أمام قاعة الرؤساء، وأن أمامي صفًّا يمتدُّ لمسافة طويلة في انتظار الدخول. حسبتُ العددَ الكليَّ للحشد سريعًا في ذِهني وسحبتُ بعض الهواء بين أسناني: كان لديهم ما يكفي من الأشخاص لملء خمسة أو ستة منازل ينتظرون هنا؛ أي ببساطة، ساعة كاملة من الانتظار … لم تجتذب القاعة كلَّ هذه الحشود من قبل. كانت دِبرا تُحرِّك الأبواب الدوَّارة مُرتدية زيَّ بيتسي روس المصنوع من قماش الجِنْهام ذي النقوش المربَّعة، ولَمحتْني وأومأت لي إيماءة سريعة.

غادرتُ مُتجهًا نحو القصر. تشكلتْ جوقة من الزومبي من المُستجدِّين الذين عينَّاهم حديثًا أمام البوابة، يمشون بتثاقُل وهم يتأوَّهون على أنغام «الأشباح المبتسمة المروِّعة» بشكل جديد من أسلوب النداء والاستجابة الموسيقي. شارك جمهور قليل بعدما حثَّهم العاملون المُستجدُّون الواقفون على السقَّالات.

غمغمت لنفسي قائلًا: «حسنًا، على الأقل الأمر يسير على نحوٍ صحيح.» وكان الأمر كذلك فعلًا، فيما عدا أنني كنتُ أرى بعض أفراد اللجنة ينظرون من الخطوط الجانبية، ولم تكن نظراتٍ بريئة. يُعتبَر المُعجبون الشديدو الهوس مقياسًا جيدًا لمدى شعبية أيِّ لعبة، إلَّا أنهم مُزعِجون للغاية أيضًا. فهم يُحرِّكون شفاههم بالتزامُن مع الأغنية، ويتسوَّلون للحصول على التذكارات، ويُضايقونك بأسئلةٍ استعراضية مُتملِّقة، فيبدأ حتى الأعضاء الأكثر بهجةً بين أفراد طاقم العمل في فُقدان صبرهم والشعور بنفور تلقائي منهم.

اقتنع أفراد لجنة ساحة الحرية الذين يعملون على القصر بالموافقة على التجديد، ودُفِعوا دفعًا للعمل عليه، وكانوا مُجبَرين الآن على تحمُّل صحبة هؤلاء المُعجبين المهووسين المُحبين للفْتِ الأنظار. لو كنتُ هناك حينما بدأ الأمر كله — بدلًا من النوم! — فلربما تمكنتُ من تخفيف آلام غرورهم المجروح، ولكني أتساءل الآن ما إذا كان الوقت قد فات لفعل ذلك.

لم يكن هناك مفرٌّ من القيام بذلك. تواريتُ في أحد أنفاق المرافق وبدَّلتُ ملابسي، مُرتديًا الزيَّ الخاصَّ بي وعُدتُ إلى المسرح مرة أخرى. انضممتُ بحماس إلى جَوقة الغناء بأسلوب النداء والاستجابة ومررتُ على أفراد اللجنة لأحثَّهم على الانضمام، على مَضضٍ أو خلاف ذلك.

بحلول الوقت الذي توقَّف فيه أعضاء الجَوقة عن الغناء وهم مُتعَبون ويتصبَّبون عرقًا، كانت مجموعة من أفراد اللجنة جاهزة لتحلَّ محلَّهم، ورافقتُ المُستجدِّين إلى إحدى غرف الاستراحة خارج المسرح.

مرَّ أسبوع كامل ولم يُسلِّم سانيب النماذج الأولية للروبوت، وأخبرني أنني لن أتمكن من الحصول على شيء ولو حتى خمس وَحدات إنتاج قبل أسبوع آخر. على الرغم من أنه لم يقُلْ ذلك، فقد انتابني شعور بأنَّ هؤلاء الرجال كانوا خارج السيطرة وأنهم كانوا سعداء للغاية بالتحرُّر من مُراقَبة أفراد اللجنة حتى فلَتَ زمامُهم. كان سانيب نفسه في حالة مُزرية وكان عصبيًّا ومُتقلِّب المِزاج. فلم أُلِحَّ في الأمر.

إلى جانب ذلك، كانت لديَّ مشاكلي الخاصة؛ فقد تضاعفت أعداد المُستجدِّين، وحرصتُ على مُتابَعة ردود فعل المُعجَبين إزاء عملية التجديد أولًا بأول من محطة إرسال ركبتُها في غرفتي بالفندق. كانت كيم وزملاؤها المحليون يقومون بملايين الزيارات عبر شبكة الإنترنت يوميًّا، وكان رصيدهم من الووفي يتضاعف كلما وَلَج المُعجبون الغيورون من جميع أنحاء العالم إلى الشبكة ليشاهدوا التقدُّم الذي أحرزوه فوق السقَّالات.

كان كلُّ شيء يسير وفق الخطة المرسومة، وكان الاستثناء الوحيد هو المستجدين؛ فقد كانوا يُعيِّنون أشخاصًا جددًا من تلقاء أنفسهم، ويرسلون الدعوات لأصدقائهم على الإنترنت ليأتوا إلى فلوريدا، ويشاركوهم المَبيت على الأرائك والأسِرَّة المُخصَّصة للضيوف ثم يُقدِّمون أنفسهم لي ليتسلَّموا مهامَّ عملهم.

حينما تكرَّر الأمر للمرَّة العاشرة، توجَّهتُ إلى كيم في غرفة الراحة. كان حلقُها يتحرَّك وعيناها تتابِعان كلماتٍ غير مرئية عبر مُنتصَف المسافة. كانت بلا شك تكتُب رسالة أخرى لاهِثة حول سِحر العمل في القصر، حدثتها قائلًا: «مرحبًا. هل لديك دقيقة لنتحدَّث معًا؟»

رفعَت إصبعًا واحدًا ثم، بعد لحظة، ابتسمَت لي ابتسامةً مُشرِقة.

قالت: «مرحبًا جوليوس! بالطبع!»

«لماذا لا تُبدِّلين ملابسك وترتدين الملابس غير الرسمية؟ سنأخذ جولة عبر المُتنزَّه ونتحدَّث معًا.»

كانت كيم ترتدي زيَّ العمل كلما واتتها الفرصة، إلا أنني كنتُ حازمًا جدًّا في هذا الأمر وكنتُ أُصرُّ على أن تضع الزيَّ في المَغسلة في نهاية كل ليلة بدلًا من أن تعود إلى المنزل مُرتدِيةً إياه.

دخلتْ إلى إحدى غرف تبديل الملابس على مَضضٍ وارتدت عباءتها الطويلة. سلكنا نفق المرافق مُتجهَين إلى مخرج أرض الخيال، ومَشينا عبر ازدحام ما بعد الظهيرة إذ اصطفَّ الكبار والصغار في طوابير انتظار كثيفة لمشاهدة عروض سنو وايت، ودامبو، وبيتر بان.

سألتها: «هل يُعجبك العمل هنا؟»

وثبتْ كيم وثبةً خفيفة وقالت: «أوه يا جوليوس، إنها أفضل أوقات حياتي بحق! إنه حلم تحوَّلَ إلى حقيقة. فأنا أقابل العديد من الأشخاص المُثيرين للاهتمام وأشعُر بالقُدرة على الإبداع حقًّا. لا أطيقُ صبرًا حتى أُجَرِّبُ روبوتات الحضور المرئي عن بُعد أيضًا.»

«حسنًا، أنا مسرورٌ حقًّا بما تقومين به أنتِ وأصدقاؤك هنا. إنكم تعملون بجدٍّ وتقدِّمون عرضًا جيدًا. أحبُّ الأغنيات التي كنتم تعملون عليها أيضًا.»

قامت بواحدةٍ من حركات المُراوَغة المزدَوَجة التي كانت أساس العديد من فيديوهات الإثارة في تلك الأيام، ووجدتُها تقِف أمامي فجأةً واضعة يدَها على كتفي وتنظر في عينَي. كانت تبدو جادَّة.

«أتوجَد مشكلة يا جوليوس؟ إذا كان الأمر كذلك، أُفضِّل أن نتحدَّث عن الأمر بكلِّ بساطة، بدلًا من الانخراط في مُحادثات سطحية.»

ابتسمتُ وأزحتُ يدَها عن كتِفي وسألتها: «كم عمرُك يا كيم؟»

«تسعة عشر. ما المشكلة؟»

تسعة عشر! يا إلهي! لا عجَب في أنها مُتقلِّبة إلى هذا الحد. ما عُذري إذن؟

«ليست مشكلة يا كيم، بل مجرَّد شيء كنتُ أرغَب في مُناقشته معك: كل هؤلاء الناس الذين كنتم تُحضرونهم إلى هنا ليعملوا لحسابي، إنهم جميعًا رائعون.»

«لكن!»

«ولكن مواردنا محدودة هنا وليس لديَّ عدد كافٍ من الساعات يوميًّا لأُتابع هؤلاء المُستجدِّين عن كثَب، وأعمال التجديد، وكل الأشياء الأخرى. ناهيك عن أننا لن نستطيع سوى استخدام عددٍ محدودٍ من العمَّال الإضافيين حتى يَحين موعد افتتاح القصر الجديد. وأخشى أن ندفع بشخصٍ لم يَتلقَّ التدريب الكافي على خشبة المسرح أو أن يَنفدَ مَخزوننا من الأزياء الرسمية، كما أخشى أن يقطع الناس كلَّ هذه المسافة ليكتشفوا عدم توافُر أي مُناوبات عملٍ لهم.»

نظرتْ لي نظرة ارتياحٍ وقالت: «هل هذا كلُّ شيء؟ لا تقلق بهذا الشأن. لقد كنتُ أتحدَّث إلى دِبرا هناك في قاعة الرؤساء، وقالت إنها يُمكنها أن تأخُذ أيَّ عددٍ من الأشخاص ممَّن لا يُمكن إلحاقُهم بالعمل في القصر، حتى إننا يُمكننا أن نتبادَل العمالة!» كان يبدو جليًّا أنها فخورة ببُعد نظرها.

طنت أذُني. إنها دِبرا التي تَسبقني بخطوة دائمًا. على الأرجح أنها اقترحت على كيم أن تُعيِّن عمالة إضافية منذ البداية. ستأخُذ من أتَوا لينضمُّوا إلى العمل بالقصر وتُقنِعهم أن أفراد طاقم العمل المسئولين عن ساحة الحرية كانوا يُرهِقونهم بالعمل الشاق، ثم تَستدرِجُهم إلى مزرعة الووفي الصغيرة الخاصة بها، وهذه هي أفضل طريقة للاستيلاء على القصر والمُتنزَّه وعالم والت ديزني برمَّته.

قلتُ بحذَر: «لا أعتقد أن الأمر سيصِل إلى هذا الحد. أنا مُتأكد من أن بإمكاننا أن نجِد لهم جميعًا شيئًا ليقوموا به في القصر. كلَّما كان العدد أكبر، صارت المُتعة أكبر.»

مالت كيم وقد ارتسمَتْ على وجهها الحيرة، ولكنها تجاهلَت الأمر. عضضتُ لِساني، فأعادني الألم إلى أرض الواقع وبدأتُ أخطط لإنتاج الأزياء، وإعداد جداول التدريب والمبيت. يا إلهي! فقط لو نجح سانيب في الانتهاء من تجهيز الروبوتات!

قلتُ بعصبية: «ماذا تعني بلا؟»

عقدَتْ ليل ذِراعيها ونظرت لي بغضبٍ قائلة: «لا يا جوليوس، لن يحدُث. إن المجموعة تشعُر بالضيق بالفعل من أن المُستجدِّين هم من سيحصدون المجدَ كلَّه، ولن يَسمحوا لنا أبدًا بجلْب المزيد منهم. كما أنهم لن يوقِفوا العمل في عملية التجديد من أجل تدريبهم،

وإلباسهم، وإطعامهم، ورعايتهم. إنهم يفقدون رصيدًا من الووفي كل يوم ما دام القصر مغلقًا، ولا يُريدون أيَّ تأخيرات أخرى. لقد انضمَّ ديف بالفعل إلى دِبرا، وأنا متأكدة أنه لن يكون الأخير.»

ديف، ذلك الأحمق الذي أغضبه تجديد القصر بشدَّة في الاجتماع. بالطبع انضمَّ لها. كان ليل ودان يقِفان جنبًا إلى جنبٍ في شُرفة المنزل الذي كنتُ أعيش فيه. قُدتُ سيارتي في تلك الليلة وذهبتُ إلى ليل لأُقنِعها بأن تَستميل الأعضاء الآخرين للموافقة على جلب المزيد من المُستجدِّين، ولكن لم يكن الأمر سيسير وفق الخطة المرسومة. لم يَسمحا لي حتى بدخول المنزل.

«ماذا أقول لكيم إذن؟»

ردَّت ليل: «قل لها ما تُريد، أنت من أحضرَها، تولَّ أمرها، تحمل بعض المسئولية مرة واحدة في حياتك.»

لم يكن ليتحسَّن الأمر بأيِّ شكل. نظر لي دان بأسَفٍ في حين حدَّقَت ليل فيَّ غاضبة لبُرهة ثم دخلَتِ المنزل.

قال دان: «إن دِبرا تُبلي بلاءً حسنًا بحق. إنها حديث الشبكة بأسرِها. إنه أهمُّ حدَث على الإطلاق. إن التخليق السريع يَحظى بشعبيةٍ في النوادي الليلية؛ إذ يمتزِج الرقص بالنُّسخة الاحتياطية لمُنسِّق الأغاني ويُدفَع بها في دفقات سريعة إلى أذهان الراقصين.»

قلت: «يا إلهي! لقد أخفقتُ يا دان. لقد أفسدتُ كلَّ شيء.»

لم ينبِس ببِنت شَفةٍ كأنه يُوافِقني الرأي.

قرَّرتُ وأنا في طريق العودة إلى الفندق أنني بحاجة للتحدُّث مع كيم. كانت مشكلة لا أحتاجها، ولكنها مشكلة ربما يُمكنني حلُّها. انعطفتُ بسيارتي الصغيرة بعُنف، فأطلقَتْ صوتًا مُرتفعًا واتَّجهتُ إلى منزلها، كانت شقَّةً صغيرة في أحد المُجمَّعات السكنية المُتهاوِية التي كانت قرية مُسوَّرَة مُخصَّصة للمُسنِّين في الماضي قبل ظهور مجتمع الروعة.

كان من السهل التعرُّف على منزلها. فقد كانت كلُّ الأنوار مُضاءة وسُمعَت أصوات حديثٍ خافتة قادمة عبر الباب السِّلكي.

سمعتُ دِبرا تقول: «أوه بالطبع، بالطبع! إنها فكرة رائعة! في الواقع، لم أفكر من قبل في الاستِعانة بفنَّاني الشارع لإضفاء البهجة على المنطقة المُخصَّصة لطوابير الانتظار، لكن ما تقولينه فيه كثير من المنطق. إنكم تقومون بأفضل عمل مُمكن بالقصر يا رفاق، جِدوا لي الكثير من أمثالكم وسآخذهم للعمل في القاعة في أيِّ وقت!»

سمعتُ كيم وأقرانها الشباب يتحدَّثون بحماسٍ وفخر. اعتَراني الغضب والخَوف من رأسي حتى أخمَص قدَمي، ثم شعرتُ فجأة بالخِفَّة والهدوء وبأنني مُستعدٌّ للقيام بشيءٍ رهيب.

ترجَّلتُ الدَّرَج في هدوءٍ دون أيِّ صوت واستقللتُ سيارتي الصغيرة.

بعض الناس لا يتعلَّمون من أخطائهم أبدًا، وأنا واحدٌ من هؤلاء، كما يبدو.

ضحكتُ ضحكةً خافتة على بَساطة خُطَّتي المضمونة وأنا أتسلَّلُ عبر مدخل طاقم العمل مُستخدِمًا بِطاقة الهوية التي حصلتُ عليها، حينما انقطع اتِّصال أنظِمتي بالشبكة، وصرتُ غيرَ قادرٍ على تمرير بطاقة التصريح الخاصَّة بي عند باب الدخول.

بدَّلتُ ملابسي في أحد الحمامات الموجودة بالشارع الرئيس وارتديتُ عباءة سوداء ذات غطاء للرأس حجبَتْ ملامحي تمامًا، ثم انسللتُ عبر الظِّلال بمُحاذاة واجهات المحلَّات حتى وصلتُ إلى الخندق المائي الذي يُحيط بقلعة سندريلا. حرصتُ على البقاء خفيًّا عن الأنظار وأنا أعبُر السياج، وسرتُ مُنحنيًا أسفل الجسر ثُمَّ انزلقتُ في الماء وخضتُ فيه وصولًا إلى الجانب الذي تقَع فيه أرض المُغامرة.

تسللتُ بجانِب بوابة ساحة الحرية وكنتُ أختبئ في المداخل كلَّما سمعتُ صوت عُمَّال الصيانة يمرُّون من بعيد، حتى وصلتُ إلى قاعة الرؤساء، وفي طرفةِ عين، كنتُ داخل المسرح نفسه.

أخرجتُ عتلة تكسير حديدية صغيرة من جيب عباءتي المزوَّد بعُروةٍ وأنا أُدندن الأغنية الرئيسة للعبة «إنه عالمٌ صغير»، وبدأت العمل.

كانت وحدات البثِّ الأولية مَخفيَّةً وراء قماش ملوَّن فوق المسرح، وكانت مبنية جيدًا على نحو مُثير للدهشة بالنسبة إلى تكنولوجيا الجيل الأول. بذلتُ مجهودًا كبيرًا في تحطيمها، ولكنني لم أتوقَّف حتى لم يعُد جُزءٌ واحد فيها يُمكن التعرُّف عليه. كان العمل بطيئًا وصاخبًا وسط هدوء المُتنزَّه، إلا أنه أدخلني في حالةٍ من اليقظة الحالِمة الباعِثة على الاسترخاء؛ إذ أخذتُ أطوِّح العتلة ثم أضرِب بها بقوة على نحوٍ آليٍّ عدَّة مرات كأني مُنوَّم مغناطيسيًّا. أخذت وحدات التخزين وخبأتُها أسفل الوِشاح على سبيل الأمان.

كان تحديد مكان وحدات النَّسخ الاحتياطية أصعبَ قليلًا، ولكن السنوات العديدة التي قضيتُها في التسكُّع في قاعة الرؤساء — في حين كانت ليل تعمل على إصلاح الدُّمى المتحرِّكة آليًّا — ساعدَتْني. تفحَّصتُ كل ركنٍ صغير وكلَّ شقٍّ وكلَّ منطقة تخزين بشكلٍ

منهجيٍّ حتى وجدتُها في خِزانةٍ كانت تُوجَد في إحدى غُرف الاستراحة فيما مضى. كنتُ قد اعتدتُ إيقاع العمل بالفعل آنذاك، فلم أستغرِق وقتًا طويلًا.

قمتُ بجولةٍ أخرى، أتلفْتُ خلالها، أيَّ شيء كان يبدو وكأنه نموذجٌ أوليٌّ للجيل القادِم أو أي مُلاحظات من شأنها أن تُساعدهم على إعادة بناء الوحدات التي أتلَفتُها.

لم يكن لديَّ أدنى شكٍّ حول مدى استعداد دِبرا؛ فمن المؤكد أنَّ لدَيها شيئًا خارج المَوقِع يُمكنها أن تُحضره وتشغِّله في أيامٍ قليلة. لم يكن ما فعلتُه سيتسبَّبُ في ضررٍ دائم، فقط كنتُ أحاول كسْبَ بعض الوقت: يوم أو اثنين.

شققتُ طريقي بهدوءٍ خارِج المُتنزَّه دُون أن يراني أيُّ شخصٍ وخضتُ طريقي عبرَ مياه الخندق المائي حتى وصلتُ إلى سيارتي والماء يتسرَّب من حذائي.

نمتُ كالأطفال لأول مرَّة منذ أسابيع.

انكشف أمري بلا شك؛ فمُمارسة الخُدَع المكيافيلية ليسَتْ من طباعي في الواقع، وهو ما جعلَني أُخلِّف ورائي أثرًا امتدَّ ميلًا، بدايةً من آثار الأقدام المُوحلة في بَهوِ فندق كونتمبراري والعتلة الحديدية التي تركتُها هناك مع عباءتي ووحدات التَّخزين الخاصَّة بالقاعة، والتي نَسيتُها بالمقعد الخلفي لسيارتي.

بينما كنتُ أشقُّ طريقي خروجًا من قِسم الأزياء عبر نفَق المرافق خروجًا إلى ساحة الحرية — قبل نصف ساعة من مِيعاد فتح أبواب المُتنزَّه أمام الزوَّار — أخذتُ أصفِر بنُسختي الخاصة من أغنية «الأشباح المُبتسِمة المروِّعة» بلحنٍ سريع له طابع موسيقى الجاز.

كانت ليل ودِبرا تقِفان أمامي. كانت دِبرا تُمسك عباءتي والعتلة الحديدية وأمسكَتْ ليل بوحدات التخزين.

لم أضع لاصِقتي الجلدية هذا الصباح، وبالتالي كان الإحساس الذي شعرتُ به حادًّا وصارخًا ومُلحًّا.

ركضت.

ركضتُ مُتخطيًا إياهما عبرَ الطريق المُؤدِّي إلى أرض المُغامرة، مارًّا بغرفة التيكي حيث قُتِلتُ، وبوابة أرض المغامرة حيث اجْتزتُ مياه الخندق المائي بصعوبة حتى نهاية الشارع الرئيس. أخذتُ أركض وأركض وأنا أدفَع الزوَّار المُبكِّرين بمِرفقي وأسحَق الزهور

بقدَميَّ وأرتطِم بعرَبة تفَّاح صغيرة تقِف على الجانب الآخر من متجر بيني آركيد وأُسقِطُها أرضًا.

ركضتُ حتى وصلتُ إلى البوابة الرئيسة واستدرتُ ظانًّا أنني سأتجاوَز ليل ودِبرا وكلَّ مشاكلي. كنتُ مخطئًا في ظنِّي؛ فقد كانتا هناك، خلفي بخطوة، تلهَثان وقد اصطبغ وَجهاهُما باللون الأحمر. أمسكتْ دِبرا بعتلتي الحديدية وكأنها سِلاح ولوَّحَت بها في وَجهي مُهدِّدة.

قالت لي: «أنت أحمق لَعين. هل تعلَم هذا؟» أعتِقد أنَّنا لو كنَّا وحدَنا لكانت ضرَبَتْني بها.

قلتُ باستِهزاء: «لا تتقبلين الأمر حينما يُلاعِبك أيُّ شخصٍ بعُنف. أليس كذلك يا دِبرا؟»

هزَّت ليل رأسَها باشمئزازٍ وقالت: «إنها على حق، أنت أحمَق. أفراد طاقم العمل يعقِدون اجتماعًا في أرض المُغامرة. سوف تأتي.»

سألتُ وأنا أشعُر برغبةٍ شديدة في العراك: «لماذا؟ هل ستكرِّمينَني على كلِّ هذا العمل الشاقِّ الذي قمتُ به؟»

أجابت ليل: «سنتحدَّث عن المستقبل يا جوليوس، ما تبقَّى لنا منه.»

«بربِّك يا ليل! ألا تَرَين ما يحدُث؟ لقد قتلوني! لقد فعلوها، والآن يُحارِب أحدُنا الآخَرَ بدلًا من أن نُحاربها! لماذا لا يُمكنك رؤية كم أنَّ هذا خطأ؟»

قالت دِبرا بهدوءٍ وحِدَّة وهي تهمِسُ تقريبًا: «من الأفضل أن تَحذَر ترديد هذه الاتهامات يا جوليوس. أنا لا أعلَم من قتلَك أو السبب وراء ذلك، ولكنَّك المُذنِب هنا؛ أنت تحتاج إلى المساعدة.»

أطلقتُ ضحكة جافَّة. كان الزوَّار قد بدءوا في التدفُّق إلى المُتنزَّه الذي كان مفتوحًا أمام الجمهور الآن، وبينما أعضاء طاقم العمل الثلاثة الذين يرتدون ملابس العمل الرسمية يَصيح بعضهم في وجه بعضٍ، كان العديد من الزوَّار يُراقِبونهم باهتمام. كان يُمكنني الشعور برصيدي من الووفي وهو ينزِف. أردفتُ قائلًا: «دِبرا، أنتِ كتلة من الهُراء والزَّيف حقًّا، وعملك مُبتذَل ويفتقِر إلى الخيال. أنتِ لِصَّة لَعينة وحتى لا تَملِكين الشجاعة للاعتِراف بذلك.»

ردَّت ليل بوجهٍ قاسٍ وهي بالكاد تتحكَّم في غضبها: «هذا يكفي يا جوليوس، سنذهب.»

مشت دِبرا خلفي بخطوة وسبقتْني ليل بخطوة بطول الطريق عبر الحشود وصولًا إلى أرض المغامرة. سنَحت لي عشرات الفُرَص للانسِلال والهروب منهما عبر فجوةٍ وسط الفَيَضان البشري الذي أحاط بنا، ولكنِّي لم أُحاوِل. كنتُ أُريد فرصةً لأخبِر العالَم أجمع بما فعلتُه والأسباب وراء ذلك.

تبِعَتنا دِبرا ونحن نصعد الدَّرَج المؤدِّي لغرفة الاجتماعات. استدارت ليل قائلة بنبرةٍ مُتَّزِنة: «لا أعتقد أنكِ يجِب أن تكوني هنا يا دِبرا.»

هزَّت دِبرا رأسها قائلة: «لا يُمكنك منعي من الدُّخول، أنتِ تعلمين هذا. ولا ينبغي أن تكوني راغبة في ذلك؛ فنحن على الجانب نفسه.»

تذمرتْ بسخرية، وأعتقد أنَّ هذا هو ما جعل ليل تتَّخِذ قرارها؛ إذ قالت: «هيا إذن.»

كانت غرفة الاجتماعات تتسِع للوقوف فقط؛ فقد كانت تعجُّ عن آخِرها بكلِّ أفراد اللجنة، فيما عدا المُستجدِّين المُعَيَّنين من قِبَلي. لم يكن ثمَّةَ أيُّ عمل يتمُّ في القصر في ذلك الحين، وستكون ليبرتي بيل قابِعةً على رصيفها، حتى الأفراد العاملون بالمطاعم كانوا حاضرين. لا بُدَّ أن ساحة الحرية قد أصبحت مدينة أشباح الآن. أضفَتْ هذه الأجواء على الاجتماع شعورًا بالأهمية القصوى؛ في ظلِّ معرفة أنه يُوجَد زوَّار يتجوَّلون بلا هُدًى في ساحة الحرية ويبحثون عن أعضاء من أفراد طاقم العمل ليساعدوهم. ربما كان طاقم دِبرا مُتواجِدًا بالطبع.

كانت وجوه الحشود قاسية ومُتجهِّمة، وهو ما جعلني أُدرِك أنني في ورطةٍ كبيرة بلا أدنى شك. حتى دان الذي كان يجلس في الصفِّ الأمامي، بدا غاضبًا. كدتُ أنخرِط في البكاء عندئذٍ. دان، أوه دان، رفيقي، وكاتم أسراري، وضحيَّتي، ومُنافسي، وعدوِّي اللدود؛ دان، دان، دان. كنتُ أرغَب في أن أُبرحَه ضربًا حتى الموت وأحتضِنه في الوقت نفسه.

اعتلتْ ليل المنصَّة ووضعت بعض الشعرات الضالَّة خلف أُذنيها وقالت: «حسنًا إذن.» كنتُ أقِف إلى يسارِها فيما وقفَتْ دِبرا إلى يمينها.

«شكرًا لحضوركم اليوم. أودُّ إنهاء هذا الأمر سريعًا؛ فجميعنا لديه عمل مُهمٌّ ليقوم به. سأسرد الحقائق: ليلة أمس خَرَّبَ أحد أفراد أعضاء طاقم العمل هذا قاعة الرؤساء ولم يترُك فيها شيئًا سليمًا. ومن المُقدَّر أن يَستغرِق الأمر أسبوعًا على الأقلِّ لإعادة إصلاح القاعة وتشغيلها.

ليس من الضروري أن أُخبركم أن هذا أمر غير مقبول. لم يحدُث هذا من قبل قط، ولن يحدُث مرةً أخرى؛ سننظُر في الأمر.

أودُّ أن أقترِح عدَم القيام بأيِّ عمل إضافي في القصر حتى تعود قاعة الرؤساء للعمل بكامل طاقتها، وسأتطوَّع بخدماتي لإصلاح الأضرار.»

سرَتْ إيماءات مُوافِقة بين جمهور الحضور. لن تكون ليل هي الوحيدة التي ستعمل بالقاعة هذا الأسبوع. أردفَتْ ليل قائلة: «عالم ديزني ليس ساحة تنافُس؛ فجميع أفراد طاقم العمل على اختلافهم يعمَلون معًا ونحن نفعل هذا لنجعل المُتنزَّه في أفضل صورة مُمكنة. وإذا نسينا ذلك، فإننا نُعرِّض أنفسنا إلى الخطر.»

كنتُ على وشْك التقيُّؤ اشمئزازًا. قلتُ وأنا أحاوِل إبداء أقصى قدْرٍ مُمكن من الهدوء: «أودُّ أن أقول شيئًا.»

رمقتْني ليل بنظرةٍ قائلة: «لا بأس من ذلك يا جوليوس، يُمكن لأيِّ عضو من أفراد لجان العمل أن يتكلم.»

أخذتُ نفَسًا عميقًا وقلتُ بصوتٍ مُرتعِش: «لقد فعلتُ ذلك، حسنًا! لقد فعلتُ وليس لديَّ أيُّ عُذرٍ فيه. قد لا يكون أذكى تصرُّفٍ أتيتُ به في حياتي، ولكنَّني أعتقِد أنكم جميعًا يجِب أن تعرِفوا دَوافِعي للقِيام بهذا.

لا يُفترَض بنا أن يُنافِس بعضُنا بعضًا هنا، ولكن جميعنا يَعلم أن هذا مُجرَّد افتراض ضِمني لا يمتُّ للحقيقة بِصِلة. فالحقيقة أنَّ هناك مُنافسةً حقيقية في المُتنزَّه، وأنَّ أشرَسَ اللاعبين هم أفراد طاقم العمل الذين أعادوا تأهيل قاعة الرؤساء. لقد سرقوا القاعة منكم! فعلوا ذلك وأنتم مُشتَّتون واستخدَمُوني أنا كأداةٍ للإلهاء، لقد قتلوني!» سمعتُ صرخةً تزحَف إلى صوتي ولكنَّني لم أتمكن من القيام بأيِّ شيءٍ حِيال هذا الأمر.

«عادة ما تكون أكذوبة أنَّنا جميعًا في الجانِب نفسه مقبولة؛ لأنها تسمَح لنا بأن نعمل معًا في سلام. ولكن كلَّ ذلك قد تَغيَّر يوم أنْ قتلوني. إذا ظللتُم تُصدِّقون هذه الكذبة، فستفقِدون القصر، وليبرتي بيل، وجزيرة توم سويَرْ، والمُتنزَّه بأكمله. كل تاريخِنا مع هذا المكان — كلُّ تاريخ مليارات البشر الذين زاروه معه — سيُدَمَّر ويُستبدَل بالهُراء العقيم الأرعَن الذي سيطر على قاعة الرؤساء. وبمُجرَّد أن يحدُث ذلك لن يتبقَّى ما يجعل هذا المكان مُتميزًا. فيمكن لأيِّ شخصٍ الحصول على التجربة نفسها وهو جالس على أريكته بالمنزل! ما الذي سيحدُث بعد ذلك إذن؟ إلى متى سيظلُّ هذا المكان مفتوحًا في اعتقادكم بمُجرَّد أن يصير الأشخاص الوحيدون الموجودون هنا هم أنتم فقط؟»

ابتسمَت دِبرا بتعالٍ وسألتْني بلُطفٍ قائلة: «هل انتهيتَ إذن؟ رائع. أعلم أنَّني لستُ فردًا من هذه المجموعة، ولكن بما أنَّ عملي هو الذي دُمِّرَ ليلة أمس، أعتقِد أنني أودُّ أن

أُعلِّق على ما قاله جوليوس، إذا كنتم لا تُمانِعون.» وتوقَّفَت ولكن لم ينبِس أيُّ شخصٍ ببِنت شفة.

أردفت قائلة: «أولًا: أريدُكم جميعًا أن تعلموا أنَّنا لا نُحمِّلكم مسئولية ما حدَث ليلة أمس. نحن نعلَم من هو المسئول وهو يَحتاج إلى المُساعدة. وأدعوكم إلى مُتابَعة الأمر لتتأكدوا من حصوله عليها.

ثانيًا: أودُّ أن أقول إننا، على حسْب اعتقادي، على الجانب نفسه، ألا وهو جانب المُتنزَّه. هذا المكان مكان مُميَّز، ولم يكن من الممكن أن يكون له وجود بدون إسهاماتنا جميعًا. ما حدث لجوليوس كان فظيعًا، وآمُل من كلِّ قلبي أن يُقبَض على الشخص المسئول وأن يُقدَّم إلى العدالة، إلَّا إنَّني لستُ هذا الشخص ولا أي فرد من أعضاء فريق عملي.

ليل، أودُّ أن أشكرَك لعرضِك السخيِّ بتقديم المساعدة ونحن نقبله. وهذا يَسري على الجميع، تعالَوا إلى القاعة وسنجِدُ لكم عملًا. سنكون جاهِزين للعمل في أسرع وقت.

والآن، فيما يتعلَّق بالقصر، دعوني أقلْ هذا لمرة واحدة وبصورة نهائية: لا أرغَب أنا، ولا أيٌّ من أفراد فريق عملي، في الاستيلاء على القصر. إنه مُتنزَّه ترفيهي رائع، وهو يتطوَّر بفضل العمل الذي تقومون به جميعًا. إذا كنتم قلِقين من هذا الأمر، حسنًا، يمكنكم الاطمئنان الآن. كلُّنا على الجانب نفسه.

شكرًا لإنصاتكم لي، لا بُدَّ أن أذهب الآن لأُقابِل فريقي.»

وبينما ضجَّتِ القاعة بالتصفيق استدارتْ وخرجَتْ من القاعة.

انتظرتْ ليل حتى هدأ التصفيق ثم قالت: «حسنًا إذن، لدَينا عمل لنقوم به أيضًا. أودُّ أولًا، أن أطلُب معروفًا منكم جميعًا. أودُّ أن نُبقي على تفاصيل ما حدَث ليلة أمس سرًّا فيما بيننا؛ فإطلاعُ الزوَّار والعالَم على شيءٍ قبيح كهذا لن يكون في صالِحنا. هل يُمكِننا جميعًا أن نتَّفِق على ذلك؟»

عمَّتْ لحظة صمتٍ في حين كانت النتائج تُعرَض على الشاشات الذهنية، ثم ابتسمَتْ ليل للحشد ابتسامةً مُبتهِجة من القلب وقالت: «كنتُ أعلم أنكم لن تُخيِّبوا رجائي. شكرًا لكم يا رفاق، لنبدأ العمل.»

قضيتُ اليوم بالفندق أتجوَّل حول محطة إرسالي في كسلٍ وتوانٍ. قالت لي ليل بعد الاجتماع بمُنتهى الوضوح إنَّني غير مسموح لي بالوجود في المُتنزَّه حتى «أحصُل على المُساعدة»، أيًّا كان ما يَعنيه ذلك.

انتشر الخبر بحلول الظهيرة. كان من الصعب تحديد مصدر تسريبه، ولكن يبدو أن الشُّبهات كانت تحوم حول المُستجدِّين؛ فقد أخبر واحد منهم أصدقاءه عبر الإنترنت عن الحدَث الجلَلِ الذي وقَع بساحة الحرية وذكر اسمي.

بدأت بعض المواقع في التشهير بي والطعن في شخصي بالفعل، وكنتُ أتوقَّع المزيد. كنتُ أحتاج إلى شكل من أشكال المساعدة بكلِّ تأكيد.

فكرتُ في المُغادرة حينئذٍ، أن أترُك كلَّ شيء خَلْفي وأُغادِر عالَم ديزني لأبدأ حياةً جديدة مُتواضِعة برصيدٍ فقير من السُّمعة وبلا أيِّ التِزامات.

لن يكون الأمر سيِّئًا للغاية؛ فقد كنتُ أعاني من سوء السُّمعة من قبل، منذ فترة ليست طويلة. في المرة الأولى حين كنتُ أتسكع مع دان في جامعة تورونتو؛ إذ كنتُ مِحور الكثير من الآراء المُتضارِبة من قِبَل الآخرين، وكنتُ في أقصى درجات الافتِقار إلى حُسن السُّمعة.

كنتُ أنام في تابوتٍ صغير ذي جوٍّ محكوم تمامًا داخل حرَم الجامعة. كان ضيِّقًا وكئيبًا، لكني كنتُ أَلِجُ إلى شبكة الإنترنت مجَّانًا، وكان لديَّ الكثير من الأدوات للترفيه عن نفسي. وعلى الرغم من أنَّني لم أكن أتمكَّن من الحصول على طاولة بأيِّ مطعمٍ من المطاعم، فقد كنتُ أستطيعُ الانضِمام لصفوف الانتِظار الخاصَّة بأيٍّ من المنافذ المُنتشِرة في جميع أنحاء المدينة للحصول على كل ما أرغَب فيه من الطعام والشراب وقتما شئت. كنتُ أحظى بحياة مُترفة ليس لها مثيل مقارنة بـ ٩٩,٩٩٩٩ في المائة من كلِّ من عاشوا على وجه الأرض.

لم أكن استثناءً، حتى بمقاييس مُجتمع الروعة. فقد كان عدد الأشخاص الذين يُعانون من انخفاض تقدير الذات مُرتفعًا بشكلٍ عام، وكانوا يتعاملون مع الأمر بشكل جيد: بالتجوُّل في المُتنزَّهات، والمُناقشات، والقراءة، وتمثيل المسرحيَّات، وعزْف الموسيقى.

بالطبع لم تكن تلك هي الحياة التي أردتُها لنفسي. كان لديَّ دان لأتسكع معه، وهو من القلَّةِ التي تَحظى برصيدٍ مُرتفِع من السُّمعة الجيدة ممن كانوا على استعدادٍ لمُصادَقة أحمقَ مثلي؛ فكان يدعوني لتناوُل الوجبات بمقاهي الرصيف، وحضور الحفلات الغنائية في سكاي دوم، وكان يُدافع عنِّي ضِدَّ أيِّ أحمقَ مُتغطرِس مهووس بالسُّمعة يَسخَر من رصيدي من الووفي. كان التواجُد مع دان بمثابة عملية إعادة تقييم مُستمرَّة لمُعتقداتي في مجتمع الروعة، ولم أحظَ بوقتٍ نابضٍ بالنشاط ومُثير للتفكير كهذا أبدًا في حياتي كلِّها.

كان بإمكاني مُغادَرة المُتنزَّه وأن أُعلِّق حياتي مُؤَقَّتًا في أيِّ مكانٍ في العالم، ثم أبدأ من جديد. كان يُمكنني أن أترك دان ودِبرا وليل وكل تلك الفوضى العبَثية وراء ظهري.

لم أفعل.

اتصلتُ بالطبيب.

الفصل الثامن

أجاب الطبيب بيت، صوتيًّا فقط، على اتِّصالي بعد الجرس الثالث. سمعتُ في الخلفية جَوقة من الأطفال الباكين والجلَبة التي كانت تُسمَعُ في خلفية مشفى المملكة السحرية دائمًا.

«مرحبًا يا دكتور.»

أجاب تحت غِطاءٍ مُزيَّف من المِهَنية الطبية والودِّ الذي يُميِّز أفراد أعضاء طاقم العمل حجَب غضبًا شعرتُ به، قائلًا: «مرحبًا يا جوليوس، كيف يُمكنني مُساعدتك؟»

كان لسان حالي يقول: أصلِحْ كلَّ شيءٍ ليصير كما كان. «لستُ مُتأكدًا في الواقع، كنتُ أريد أن أعرِف إذا كان يُمكنني مناقشة الأمر معك؛ فأنا أعاني من بعض المشاكل الضخمة.»

«لديَّ مُناوَبة عمل حتى الساعة الخامسة. ألا يُمكن أن نؤجِّل الأمر حتى ذلك الحين؟»

في ذلك الوقت لم يكن لديَّ فكرة ما إذا كانت لديَّ الشجاعة لرؤيته: «لا أظن، كنتُ آمُل أن نتقابَل على الفَور.»

«يُمكنني أن أُرسِل لك سيارة إسعاف إذا كان الأمر طارئًا.»

«إنه أمرٌ مُهم، ولكنه ليس طارئًا. أحتاج للتحدُّث معك بشأنه وَجهًا لوجه، أرجوك.»

تنهَّد بأسلوب لا يتماشى مع سِمات الأطباء وسِمات أفراد أعضاء طاقم العمل وقال: «لديَّ أشياء مُهمَّة للقيام بها هنا يا جوليوس. هل أنت مُتأكد أنها مسألة مُلحَّة لا يُمكن تأجيلها؟»

ابتلعتُ شهقة بكاء كادت تُفلتُ منِّي قائلًا: «مُتأكد يا دكتور.»

«حسنًا إذن. متى يُمكنك القُدوم؟»

أوضحَتْ ليل بمُنتهى الصراحة أنها لا تُريد رؤيتي في المُتنزَّه: «هل يُمكنك أن تأتي لمُقابَلتي؟ لا أستطيع حقًّا القدوم إليك، أنا أُقيم بفندق كونتمبراري، برج «ب»، غرفة ٢٣٣٤.»

«أنا لا أقوم بزيارات منزلية يا بُنَي.»

قلتُ وأنا كاره لنبرة الشفَقة التي بدَت في صوتي: «أعلم، أعلم. هل يُمكنك أن تستثنيني؟ لا أعرِف أيَّ شخصٍ آخَر يُمكنني اللجوء إليه.»

«سآتي بأسرَع ما يُمكن. سوف أُضطَرُّ للاستعانة بشخصٍ آخر ليحلَّ محلي في أثناء غيابي؛ فدعنا لا نجعل من هذا الأمر عادة مُتكرِّرة، اتفَّقْنا؟»

زفرت بارتياح قائلًا: «أعدك بذلك.»

أنهى الاتِّصال فجأةً ثم وجدتُ نفسي أتَّصِل بـ «دان».

أجاب بحذَر: «أجل.»

«دكتور بيت قادِم الآن يا دان. لا أعلم ما إذا كان يُمكنه مُساعدتي، لا أعلم ما إذا كان أيُّ شخصٍ يُمكنه ذلك. فقط أردتُ أن أُخبرك.»

فاجأَني حينئذٍ وجعلني أتذكَّر لماذا كان لا يزال صديقي حتى بعدَ كلِّ ما حدَث: «هل تُريدني أن آتي إليك؟»

قلتُ بهدوء: «سيكون ذلك لطيفًا منك للغاية، أنا بالفندق.»

أجاب: «أمهِلني عشر دقائق.» ثم أغلق الهاتف.

وجدَني بالشُّرفة أتأمَّل القلعةَ وقِمَم جبل الفضاء. امتدَّت إلى يساري المياه اللامِعة لبُحيرة البحار السبعة، وإلى يميني امتدَّت العقارات الملونة ميلًا بعد ميل. كانت الشمس دافئة على بشرتي وسُمِعَتْ آثار ضحِكات خافتة حملتْها الرياح معها، وكانت الورود مُزهِرة. سيكون الجوُّ في تورونتو مُمطرًا مُتجمِّدًا، والأبنية رمادية، وأصوات المرور صاخِبة — مرَّ أحد القِطارات الكهربائية المُعلقة مُصدِرًا أزيزًا — ووجوه الغُرَباء المُتجهِّمة، كم كنتُ أفتقِدها!

سحب دان كرسيًّا وجلس بِجانبي دون أن ينطِق بكلمةٍ واحدة، وراح كِلانا يُحدِّق إلى المشهد بالخارج لفترةٍ طويلة.

قطعتُ الصمت أخيرًا قائلًا: «ثمَّةَ شيء آخر. أليس كذلك؟»

أجاب قائلًا: «أعتقِد ذلك، أريدُ أن أُخبرَك بشيءٍ قبل أن يأتي الطبيب يا جوليوس.»

«تفضَّل.»

«لقد انتهى الأمر مع ليل. لم يكن يجِب أن يحدُث هذا في المقام الأول، وأنا لستُ فخورًا بنفسي. حتى إذا كنتما في طريقكما للانفِصال في ذلك الوقت، وهذا ليس من شأني، لم يكن يَحقُّ لي أن أتعجَّل الأمر هكذا.»

قلت: «حسنًا.» كانت قُواي مُستنزَفة تمامًا لأتعامَل مع أيِّ عواطف.

«لقد حجزتُ غُرفةً هنا ونقلتُ أغراضي.»

«كيف تتقبَّل ليل الأمر؟»

«إنها ترى أنَّني وغد، وأعتقِد أنها مُحقَّة.»

صحَّحتُ له قائلًا: «أعتقد أنها مُحقَّة جزئيًّا.»

وَكَزَني برفقٍ في كتِفي قائلًا: «شكرًا.»

انتظرنا في صمتٍ مؤنِس حتى وَصل الطبيب.

دخل مُسرِعًا زامًّا شفتَيه بقوَّةٍ وانتظر في ترقُّب. تركت دان بالشُّرفة وذهبتُ للجلوس على السرير.

حدَّثتُه قائلًا: «إنني أنهار أو ما شابَه. لقد صرتُ أتصرَّف بعصبيةٍ وبعُنف أحيانًا. لا أعلم ما الذي أصابني.» كنتُ قد أعددتُ هذا الكلام مُسبقًا، ولكن البَوح به كان لا يزال صعبًا.

ردَّ الطبيب بنفادِ صبر: «كِلانا يعلم ما الخطبُ يا جوليوس. أنت بحاجةٍ إلى إعادة تحميلك من نُسختك الاحتياطية والحصول على مُستنسَخٍ جديد والتخلِّي عن هذا الجسد. لقد تحدَّثنا في هذا الأمر من قبل.»

قلتُ وأنا أتحاشى النظر في عَينيه: «لا يُمكنني القيام بذلك، لا يُمكنني، ألا تُوجَد أيُّ طريقة أخرى؟»

هزَّ الطبيب رأسه قائلًا: «إن الموارد التي لديَّ لتخصيصها محدودة يا جوليوس. ثمَّةَ علاجٌ جيد تمامًا لما تُعاني منه، وإذا كنتَ لن تَقبلَه فليس لديَّ الكثير يُمكنني فِعله لمُساعدتك.»

«ولكن ماذا عن العقاقير؟»

«مشكلتك ليست خللًا كيميائيًّا، بل تلفًا عقليًّا. إنَّ دِماغك مُحطَّم يا بني، كلُّ ما ستفعله العقاقير هو إخفاء الأعراض في حين تزداد حالتُك سوءًا. لا يُمكنني أن أخبرَك بما

تُريد سماعه للأسف. الآن، إذا كُنتَ مُستعدًّا لقَبول العلاج، فيُمكنني أن أتخلَّص من جَسدِك الحالي على الفور وأُعيد استرجاعَك في جسدٍ جديد في غضون ٤٨ ساعة.»

«ألا تُوجَد طريقة أخرى؟ أرجوك! لا بُدَّ أن تُساعدني، لا يُمكنني أن أفقِد كلَّ هذا.» لم أتمكن من الاعتراف بالأسباب الحقيقية وراء ارتِباطي الشديد بهذا الفصل من حياتي بكلِّ ما به من بؤسٍ فريد، ولا حتى لنفسي.

نهَض الطبيب ليهمَّ بالذهاب قائلًا: «اسمَعْ يا جوليوس، لم يعُد لدَيك رصيدٌ كافٍ من الووفي يستحقُّ من أيِّ شخصٍ إهدار وقتِه في البحث عن حلٍّ لمُشكلتك خلاف الحلِّ الذي نعرفه جميعًا. يُمكنني أن أصِف لك مُثبِّطات للتقلُّبات المِزاجية، ولكن ذلك ليس حلًّا دائمًا.»

«لمَ لا؟»

بدا مُتردِّدًا. «لا يُمكنك أن تتناوَل المُهدِّئات لبقية حياتك يا بُنَي؛ ففي نهاية المَطاف سيُصيب هذا الجسدَ شيءٌ ما، ومن واقِع ملفِّك، أرى أنك عُرضة للسَّكتات الدِّماغية، وسيُعاد تحميلك من نُسختك الاحتياطية. وكلَّما انتظرتَ لمدَّة أطول، صار الأمر أكثرَ إيلامًا. إنك تَستنزِف ذاتك المُستقبلية من أجل ذاتك الأنانية الحالية.»

لم تكن هذه هي المرة الأولى التي تخطُر فيها الفِكرة ببالي. فمع كلِّ يومٍ يمرُّ كان قَبول العلاج يَصير أصعب، ومعه يصعُب أن أستلقي في الفِراش وأستيقظ صديقًا لدان وحبيبًا لليل مرَّة أخرى؛ أن أستيقِظ لأجِدَ القصر كما أتذكَّره وأجِد ليل في قاعة الرؤساء مُنحنية ورأسُها مدفون في قلب دُمية آلية لأحد الرؤساء بعد الظهر؛ أن أستلقي وأستيقِظ دون شعور بالعار، دون أن أعرِف أن حبيبتي وأعزَّ أصدقائي سيُخونانِني؛ أو خاناني بالفِعل.

لم أقوَ على القِيام بذلك، ليس بَعدُ على أيِّ حال.

دان، كان دان سيقتُل نفسه قريبًا، وإذا أعدتُ تحميل نفسي من نُسختي الاحتياطية القديمة، فسأفقِد آخِرَ سنةٍ قضيتُها معه؛ سأفقِد آخِرَ سنة في حياته.

«دعنا نؤجِّل ذلك يا دكتور، أَتَفَهَّم ما تقول، ولكن تُوجَد مُضاعَفات لذلك. أعتقِد أنَّني سألجأ لمُثبِّطات تقلُّب المِزاج في الوقت الراهن.»

رمقَني بنظرةٍ باردة وقال: «سأُعطيك روشتة إذن؟ كان يُمكنني فعل ذلك دون القدوم إلى هنا؛ من فضلك لا تتَّصِل بي بعدَ الآن.»

صدَمَني غَضبه الواضح، ولكنَّني لم أستوعِبِ الأمر حتى ذَهبَ وقصصتُ على دان ما حدَث.

قال دان: «نحن القُدَماء اعتدْنا الاعتِقاد أنَّ الأطبَّاء هم مِهنيُّون تلقَّوا تدريبًا على مُستوًى عالٍ؛ كلُّ هذه الأمور المُتعلقة بكلية الطب قبل ظهور مجتمع الروعة، من فترات التدريب العملي الطويلة والتدريبات المُختلِفة على التشريح ... والحقيقة هي أن الطبيب العادي اليوم يتلقَّى تدريبًا على مهارات التعامُل مع المرضى أكثر من ذلك الذي يتلقَّاه في العلوم البيولوجية. إن «دكتور» بيت فني، وليس طبيبًا مُتخصِّصًا، ليس بالشكل الذي نَعنيه أنا وأنت. أو أي شخصٍ يحظى بنوعية المَعرفة التي تبحَث عنها، إنما يعمَل باحثًا تاريخيًّا وليس طبيبًا.

لكن ليس هذا هو مَربَط الفرَس؛ إذ يُفترَض أن يكون الطبيب هو من له السُّلطة فيما يتعلق بالمسائل الطبية، حتى ولو لم يكن في جَعبتِه سوى خُدعة واحدة ألا وهي إعادة التحميل من النُّسخة الاحتياطية. أنت تُذَكِّر بيت بذلك، وهو غير سعيد بذلك.»

انتظرتُ أسبوعًا قبل أن أعود إلى المملكة السحرية مرة أخرى وأتشمَّسُ على الشاطئ ذي الرمال البيضاء في مُنتجَع كونتمبراري وأركضَ في لعبة جولةٍ حول العالم، وأستقلَّ زَورقًا إلى جزيرة ديسكَفَري البرية ذات الأشجار الكثيفة وأستجِمَّ بشكلٍ عام. كان دان يأتي في المساء، وكُنَّا نقضي الوقت كما كُنَّا نفعل في الماضي: نَستعرِض إيجابيَّات وسَلبيَّات الووفي، وأسلوب الحياة في مجتمع الروعة والحياة عامَّةً ونحن نجلِس في شُرفَتي يتوسَّطنا إبريق من عصير الليمون المُثلَّج.

أهداني دان في الليلة الماضية جهازًا يَدويًّا صغيرًا، عبارة عن قطعةٍ مُتحفيَّة تذكرتُها بشغف، وكانت تعود إلى الأيام الأولى لمجتمع الروعة. كان يتمتَّع بالكثير من الوظائف التي يفتقِدها نظامي المُعطَّل، وكان موضوعًا في عُبوة يُمكنني وضعُها في جَيب قميصي بكلِّ سهولة. كان يبدو وكأنَّه جُزء من زيٍّ تمامًا كساعات الجَيب التي كان يرتديها فنانو الشارع الذين يؤدُّون دَور بِين فرانكلين في ملاهي عالَم المُغامرات الأمريكية.

سواء كان قِطعةً مُتحَفِية أم لم يكن، فقد كان وجوده يعني أنَّني صرتُ مؤهَّلًا مرة أخرى للانخِراط في مجتمع الروعة، وإن كان ببطءٍ وكفاءة أقلَّ ممَّا كنتُ عليه ذات يوم. أخذتُه معي في صباح اليوم التالي ونزلتُ الدَّرَج وقدْتُ سيارتي مُتوجِّهًا إلى ساحة انتظار السيارات بالمملكة السحرية المخصَّصة لأفراد طاقم العمل.

كانت تلك هي الخطة، على الأقل. حينما نزلتُ إلى ساحة انتِظار السيارات الخاصَّة بفندق كونتمبراري لم أجِد سيارتي. تفقَّدتُ الأمر سريعًا باستِخدام الجهاز اليدَوي واكتشفتُ ما هو أسوأ: كان رصيدي من الووفي مُنخفِضًا بما فيه الكفاية حتى إنَّ شخصًا آخَرَ استقلَّ سيارتي وانطلق بها بعيدًا، مُدركًا أنَّ بمقدوره أن يستفيد من استخدامِها أكثر منِّي.

اعتَراني شعورٌ مُقبض وأنا أصعد بتثاقُلٍ إلى غرفتي وأُمَرِّر مِفتاحي عبر القُفل، فأطلقَ طنينًا ناعمًا رافضًا وأضاء: «يُرجى التوجُّه إلى مكتب الاستقبال.» لقد أخذ شخصٌ آخَرُ غرفتي أيضًا. لقد كنتُ في أسوأ أوضاعي فيما يتعلَّق برصيد الووفي.

على الأقلِّ لم يكن ثمَّةَ فحصٌ إلزامي للووفي على رصيف انتِظار القِطار الكهربائي المعلَّق، إلَّا أنَّ من كانوا معي بالعرَبة لم يكونوا وَدُودين على الإطلاق، ولم يَسمح لي أيٌّ منهم بالحصول على بُوصة إضافية من المساحة الشخصية أكثر من الضروري. لقد وصلتُ إلى الحضيض.

سلكتُ المدخل المُخصَّص لأفراد طاقم العمل لدخول المملكة السحرية، وأرفقتُ بطاقة تعريفي بقميصي البولو الخاصِّ بإدارة عالم ديزني وتَجاهلتُ حمْلقةَ أقراني من أفراد طاقم العمل الذين كانوا يمرُّون في أنفاق المرافق.

استخدمتُ الجهاز اليدويَّ لأتَّصِل بدان، الذي قال بإشراق: «مرحبًا.» عرفتُ على الفور أنه يُحاوِل التخفيف عنِّي.

سألته: «أين أنت؟»

«أوه، في الساحة، بجانب شجرة الحرية.»

استعرضتُ أوضاع الووفي يدويًّا باستِخدام الجهاز اليدوي وأنا أمام قاعة الرؤساء. كان رصيد دِبرا مُرتفِعًا للغاية حتى بدا أنها لن تُهزَم أبدًا، وكذلك الحال بالنسبة لتيم وفريقها بالكامل. كانوا يَنالون الملايين من نِقاط الووفي من الزوَّار، ومن أعضاء طاقم العمل، وممن قرءوا قِصَصهم الشعبية حول كفاحِهم ضِدَّ قُوى الغِيرة والتَّخريب البائسة؛ أي أنا.

شعرتُ بالدُّوار، فهُرعتُ نحوَ قسم الملابس وبدَّلتُ ثِيابي وارتديتُ زِيَّ القصر الأخضر الثقيل، ثم صعدتُ الدَّرَج مُتَّجِهًا إلى ساحة الحرية.

وجدتُ دان يرتشِف القهوة ويجلس على أحد المقاعد أسفل شجرة الحرية العِملاقة المعلَّق بها فانوس، وكان معه كوب آخَر بانتِظاري، وربَّتُّ على المقعد لأجلس إلى جانبه. جلست معه وارتشفتُ القهوة في انتظار أن يَبوح بالأخبار البغيضة التي كان يحمِلها لي هذا الصباح، كنتُ أشعُر بها تحوم كغُيوم العواصف.

ولكنه لم يتحدَّث إلا حينما انتهَينا من القهوة؛ إذ وقفَ حينئذٍ ومشى في اتِّجاه القصر. لم يكن قد حان وقتُ إنزال الحِبال إيذانًا بدخول الزوَّار، ولم يكن يُوجَد أيُّ زوَّار بالمُتنزَّه، وهو ما كان الأفضل في ظلِّ ما هو آتٍ.

سألني أخيرًا ونحن نقِف بجانب مَقبرة الحيوانات الأليفة، نتأمَّل السقَّالات الفارِغة: «هل ألقيتَ نظرة على رصيد دِبرا من الووفي مُؤخَّرًا؟»

هممتُ بسحْب الجهاز اليدوي ولكنه وَضع يدَه على ذِراعي قائلًا بعبُوس: «لا تهتم، يكفي القول بأن عصابة دِبرا هي رقم واحد بلا مُنازِع. منذ أن انتشرَتْ أخبار ما حدَث للقاعة وهُم يَحصُدون تلالًا من النقاط. يُمكنهم أن يفعلوا أيَّ شيءٍ تقريبًا يا جولز ويُفلِتون به.»

تقلَّصَت مَعِدتي ووجدتُ نفسي أضغطُ على ضُروسي غيظًا. سألتُ دان وأنا أعلم الإجابة بالفعل: «ما الذي فعلوه إذن يا دان؟»

لم يكن عليه الرد؛ إذ خرَج تيم في هذه اللحظة من القصر مُرتدِيًا ملابس عمل واسعة قطنية خفيفة. كان يبدو مُستغرِقًا في التفكير، ولكنَّه حينما رآنا ابتَسم ابتسامته القَزمية العريضة وأقبل نَحونا.

قال: «مرحبًا يا رفاق!»

ردَّ دان: «مرحبًا تيم!» أما أنا فاكتفيتُ بإيماءة من رأسي؛ خوفًا من التلفُّظ بشيءٍ خاطئ.

أردف تيم: «أمر شيِّق للغاية. أليس كذلك؟»

قال دان بلُطف مُصطنَع: «لم أخبره بعد. لماذا لا تَستعرِض أنت الأمر برمَّته؟»

أجاب تيم: «حسنًا، إنه شيء ثَوري للغاية، لا بُدَّ أن أعترِف بهذا. لقد تعلَّمْنا بعض الأشياء من العمل بالقاعة وأردْنا أن نُطبِّقها، وفي الوقت ذاته، أردْنا أن نلتقِط بعض ملامح الشخصية التاريخية في قصَّة الشبَح.»

هممتُ أن أفتحَ فمي لأعترِض، لكن دان وضَع يدَه على ساعدي وسأله ببراءة: «حقًّا؟ وما خطَّتُك لتنفيذ ذلك؟»

«حسنًا، نحن نحتفظ بروبوتات الحضور المرئي عن بُعد — إنها فكرة رائعة يا جوليوس — ولكنَّنا سنزوِّد كلًّا منها بوَصْلة إرسال بحيث يُمكنها القيام بعملية التخليق السريع. لدينا كُتَّاب قِصص رُعب لهم رصيد مُرتفِع من السمعة الجيدة يعملون على كِتابة سلسلةٍ من القِصص عن حياة كلِّ شبَح: كيف واجهوا نهاياتهم المأسوية، وما يفعلونه منذ ذلك الحين، كما تعلم.

الأسلوب الذي أعدَدْنا به القصَّة المُصوَّرة هو كالآتي: يسير الزوَّار عبر اللُّعبة، كما يفعلون الآن إلى حدٍّ بعيد، مُتجوِّلين في منطقة ما قبل العرْض، ثم يَستقلُّون عربات الموت للقيام بالجولة. ولكن هنا يكمُن التغيير الكبير، إذ نُبطِّئُ كلَّ شيءٍ ونستبدِل سَعة اللعبة من الزَّوَّار بتكثيف العرْض لنجعَله مُنتَجًا أكثرَ تميُّزًا.

لنفترضْ أنك زائر: ستُطارِدُك هذه الأشباح — روبوتات الحضور المرئي عن بُعد هذه — من منطقة الطوابير حتى منطقة إنزال الركاب، وهي مُرعبة حقًّا؛ لقد جعلت مُصمِّمي الرسوم الرقمية التصويرية الذين يعملون لدى سانيب يعودون إلى لوح الرسم ويقومون ببحثٍ بسيط عن الأشياء التي ستُثير ذُعر الزوَّار بشدَّة. حينما يُمسِك بك أحد الأشباح ويَضع يدَه عليك، بوووم، تحدُث عملية التخليق السريع! وتحصُل على قصَّته المُرعِبة في ثلاث ثوانٍ عبر فَصِّ مُخِّك الأمامي، وبحلول وقت مُغادَرتك ستكون قد تواصلتَ بالفعل مع عشرة أشباح أو أكثر، وعندما تُعاوِد الزيارة مرة أخرى، سيكون هناك أشباح جديدة تمامًا وقصص مُختلفة تمامًا. إنه نفس الأسلوب الذي تجتذِبهم القاعة به، سنُحقِّق نجاحًا ساحِقًا حتمًا.» ووضع يديه وراء ظهره ووقف على أطراف أصابعه وأخذ يتمايل مَزهوًّا بنفسه.

عندما افتُتِح مركز إيبكوت الترفيهي لأول مرَّةٍ منذ زمن طويل جدًّا، عانَينا حوالَي عقدٍ كامل من الألعاب ذات التصميم القبيح. وقد وجد قِسم الخيال الابتكاري صيغةً ناجِحة للعبة سفينة فضاء الأرض، تلك السفينة الضخمة القابِعة داخل كرة الجولف الكبيرة، ورغبة منهم في تحقيق استمرارية دائمة على مستوى الموضوع، حوَّلوا هذه الصيغة إلى صيغةٍ تكرارية أشبَهَ بقاطِعة البسكويت تُنتِج نِصف دستةٍ من القِطَع المُستنسَخة لكل منطقة ذات طابع مُميَّز بمنطقة مَعرِض المستقبل. سار الأمر على النحو التالي: في البداية كنَّا بدائيِّين، ثم جاء عصر اليونان القديمة، ثم وقَع حريق روما (الذي تُشير إليه المؤثرات التي تُحاكي رائحة الكبريت)، ثم أزمة الكساد الكبير، وأخيرًا، وَصلْنا إلى العصر الحديث. من يَعلم ما يحمِله المستقبل؟ نحن نعلم! سيكون لدَينا هواتِف مُزوَّدة بالفيديو، وسنَعيش

في قاع المُحيط. في أول مرةٍ كان الأمر لطيفًا — بل جذَّابًا ومُلهِمًا — ولكنَّه كان مُحرِجًا بعد ستِّ مرات. فبمُجرَّد أن وجد المُبتكرون لأنفسهم مِطرَقةً جيدة، صار كلُّ شيء يبدو لهم مِسمارًا، مثلهم في ذلك مثل الناس جميعًا. وحتى الآن، يكرِّر أفراد فريق العمل المُتخصِّص المسئولون عن مركز إيبكوت خَطايا أسلافِهم ويختتِمون كلَّ لعبةٍ بمشهدٍ من مجتمع الروعة الفاضل.

كانت دِبرا تُكرِّر الخطأ القديم نفسه وتشقُّ طريق نجاحها في المملكة السحرية من خلال جهاز التخليق السريع الناسِف.

قلتُ وفي صَوتي رعشةٌ مسموعة لي: «تيم، أعتقد أنك قُلتَ إنك ليس لدَيك خطط بخصوص القصر وإنك ودِبرا لن تُحاوِلا انتِزاعه مِنَّا. ألم تقُل ذلك؟»

تراجَع تيم إلى الخلف وكأنِّي صفعتُه وهرَب الدَّم من وجهه وقال: «ولكننا لا نَستولي عليه! لقد دعوتمونا لنُساعدكم.»

هززتُ رأسي في حِيرة قائلًا: «نحن؟»

أجاب: «بالطبع.»

قال دان: «أجل، لقد ذهبَتْ كيم وبعض القائمين على عملية التجديد إلى دِبرا أمس وطلبوا منها أن تُجري مُراجعة تصميم لعملية التجديد الحالية واقتِراح أيِّ تغييرات. وقد تفضَّلَت بالموافقة وخرجوا ببعض الأفكار الرائعة.» قرأتُ ما بين السطور: لقد انضمَّ المُستجدُّون الذين دعوتَهم إلى الجانب الآخر ونحن في طريقنا لخَسارة كلِّ شيءٍ بسببهم. شعرتُ بالسُّوء والاشمئزاز.

قلتُ بحذَر: «حسنًا، أعترِف بخَطَئي.» وعادت ابتسامة تيم مرة أخرى وصفَّق يديه معًا. إنه يُحِبُّ القصر فعلًا، هكذا فكرت. كان يُمكن أن يكون في صفِّنا فقط لو قُمنا بالأمر كله على النحو الصحيح.

اتجهتُ أنا ودان إلى أنفاق المرافق وأخذنا درَّاجتين وانطلقنا إلى مُختبر سانيب ونحن نُطلِق أجراسنا لتنبيه أفراد طاقم العمل المُسرعين. لهثتُ قائلًا وأنا أزيد سُرعة الدرَّاجة: «ليس لديهم السُّلطة ليدْعُوا دِبرا لدخول القصر.»

ردَّ دان: «من قال هذا؟»

«لقد كان جُزءًا من الاتِّفاق. إنهم يعلمون منذ البداية أنهم قيدُ الاختبار ولم يكن مسموحًا لهم حتى أن يحضروا اجتماعات التصميم.»

أجاب دان: «يبدو أنهم قرَّروا إنهاء فترة اختبارهم.»

رمَقَنا سانيب بنظرةٍ فاترة حين دخلْنا مُختبرَه. كانت الهالات السوداء تُحيط بعينَيه وكانت يده ترتعِش من الإرهاق. كان يبدو أن جلَّ ما أبقاه مُنتصِبًا هو الغضب الشديد.

قال: «لم يعُد هناك وجود لاتِّفاقنا بشأن البناء دون تدخُّلٍ من أحد. لقد اتَّفقنا أن هذا المشروع لن يَطاله أيُّ تغيير في مُنتصف الطريق. وها هو قد تغيَّر الآن، وأنا لديَّ التزامات أخرى سوف أُضطَرُّ لإلغائها؛ لأن الأمر قد خرج عن الجدول المُحدَّد.»

أومأتُ بيدي بإشارات اعتِذار مُحاولًا تهدئته وقلت: «صدِّقني يا سانيب، أنا غاضب بسبب هذا الأمر مثلك تمامًا. لا يُعجبنا ذلك على الإطلاق.»

تنحنح بصوتٍ عالٍ وقال بانفعال: «لقد كان بيننا اتِّفاق يا جوليوس: أن أُعدَّ عملية التجديد لك شريطة أن تُبقِي أعضاء طاقم العمل بعيدًا عنِّي. لقد أوفيتُ بالاتفاق من جانبي، ولكن أين كنتَ بحقِّ الجحيم؟ إذا أعادوا تخطيط أعمال التجديد الآن، فسوف أُضطرُّ لمُسايَرَتهم. لا يُمكنني أن أترك القصر غير مُكتمل، سيقتلونني.»

بدأت بِذرة خُطةٍ جديدة تتشكَّل في عقلي: «سانيب، إن خطة التجديد الجديدة لا تروق لنا وسنوقِفُها. يُمكنك المُساعدة في ذلك، فقط ماطِلْهم؛ أخبِرْهم أنهم لا بُدَّ أن يعثروا على مُبتكِرين آخرين بغرَض الدعم إذا كانوا يريدون السير في تنفيذ الخطة، وأن جدولك مشغول تمامًا.»

رمقَني دان بإحدى نظراته الطويلة التأمُّلية، ثم أومأ إيماءة مُوافقة لا تكاد تُلحَظ، وقال مُتشدِّقًا: «أجل.» وأردف: «سيُجدي ذلك تمامًا. فقط أخبِرهم أنه لا بأس تمامًا من القِيام بأيِّ تعديلاتٍ يُريدون إدخالها على الخُطَّة، إذا كان بإمكانهم العثور على شخصٍ آخر ليُنفِّذها لهم.»

بدا سانيب غيرَ سعيد وقال: «عظيم، وعندئذٍ يذهبون ويَجِدون شخصًا آخر ليقوم بالأمر، ويذهب الفضل كله في العمل الذي قام به فريقي حتى الآن إلى ذلك الشخص، وأكون قد أضَعتُ وقتي هباءً.»

بادرتُه قائلًا: «لن يَصِل الأمر لذلك. إذا أمكنك أن تُصِرَّ على الرفض لِبضعة أيام فقط، فسنتولَّى نحن البقية.»

بدا سانيب مُتشكِّكًا.

قلت: «أَعِدك.»

مرَّرَ سانيب أصابعه القصيرة السمينة عبر شعره الأشعثِ وقال في تَجهُّم: «حسنًا.»
ربَّتَ دان على ظهره بقوَّة قائلًا: «أنت رجلٌ طيب.»

كان من المُفترَض أن ينجَح الأمر، وقد نجح تقريبًا.

جلستُ في مؤخِّرة غرفة الاجتماعات الخاصَّة بأرض المُغامرة وكان دان يَستحثُّ هِمَم الجموع:

«اسمعوا، لستُم مُجبَرين على الإذعان لدِبرا وجماعتِها! هذه حديقتُكم وقد اعتنيتُم بها بشكلٍ مسئول لسنوات، ولا يحقُّ لها أن تتحكَّم بكم، لدَيكم ما يكفي من الووفي الذي تحتاجون إليه للدِّفاع عن المكان إذا تعاونْتُم جميعًا معًا.»

لا يُحِبُّ أعضاء طاقم العمل المواجهة، وقد كانت المجموعة المسئولة عن ساحة الحرية هي الأصعب في تحريضها على القيام بأيِّ تحرُّك. كان دان قد أطفأ مُكيِّف الهواء قبل ساعةٍ من بداية الاجتماع، وأغلق جميع النوافذ حتى صارت الغرفة بوتَقةً لتحويل السُّخط المُتنامي إلى غضبٍ كاسح. وقفتُ مُتواريًا بالخلْف بعيدًا عن دان بقدْر الإمكان. كان يُمارِس سِحرَه على الناس نيابة عنِّي، وكنتُ سعيدًا بتركه يفعل ما يُجيد القيام به.

حينما وصلَتْ ليل، قيَّمتُ الوضع بتعبير نَكِد: هل تجلس في الصفِّ الأمامي بالقُرب من دان، أم بالخلف بالقُرب منِّي؟ واختارت الجلوس بالمُنتصَف، ولكي أستطيع التركيز على دان كان عليَّ أن أُشيح بِبَصَري بعيدًا حتى لا أرى قَطرات العرَق المُتلألِئة على رقَبتِها الطويلة الشاحبة.

كان دان يتنقَّل بين المَمرَّات كالوُعَّاظ بعينَين مُتَّقِدتَين بالحماس: «إنهم يسرقون مستقبلكم! إنهم يسرقون ماضيكم! إنهم يدَّعون أنهم حصلوا على دعمكم!»

ثم خفَض نبرة صوته قائلًا: «لا أعتقِد أن هذا صحيح.» وجذَب إحدى عُضوات فريق العمل من يدِها ونظر في عينَيها قائلًا بصوتٍ خفيضٍ أقربَ إلى الهمْس: «هل هذا صحيح؟»

ردَّت العضوة قائلة: «لا.»

فترَك يدَها واستدار ليُواجِهَ عضوًا آخر ورفع صوته قليلًا مُتسائلًا: «هل هذا صحيح؟»

أجاب العضو بصوتٍ عالٍ لا يتماشى مع الهمْسِ السابق قائلًا: «لا!» وسرَتْ ضحكةٌ مكتومة مُتوتِّرة بين الحَشْد.

قال وهو يَعتلي المِنصَّة، وقد صار همسُه صياحًا: «هل هذا صحيح؟»

زأَرَ الحشْد: «لا!»

فصرَخ بدَوره: «لا!»

«لستُم مُجبَرين على الاستِسلام والقَبول بالأمر الواقع! يمكنكم المُقاوَمة والاستمرار في الخطة وجعلِهم يعودون أدراجهم. إنهم يُسيطرون فقط لأنكم تَسمحون لهم بذلك، فهل ستسمحون لهم بذلك؟»

«لا!»

كانت الحروب في مجتمع الروعة نادِرة الحدوث. فقبل أن يُحاول أيُّ شخصٍ الاستيلاء على أيِّ شيءٍ بفترة طويلة، يكون قد حسَب الأمر جيدًا وتأكَّد من أن أعضاء اللجنة الذين يُريد إزاحَتَهم ليس لدَيهم أيُّ أملٍ في المُقاوَمة.

كان القَرار بسيطًا بالنسبة للطرَف المُستضعَف: التنحِّي بهدوء وإنقاذ ما يمكن إنقاذه من سُمعتهم؛ فالمُقاومة بكل تأكيد ستَلتَهِم حتى تلك المكافأة الضئيلة.

لا أحد يَجني شيئًا من المُقاومة، وبالأخصِّ الشيء الذي يتقاتَل عليه الجميع. على سبيل المثال:

كنتُ في عامي الثاني من دراستي الجامعية وكنتُ قد عاهدتُ نفسي بألَّا أُثِير المتاعِب لأساتِذَتي وأن أُبقي فمي مُغلقًا. كان ذلك في الأيام الأولى لمجتمع الروعة وكان المفهوم الذي بُنِيَ عليه لا يزال غير واضحٍ لمُعظمنا.

ولكن لم ينطبِق هذا على الجميع؛ فقد كانت هناك مجموعة من خريجي قِسم علم الاجتماع المُثيرين للشغَب على شفا الثورة، وكانوا يعلمون ما يُريدون: السيطرة على القسم، والإطاحة بالأساتذة المُستبدِّين الرجعيِّين، وتأسيس مِنبر قوة يمكنهم من خلاله التبشير بأفكار مجتمع الروعة لجيل من الطلاب الجامعيين السريعي التأثر الذين كانوا يرهَبون أعباء العمل الشديدة لدرَجة الإذعان، مما جعلهم غير مُدرِكين لِكمِّ الهُراء الذي كانت الجامعة تحشو به عقولهم.

كان هذا على الأقلِّ ما قالته المرأة الضخمة المُمتلئة الجسد التي استولت على الميكروفون في برنامج علم الاجتماع ٢٠٠ الدراسي، الذي كنتُ أحضُره في قاعة حفلات التخرُّج، في نهار أحد أيام منتصف الفصل الدراسي الخاملة. كانت القاعة تعجُّ بألفٍ وتسعمائة طالب؛ كانوا كحَشْدٍ مُنهَكٍ يحتَسون القهوة وهم يَعدُّون الدقائق والثواني، استيقظوا فجأةً حينما انفجرَتِ الخطبة الرنَّانة للمرأة فوق رءوسهم.

لقد رأيتُ الأمر منذ بدايته. كان الأستاذ يقِف هناك على المسرح، تطير فوق شرائحه المعروضة نُقطة سوداء صغيرة مُرفق بها ميكروفون صغير، ثم صارت الرؤية غير واضحة

في حين هُرِع نِصف دستة من الطلاب الخريجين إلى المسرح. كانوا يرتدون سراويل جامعية مُجعَّدة ذات طراز بوهيمي أنيقٍ ومعاطف رياضية مُمزَّقة، وكوَّن خمسة منهم جِدارًا بشريًّا أمام الأستاذ في حين فَكَّتْ سادِسَتُهم — الفتاة الممتلئة ذات الشعر الداكن والوَحمة البارِزة على وَجْنتها — ميكروفونه وشبَّكَتْهُ في طيَّةِ صدر سُترتِها.

نادت قائلة: «استيقِظوا، استيقظوا!» وأدركتُ واقِع ما يحدُث أخيرًا: لم يكن هذا جزءًا من خطة الدرس.

«هيا، ارفعوا رءوسكم! هذا ليس تدريبًا. إن قسم علم الاجتماع بجامعة تورونتو يخضَع الآن لإدارة جديدة. إذا ضبطتُم أجهزتكم اليدوية على وضع «الاستقبال» فسنُرسِل لكم في التوِّ خطط الدروس الجديدة. إذا كنتم قد نَسيتُم إحضار أجهزتكم اليدوية، يمكنكم تحميل الخطط لاحِقًا. وسأستَعرِضُها لكم الآن على أيِّ حال.

ولكن قبل أن أبدأ، لديَّ بيان مُعدٌّ لأقرأه عليكم. ستسمَعونه بضعَ مراتٍ أخرى اليوم على الأرجح في الفصول الأخرى. إنه يَستحقُّ التكرار. إليكم البيان:

«إننا نرفُض الحُكم الاستِبدادي الرجعي لأساتذة هذا القسم، ونُطالِب بمنابر قوَّة نُبشِّر من خلالِها بأفكار مُجتمع الرَّوعة. واعتبارًا من الآن، تُسيطر اللجنة المسئولة عن قسم علم الاجتماع بجامعة تورونتو على زمام الأمور. نعِدُكم بمناهج دراسية ملائمة للغاية للعصر تركز على اقتصادات السُّمعة، والديناميكيات الاجتماعية لاقتصاد ما بعد النُّدرة، والنظرية الاجتماعية للتمديد اللانهائي للحياة. لا مزيد من نظريَّات دوركايم يا أولاد، فقط التعليق المؤقَّت للحياة! سيكون هذا مُمتعًا.»

دَرَّسَتِ البرنامج الدراسيَّ كالمُحترِفين؛ كان يُمكنك القول إنها كانت تتدرَّبُ على إلقاء مُحاضرتِها منذ فترة. كان الجِدار البشريُّ خلفَها يَهتزُّ من حينٍ لآخَرَ حينما كان الأستاذ يُحاوِل اختراقَه، فيَصدُّونه.

في تمام التاسعة وخمسين دقيقة، أنهت الدرس وصرفَتِ الحضور الذي استمع بحِرصٍ لكلِّ كلمة قالتها. وبدلًا من الخروج بتثاقُلٍ والسَّير ببطءٍ مُتَّجِهين إلى المحاضرة التالية، نهضْنا جميعًا — الألف والتسعمائة طالب — في وقتٍ واحدٍ وبدأ كلٌّ منَّا يُغمغِم للآخر غير مُصدِّقين ما حدَث، وظلَّ هذا الإحساس بالدَّهشة مُلازمًا لنا بعد خروجنا من الباب وفي لقائنا التالي باللجنة المسئولة عن قسم علم الاجتماع.

كم كان يومًا رائعًا! كان لديَّ مُحاضرة أخرى في علم الاجتماع — عن «بناء الانحراف الاجتماعي» — وتلقَّيْنا نفس المحاضرة هناك، ونفس الدِّعاية المُثيرة، ونفس المشهد

الكوميدي لأحد الأساتذة الدائمين، وهو يضرِب بجسَدِه قُبالة الجِدار البشريِّ المكوَّن من أعضاء اللجنة.

انقضَّ المراسلون علينا حينما غادَرْنا الصف، وهم يَلكِزوننا بميكروفوناتهم ويُمطِروننا بِوابِلٍ من الأسئلة. فأشرتُ لهم بإبهامي بسعادةٍ وقلتُ بفصاحة الطلاب الجامعيين المعروفة: «روعة!»

شَنَّ الأساتذة هجومًا مُضادًّا الصباح التالي، فبينما كنتُ أغسِل أسناني، سمعتُ تحذيرًا في نشرة الأخبار: صرَّح عميد قسم الاجتماع لأحد المُراسِلين أن دَورات أعضاء اللجنة لن تكون مُعتمَدة، وأنهم عصابة من البلطجية غير المُؤهَّلَين تمامًا للتدريس. وفي مُقابَلة مُضادَّة، أكدَّ مُتحدِّثٌ رسميٌّ باسم أعضاء اللجنة أنَّ جميع المُحاضِرين الجُدُد كانوا يكتُبون خطط الدَّورات الدراسية ومُذكِّرات المُحاضرات للأساتذة الذين استبدلوهم لسنوات، وأنهم كانوا يكتُبون لهم أيضًا مُعظم مقالاتهم الصحفية.

استعان الأساتذة بأمن الجامعة ليُساعدوهم على استعادة منصَّاتهم، إلَّا أنَّ حُرَّاس الأمن المُوالِين لأعضاء اللجنة الذين يَرتَدون ملابِس مَنزلية الصُّنع لم يَستجيبوا لهم. لقد فَهِمَ أمن الجامعة الرسالة: أيُّ شخصٍ يُمكن استبداله، ومن ثَمَّ لم يَعودوا يتدخَّلون.

اعتصَمَ الأساتذة ودَرسوا فُصولهم الدِّراسية بالخارج أمام مبنى الجامعة، وكان يَحضُرها الطلَّاب المُتملِّقون الذين كانوا على وشْك التخرُّج ممن تشكَّكوا في أنَّ حِصص أعضاء اللجنة ستجعلُهم يحصُلون على شهاداتهم الدِّراسية. أمَّا الحمقى أمثالي فكانوا يَتنقَّلون بَين الحِصص التي تُعقد بالداخل والخارج، فلم نتعلَّم ما يكفي عن أيِّ شيء.

ولم يتعلَّم أحدٌ أيَّ شيء. فقد قضى الأساتذة وقتَ مُحاضراتهم في استِجداء نِقاط الووفي، وكانوا يُديرون حلقاتهم الدِّراسية كمجموعات مُناهِضة لأعضاء اللجنة، وليست كمُحاضرات، في حين قضى أعضاء اللجنة الوقت يَسبُّون الأساتذة وينتقِدون مُقرَّراتهم الدراسية.

حصل الجميع في نهاية الفصل الدراسي على شهاداتهم وقرَّر مجلس إدارة الجامعة حلَّ برنامج علم الاجتماع لصالِح عرْض تدريس عن بُعد من جامعة كونكورديا بمونتريال. سُوِّيَت المعركة للأبد بعد أربعين عامًا، فبمُجرَّد أن تأخُذ نسخةً احتياطية وتُجري عملية الاسترجاع، تتوالى تجلِّيات الروعة تلقائيًّا مُتمثِّلة في نِظامٍ قَيِّمٍ يُحيط بك.

ربما اعترض هؤلاء ممَّن لم يقوموا بعملية النَّسخ الاحتياطي والاسترجاع، ولكن هيهات، فقد ماتوا جميعًا!

سار أعضاء اللجنة المسئولون عن ساحة الحرية كتفًا بكتِف عبْر أنفاق المرافق بشكل جماعي واستعادوا القصر المسكون. كنتُ أنا ودان وليل في المقدِّمة، حريصين على ألَّا يُلامِس بعضنا بعضًا ونحن نَسير مُسرِعين عبرَ باب المسرح الخلفي، ثم كَوَّنَّا سلسلةً بشرية لتمرير المُعدَّات التي خبَّأها أتباع دِبرا هناك، عبر خطٍّ امتدَّ إلى الشُّرفة الأمامية لقاعة الرؤساء، حيث يُلقى بهذه المواد في ازدِراء.

بمُجرَّد إخلاء المُعدَّات الأساسية المُخبَّأة، انقسمْنا وتجوَّلنا عبر أرجاء اللعبة وأروِقة خدماتها، ومُجسَّمات الدُّيوراما ثلاثية الأبعاد، وغُرفة الاستراحة، والمَمرَّات السريَّة نجمَع كلَّ قِطعة صغيرة مُتبقِّية من مُتعلقات دِبرا القَذِرة ونُمرِّرها إلى الخارج.

قابلتُ في مشهد الغرفة العلوية كيم وثلاثةً من أصدقائها الضاحِكين الصغار، الذين كانت عيونهم تلمَع في الضوء الخافِت. انقبضَتْ مَعدتي من الجلَبة التي يُثيرها الأطفال المُنتمون للبشر المُتحوِّلين؛ إذ جعلتْني أفكر في زِد وليل وفي مُخِّي الحقيقي غير المُعدَّل، ثم شعرتُ برغبةٍ مُلحَّة مفاجئة في مهاجمتهم لفظيًّا بضراوة.

لا.

لا، ليس في هذا الطريق إلَّا الجنون والحرب. وقد كان الأمر كله يكمُن في استعادة ما هو لنا، وليس مُعاقَبة المُتطفِّلين. قلتُ بهدوء: «أعتقد أنك يجِب أن تذهبي يا كيم.»

تذمَّرَت ورمَقتْني بنظرةٍ مُخيفة وقالت: «مَن نصَّبَك مسئولًا؟» رأى أصدقاؤها فيما قالته شجاعةً كبيرة وعبَّروا عن ذلك بنظراتهم المُتَّقِدة والضغط القوي على أفخاذِهم مُزدَوَجة المفاصل.

«يمكنك المُغادرة الآن أو لاحقًا يا كيم. ولكن كلما انتظرتِ، ازداد الأمر سوءًا بالنسبة لك ولرصيدك من الووفي. لقد أفسدتِ الأمر، ولم تعودي جُزءًا من القصر بعد الآن. عودي إلى المنزل، اذهبي إلى دِبرا. لا تَبقَي هنا ولا تَعودي مرة ثانية، أبدًا.»

أبدًا، فلتَخرُجي من هذا الشيء الذي تُحبِّينه، الشيء الذي يَستبِدُّ بعقلك، الشيء الذي كُنتِ تعملين من أجله. قلتُ بهدوءٍ وتهديد وأنا بالكاد أسيْطِر على أعصابي: «الآن.»

مَشوا بتُؤَدَةٍ عبر المقبرة وهم يتهامسون بشتائم لاذِعة مُوجَّهة لي. كان لدَيهم الآن الكثير من الموضوعات الجديدة التي يُمكنهم نشرُها على المواقع الإلكترونية المُناهضة لي، والرسائل التي ستُكسِبُهم رصيدًا أكبر من الووفي لدى من يظنُّون أنَّني حُثالة العالَم، وهو ما كان رأيًا سائدًا في تلك الأيام.

خرجتُ من القصر ونظرتُ إلى السلسلة البشرية وتتبعتُها إلى مُقدِّمة القاعة. كان المُتنزَّه قد فُتِحَ منذ ساعة، وكان مجموعة من الزوَّار يُتابِعون ما يدور في ارتِباك. مرَّر أعضاء اللجنة المسئولون عن ساحة الحرية أحمالَهم في حرَجٍ واضح، لَمعرفتهم أنهم يَنتهِكون جميع المبادئ التي يحرِصون عليها.

وبينما كنتُ أشاهِد ما يحدُث، ظهرت ثغَرات السلسلة البشرية؛ إذ كان أعضاء من طاقم العمل يَنسلُّون من الصفِّ بوجوهٍ مُخضَّبة بحُمرة الخَجل والخِزي. في قاعة الرؤساء، كانت دِبرا تُشرِف على عملية نقلٍ مُنظمة لأغراضها؛ إذ كانت مجموعة مَرِحة من أفراد طاقم عملها تعمل على نقلها جميعًا بسرعة خارج المسرح. لم أكن أحتاج للجوء لجهازي اليدوي لأرى ما كان يحدُث لرصيدنا من الووفي.

عُدنا بحلول المساء إلى جدولنا الزمني. أشرَفَ سانيب على نَصْب روبوتات الحضور المرئي عن بُعد الخاصَّة به، وراجعَتْ ليل كلَّ الأنظمة بشكلٍ دقيق ومُفصَّل، على رأس مجموعة من أفراد طاقم العمل الذين تَبِعوها في كلِّ مكان وهم يتحقَّقون من كلِّ شيءٍ مرَّتَين وثلاثًا.

ابتسم لي سانيب حينما لَمَحَني وأنا أنفُض التراب بيدي بالرَّدهة.

قال وهو يُصافِحني: «تَهانِينا يا سيدي. لقد تمَّ العمل ببراعة.»

«شكرًا يا سانيب. لستُ مُتأكدًا من مدى البراعة التي تمَّ بها، ولكننا أتمَمْنا المُهمة وهذا ما يُهِم.»

«شريكاك أكثر سعادةً من أيِّ وقتٍ رأيتُهما فيه منذ بدأ هذا الأمر برمَّته. أعلم شعورهما!»

شريكاي؟ أوه، نعم. دان وليل. ترى كم كانوا سُعداء؟ هل كانا سعيديان كفاية ليعود أحدهما إلى الآخر؟ ساء مِزاجي، على الرغم من أنَّ جُزءًا منِّي كان يُخبِرني أن دان لن يعود إليها أبدًا بعد كلِّ ما مَرَرْنا به معًا.

«أنا سعيد لسعادتك. لم نكن لنفعل الأمر بدونك، ويبدو أننا سنكون مُستعدِّين لإعادة تشغيل القصر في غضون أسبوع.»

«أوه، أعتقِد ذلك. هل ستأتي إلى الحفل الليلة؟»

حفل؟ ربما كان شيئًا يُنظمه أعضاء اللجنة المسئولون عن ساحة الحرية. سأكون شخصًا غير مرغوبٍ فيه بلا شك. فأجبتُه بحذَرٍ قائلًا: «لا أعتقِد ذلك. سأعمل هنا حتى وقتٍ مُتأخِّر على الأرجَح.»

وَبَّخَني لأنني أُرهِق نفسي في العمل بشدَّة، ولكن فورَ أن أدرك أنني لا أنوي الذَّهاب إلى الحفل تحت تأثير الضغط، ترَكني وذَهَب.

وهكذا بقيتُ في القصر حتى الساعة الثانية صباحًا، وفي صباح اليوم التالي غلَبَني النُّعاس في غرفة استراحةٍ خلف الكواليس حينما سمِعتُ ضجَّةً آتِية من الرَّدهة. كانت أصواتًا احتفالية صاخِبة تُشِعُّ بالسعادة، واعتقدتُ أن أعضاء اللجنة المسئولين عن ساحة الحرية قد عادوا من حفلهم.

أجبرتُ نفسي على النهوض ودخلتُ الرَّدهة.

كانت كيم وأصدقاؤها هناك، يدفعون شاحناتٍ يدوية تحمِل عدَّة دِبرا. تأهَّبتُ للصياح فيهم بأشياء مُريعة حينما دخلَتْ دِبرا. خفَّفتُ الصياح إلى مُجرَّد نبرةٍ انفعالية وفتحتُ فمي لأتحدَّث ثم توقَّفت.

كان والدا ليل يَقِفان خلف دِبرا بعد سنواتٍ طويلة من قُبوعِهما مُتجمِّدَين داخل أوعِيَتِهما الكانوبية في كيسيمي.

الفصل التاسع

دخل والدا ليل الأوعية الكانوبية دون حفل وداعٍ كبير. رأيتُهما قُبَيل دخولهما فيها مُباشرة حينما مرَّا بمنزلي أنا وليل ليُقبِّلاها قُبلة الوداع ويتمنَّيا لها حظًّا طيبًا.

بينما كانت ليل ووالدتُها تُودِّعُ إحداهما الأخرى بمرَحٍ مُوجِع وأدَبٍ وقفتُ أنا وتوم جانبًا في ارتِباك.

حدَّثتُ توم قائلًا: «إذن، لقد قرَّرتُما تعليق حياتكما مؤقَّتًا.»

رفع أحدَ حاجِبَيه قائلًا: «أجل. لقد أخذتُ النُّسخة الاحتياطية هذا الصباح.»

قبل أن يأتيا ليُودِّعا ابنتَهما، أخذا نُسَخَهما الاحتياطية، وبعدما يَستيقِظان، سيكون هذا الحدَث وكل الأحداث التي تلَتْ عملية النَّسخ الاحتياطي، كأنها لم تحدُث على الإطلاق بالنسبة لهما.

يا إلهي! لقد كانا وَغدَين!

سألته مُحافِظًا على التعبير الهادئ الذي يتَّسِم به أفراد طاقم العمل مُخفِيًا اشمئزازي بعناية: «متى ستعودان؟»

«سنأخُذ عيناتٍ شهريًّا، مُجرَّد مُلخَّصٍ بالأحداث سيُفرَّغ في ذاكرتنا. حينما تبدو الأمور مُثيرةً للاهتمام بما يكفي، سنعود مرَّة أخرى.» ولوَّح بإصبَعِه في وَجهي قائلًا: «سأراقِبُك أنت وليليان، عامِلْها بلُطف. هل سمِعت؟»

أجبتُ قائلًا: «سنفتَقِد وجودكما هنا بكلِّ تأكيد.»

قال مُتأفِّفًا: «لن تُلاحِظ حتى غيابَنا. هذا عالَمُكم الآن، نحن فقط نبتعِد عن الطريق لفترةٍ من الوقت لنُتيح لكم الانطلاق نحوَ التحدِّيات. لم نكن لننسَحِب لو لم يكن لدَينا إيمان بقُدراتِكما.»

قبَّلتْ ليل ووالدَتُها إحداهما الأخرى لمرَّةٍ أخيرة. كانت والدتُها أكثر عاطفية من أيِّ وقتٍ مضى، حتَّى إنَّ عَينَيها أدمعتا قليلًا. هنا، في هذه اللحظة التي يتلاشى فيها الوعي، كان يُمكنها أن تكون أيَّ شخصٍ تريد؛ إذ إنها تعلم أنها حينما تستيقظ في المرة التالية، لن يُهِمَّ الأمر.

قالت وهي تأخُذ يَديَّ وتَعتصِرُهما: «جوليوس، ثَمَّةَ أوقاتٌ رائعة في انتظارك؛ فما بين ليل والْمُتنزَّه ستَحظى بتجربة رائعة، أنا أعلم ذلك يَقينًا.» كانت هادئة وحَنونةً بلا حدود، وكنتُ أعلم أن ذلك لا يُعَوَّل عليه.

استقلَّا سيارتَهما وهما لا يزالان يبتسِمان وانطلقا بعيدًا ليأخُذا الحُقنة القاتلة، ليصيرا مُجرَّد وعيٍ هائم بلا جسد، ويَفقِدا آخر لحظاتٍ قَضَياها مع ابنتِهما العزيزة.

لم يكونا سعيدين بعودتِهما من الموت. كانت أجسادُهما الجديدة يافِعة وبالِغة ومليئة بالهرمونات وكئيبة بشكلٍ لا يُصدَّق، ومُصمَّمة وفقًا لأحدث صيْحات الموضة. وفي صُحبة كيم وزملائها، كوَّنوا جميعًا كُتلة صُلبة من جوِّ المُراهَقة المشحون بالغضب.

دفعتْني ريتا بقوَّةٍ في صدري وسألتْني قائلة: «ماذا تظنُّ نفسك فاعلًا بحقِّ الجحيم؟» تراجعتُ إلى الوَراء وهوَيتُ وسط غُباري المُتناثِر بعناية، مُثيرًا سحابةً من الغُبار.

لاحقتْني ريتا ولكن توم منعها وقال: «اذهب بعيدًا يا جوليوس. أفعالك لا يُمكن تبريرُها على الإطلاق. أبقِ فمك مُطبَقًا واذهب بعيدًا.»

رفعتُ يدي وحاولتُ تجاهُل كلامه وفتحتُ فمي لأتحدَّث.

سبقَني قائلًا: «لا تنطِق بكلمةٍ واحدة. اذهبِ الآن.»

قالت كيم وقد ارتسَمَتْ على وجهها نظرة شرِّيرة: «لا تبقَ هنا ولا تعُد مرَّة أخرى، أبدًا.»

قلت: «لا، لا بحقِّ الجحيم، لا. ستسمَعون ما سأقوله ثُمَّ سأذهب لإحضار ليل وأتباعِها وسيدعمونني. هذا أمر غير قابلٍ للتفاوُض.»

حدَّق بعضنا في بعض عبر الرَّدهة المُظلِمة. عبثَتْ دِبرا بشيءٍ ما فأضاءت الأنوار بالكامل وبقوة. تلاشى الظلام المُصمَّم بحِرفِية لتُصبِح مُجرَّد غرفة مُترِبة بها مِدفأة زائفة.

قالت دِبرا: «دَعُوه يتحدَّث.» عقدَتْ ريتا ذِراعَيها ورمقتْني بنظرةٍ غاضبة.

قلتُ رافعًا رأسي وأراقِبهم: «لا يُمكنني تبرير تلك الأفعال، ولا أطلُب منكم أن تَغفروها، ولكن هذا لا يُغيِّر من حقيقة أننا قد وضعنا قلوبنا وأرواحنا في هذا الرُّكن من العالَم ولا

يَصِحُّ أن تأخذوه منَّا. ألا يُمكن أن نَحتفِظ بمكانٍ واحدٍ ثابتٍ مُستقرٍّ في هذا العالم، مكان نَقي يَظلُّ كما هو للأشخاص الذين يُحبُّونه على هذه الشاكلة؟ لماذا يعني نَجاحُكم فَشَلَنا؟ ألا تَرَون أنَّنا نواصِل عملكم؟ أنَّنا نرعى الإرثَ الذي تركتموه لنا؟»

سألتْ ريتا: «هل انتهيت؟»

أومأت.

أردفتْ قائلة: «هذا المكان ليس مَحميَّةً تاريخية يا جوليوس. إنه لُعبة. وإذا كنتَ لا تفهَم ذلك، فأنت في المكان الخاطئ. ليس خَطَئي أنك قد قرَّرْتَ أن ينوب غباؤك عنِّي، وهو ما لا يجعل الأمر أقلَّ غباءً. كلُّ ما فعلتُه هو تأكيد أسوأ مَخاوِفي.»

سقط قِناع الحِيادِيَّة الذي كانت ترتديه دِبرا وقالت بنعومة: «يا لك من غَبيٍّ وأحمق مُضلِّل، تترنَّحُ جَيئة وذهابًا شاكيًا باكيًا حادثة مَقتلِك التافِهة ومشاكلك الصحية التافِهة — نعم سمعتُ بها — وولَعَك التافِه بالإبقاء على الأشياء كما هي. أنت تحتاج إلى منظورٍ جديد يا جوليوس. أنت بحاجةٍ للابتِعاد عن هنا: عالم ديزني لا يُناسِبك ولا شكَّ أنك لا تُجديه نَفعًا أيضًا.»

كان الأمر سيُصبِح أقلَّ إيلامًا لو أنَّني لم أتوصَّل إلى نفس النتيجة بنفسي في وقتٍ ما عبرَ الطريق.

وجدتُ أعضاء فريق العمل بمُخيَّم حِصن البرية يجلسون حول النار ويُغنُّون ويتعانقون ويضحكون. إنه حفل الانتصار. دخلتُ إلى الدائرة بتثاقُلٍ بحثًا عن ليل.

كانت تجلس على قِطعة حطبٍ تُحدِّق بالنيران في شُرودٍ تام. يا إلهي! بدَتْ جميلةً وهي قَلِقة. وقفتُ أمامها هُنيهة، وكانت تُحدِّق خلالي مباشرة حتى نقرتُ على كتِفها. أطلقَتْ صيحةً قصيرة حادَّة لا إراديًّا ثُمَّ ضحكتْ على نفسها.

قلت: «ليل.» ثم توقَّفْت. أردتُ أن أقول: لقد عاد والداك وانضمَّا إلى الجانب الآخَر.

نظرَتْ إليَّ بوَداعةٍ لأول مرَّةٍ منذ وقتٍ طويل جدًّا حتى إنها ابتسمَتْ. ربَّتَتْ على قطعة الشجر التي بجانبها في إشارة لي بالجلوس. فجلستُ وشعرتُ بحرارة النار على وَجهي وبِحرارة جسدِها إلى جانبي. يا إلهي! كيف أفسدتُ هذا الأمر؟

وضعَتْ ذِراعيها حولي واحتضنَتْني بقوَّةٍ دون سابِق إنذار، فاحتضنتُها بدَوري. واضِعًا أنفي في شعرها، لأستنشِق رائحةَ دُخان الخشب المَحروق والشامبو والعرَق؛ هَمَسَتْ بحماس: «لقد نجحْنا.» ولكن في داخلي كنتُ أقول: لا لمْ نفعل.

تراجعْتُ للوراء ثم قلتُ مرةً أخرى: «ليل.»
قالت وعيناها تلمَعان: «ماذا؟» كانت ثَمِلة؛ انتبهتُ إلى ذلك الآن.
«لقد عاد والداك. لقد قَدِما إلى القصر.»
كانت تبدو مُرتبِكة ومُنكمِشة. ولكنِّي واصلتُ الضغط.
«إنهما مع دِبرا.»
سقطتْ إلى الخلف وكأنِّي صفعتُها.
«لقد أخبرتُهما أنني سأُحضِر المجموعة كلها لنُناقِش الأمر.»
طأطأت رأسَها واهتزَّ كتِفاها، ووضعتُ ذِراعي حولَها بتردُّد، فأزاحَتْها بعيدًا وجلسَت. كانت تبكي وتضحك في الوقت نفسه وقالت: «سأجعلهم يُرسِلون عبَّارة.»

جلستُ في مؤخِّرة العبَّارة مع دان بعيدًا عن أعضاء طاقم العمل الغاضبين المُرتبِكين. كنتُ أُجيب على أسئلته بإجابات مُقتضَبة لا تتجاوَز الكلمة الواحدة ما جعله يَستسلِم. جلسنا صامِتين، في حين كانت الأشجار الواقِعة على حَوافِّ بُحيرة البحار السبعة تتمايَل بعُنف للأمام وللخلف وكأنَّ عاصفةً على وشْك الهُبوب.

اتَّخذ عضو فريق العمل المسئول عن القيادة طريقًا مُختصرًا عبر موقف انتظار السيارات الغربي وقطَع شوارع الأرض الحدودية الهادئة بقلقٍ وكأنه مَوكب جنائزي جعل مُوظفي الحراسة الليلية يتسمَّرون في أماكنهم.

حينما اقتربْنا من ساحة الحرية، رأيتُ أضواء العمل مُتوهِّجة وكانت مجموعات عمل كبيرة من أعضاء طاقم عمل دِبرا تتنقَّل من القاعة إلى القصر، يُصلحون ما أفسدْناه في عملهم.

كان توم وريتا والِدا ليل يَعملان معهم جنبًا إلى جنب، مُشمِّرين أكمامهما وقد برزت من سواعِدِهما العضلات الجديدة المشدودة. تسمَّرتِ المجموعة في مكانها وذهبتْ ليل إليهما وتعثَّرت في الرصيف الخشبي.

توقعْتُ مُعانقات، ولكن لم يكن ثَمَّةَ أيٌّ منها. وبدلًا من ذلك وقف الوالدان والابنة يُحدِّق بعضهم إلى بعض ويُعدِّلون وضعَ أجسادِهم ليتتبَّع بعضهم بعضًا مُحافِظين على مسافةٍ كبيرة ثابتة بينهم.

قالت ليل أخيرًا: «ماذا تفعلون بحقِّ الجحيم؟» لم تُخاطِب أُمَّها وهو ما فاجأني، ولكنه لم يُفاجئ توم.

خطا إلى الأمام وكان صوت تبديل قدمَيْه عاليًا في الليل الهادئ، وقال: «نحن نعمل.»

قالت ليل: «لا، إنكم لا تعملون. إنكم تُدمِّرون، توقَّفوا عن ذلك.»

تقدَّمَت والدة ليل لتقِفَ إلى جانب زَوجها ولم تقُل أيَّ شيء، مُكتفِيةً بالوقوف هناك.

رفع توم الصندوق الذي كان يحمِله دون أن ينبِس ببِنت شفة واتَّجه نحو القصر. أمسكَتْ ليل بذِراعه وأخذتْ تَهزُّها حتى وقَع منه الصندوق على الأرض.

«ألا تَسمع؟ القصر مِلكنا. توقَّف عن ذلك.»

أخذَتْ ريتا يدَ ليل بِحنانٍ وأزاحَتْها بعيدًا عن ذِراع توم وأمسكتْها قائلة: «أنا سعيدة بشغَفك للأمر يا ليليان. أنا فَخورة بالتزامِك.»

حتى وأنا على بُعد عشر ياردات منها تمكنْتُ من سَماع بكاء ليل المُختنِق، ورأيتُها تنهار. أخذَتْها أُمُّها بين ذِراعيها وأخذَت تُهدهِدها. شعرْتُ وكأنَّني مُتلصِّص، ولكنَّني لم أستطعْ أن أُشيح بوجهي بعيدًا.

قالت الأم بصوتٍ هامِسٍ يتماشى مع صوت حَفيف الأوراق على شجرة الحرية: «اهدئي، اهدئي، ليس بالضرورة أن نكون على نفس الجانب كما تعلمين.»

تعانَقَتا طويلًا دون حَراك. انتصبَتْ ليل واقفةً ثم انحنتْ مرةً أخرى والتقطتْ صندوق أبيها وحمَلَتْه إلى القصر. وتقدَّم باقي أعضاء طاقم العمل التابِع لها واحدًا تلوَ الآخَرِ إلى الأمام وانضمُّوا لهم.

هكذا يصِل المرء إلى الحضيض. تستيقظ في غرفة صديقك بالفندق وتُشغِّل جهازك اليدويَّ ولكنه يرفض تسجيل الدخول، تضغط على زرِّ استدعاء المِصعد فيُصدِر لك أزيزًا غاضبًا في المُقابل، تصعَدُ الدَّرَج لتتَّجِه إلى الرَّدهة فلا ينظر إليك أيُّ شخصٍ وهم يَصطدِمون بك أثناء مُرورِهم إلى جانبك.

باختصارٍ تَصير نَكِرة.

كنتُ خائفًا ومُرتجِفًا حين صعدتُ الدَّرَج إلى غرفة دان وطرقتُ الباب بشكلٍ أعنفَ وبصوتٍ أعلى ممَّا كنتُ أقصد، طرقةً مذعورة.

فتح دان الباب ورأيتُ عينَيه تتحوَّلان لفحْص شاشته الذهنية ثم عاد ونظر إليَّ مرة أخرى وقال: «يا إلهي!»

جلستُ على حافَةِ سريري ووضعتُ رأسي بين يدَي.

قلت: «ماذا؟ ماذا حدَث؟ ماذا حدَث لي؟»

أجاب: «لم تعُد جُزءًا من اللجنة المسئولة ولا من نِظام الووفي. لقد بلغتَ الحضيض تمامًا.»

هكذا يصِل المرء إلى الحضيض في عالم والت ديزني، يَسكن فندقًا يَسمَع فيه صفير القِطار الكهربائي المُعلَّق وتَنْسلُّ عبر نافِذته أشعَّةُ الشمس، وحرارة المُحرِّكات البُخارية التي تسير على السكك الحديدية والعُواء البعيد لصوتِ الذئاب المُسجَّل القادِم من القصر المسكون. يتلاشى العالم تدريجيًّا ويتراجَع حتى لا تُصبِح إلَّا بُقعة صغيرة، ذرَّة غُبار في قلبِ العَتمة.

كنتُ أتنفَّس بصعوبةٍ وأشعُر بالدُّوار. أبطأتُ من تنفُّسي عَمْدًا ووضعتُ رأسي بين رُكبَتَيَّ حتى ذهبَ الدُّوار.

قلت: «خُذني إلى ليل.»

وبينما كُنَّا نقود معًا، وكان دان يُشعِل السيجارة تلوَ الأخرى وينفُث دُخانها في وجهي، تذكرتُ الليلة التي أتى فيها إلى عالَم ديزني حينما أوصلتُه بسيارتي إلى مَنزلي — منزل ليل — وكم كنتُ سعيدًا ومُطمَئنًّا في ذلك الوقت.

نظرتُ إلى دان وربَّتَ هو على يدي قائلًا: «إنها أيام غريبة.» كان هذا كافيًّا. وجدْنا ليل في إحدى غُرَف الاستراحة تحت الأرض وكانت غافِيةً بهدوءٍ على أريكةٍ مُهلهَلة. كان رأسها مُستريحًا على حِجر توم وقدَماها على حِجر ريتا. غطَّ ثلاثتُهم في النَّوم مُصدِرين شخيرًا هادئًا، بعد ليلةٍ طويلة مُرهِقَة.

هزَّ دان ليل حتى استيقَظَت. تَمطَّتْ وفتحت عينَيها ونظرَت إليَّ بنُعاس، فشحَب وجهُها.

قالت بفتور: «مرحبًا يا جوليوس.»

كان توم وريتا قد استيقظا أيضًا في تلك اللحظة. ونهضت ليل.

سألتُ بهدوء: «هل كنتِ ستخبرينَني؟ أم فقط كنتِ ستطرُدينَني وتتركينَني أكتشِف الأمر بنفسي؟»

أجابت: «كنتَ محطتي التالية.»

جذبتُ كرسيًّا وأردفتُ قائلًا: «إذن فقد وفَّرتُ عليكِ بعض الوقت. أخبِريني بالأمر كلِّه.»

ردَّتْ ريتا في غضبٍ قائلة: «ليس هناك ما يُقال، أنت مَطرود. كان عليك أن تعلم أنَّ هذا هو ما سيحدُث، بربِّك، لقد كنتَ تُدمِّر ساحة الحرية!»

سألتُها وأنا أصارِع من أجل الحِفاظ على هدوئي: «كيف تعرفين ذلك؟ لقد كنتِ نائمةً لعشر سنوات!»

ردَّت ريتا: «لقد كنَّا نحصُل على تحديثات، ولهذا السبب عُدنا، لم يكن من المُمكن أن ندَع الأمور تستمرَّ على ما كانت عليه. ونُدين بذلك إلى دِبرا.»

قال توم: «وليليان.»

قالت ريتا دون تفكير: «وليليان.»

جذَب دان لنفسه مقعدًا وقال: «أنتِ لستِ مُنصِفة حِيالَه.» على الأقلِّ كان هناك شخصٌ يُسانِدني.

قالت ليل: «لقد كُنَّا أكثرَ من مُنصِفين، وأنت تعلم ذلك أكثر من أيِّ شخصٍ يا دان. لقد غفرْنا له مرةً واثنتَين وثلاثًا، والتَمَسْنا جميع الأعذار. إنه مريض ويرفُض تناوُلَ العِلاج. لا يُمكِننا أن نفعل أيَّ شيءٍ له أكثر مما فعلنا.»

ردَّ دان: «كان يُمكنك أن تكوني صديقته.» أصابَني الدُّوار مرةً أخرى وتَهاويتُ في مقعدي مُحاولًا التحكم في تنفُّسي وفي دقَّات قلبي المذعورة.

«كان يُمكنك أن تُحاولي تفهُّم الأمر، أن تُحاوِلي مُساعدَتَه. كان يُمكنك أن تُسانِديه كما ساندْتِني. لا داعيَ لأن تَطردُيه بهذه القَسوة.»

كان لدى ليل من الأخلاق ما جعلها تبدو شاعِرةً بالقليل من الخِزي، فقالت: «سأحصُل له على غرفة لمدَّة شهر في كيسيمي، بأحد الفنادق الصغيرة. سأستعيد له إمكانية الوُلوج إلى شبكته. هل هذا مُنصِف؟»

قالت ريتا: «إنه أكثرُ من مُنصِف.» لماذا كانت تكرهُني كلَّ هذا الكره؟ لقد كنتُ بجوار ابنتِها ولم تكن هي موجودة، آه. ربَّما يفي ذلك بالغرَض، حسنًا. «لا أعتقِد أنَّ هذا مكفول. يُمكنك الاهتمام به يا سيِّدي إن شِئت، ولكن هذا ليس من شأن عائلتي.»

تَوهَّجت عَينا ليل وقالت: «دَعوني أتولَّ الأمر. اتَّفَقْنا؟»

وقفتْ ريتا فجأةً وقالت: «افعلي ما تُريدين.» واندفعَتْ خارجةً من الغرفة بغضب.

قال توم الذي كان دَومًا صوت العقل: «لمَ أتيتَ هنا لطلَبِ المُساعَدة؟ تبدو مُؤهَّلًا لذلك بما يكفي.»

ردَّ دان: «سآخُذ حُقنةً قاتِلة في نهاية الأسبوع، بعد ثلاثة أيام. إنه أمرٌ شخصي، ولكنك سألت.»

هزَّ توم رأسه. كان واضحًا لي أنه كان يقول لنفسه: إنَّ لدَيك أصدقاء حقيقيِّين يَهتمُّون بك؟

سألتْ ليل بغُصَّة: «بهذه السرعة؟»

أومأ دان.

وقفتُ كأني داخل ضجَّةٍ في حُلمٍ وتجوَّلتُ بالخارج في أنفاق المرافق وعبر ساحة انتظار السيارات الغربية المُخصَّصة لأعضاء طاقم العمل، ثم انصرفت.

تجوَّلتُ عبر لعبة جولة حول العالم المهجورة المرصوفة بالأحجار، على كلِّ حجرٍ حُفِر اسم عائلة من العائلات التي زارتِ المُتنزَّه قبل قرنٍ من الزمان. مرَّتِ الأسماء أمامي كنُقوشٍ على شواهِد القبور.

كانت شمس الظهيرة قد انتصفَت كَبِد السماء وكنتُ أدور حول مُنحنى الشاطئ المَهجور الذي يقَع بين مُنتجَع جراند فلوريديان وبولينيزيان. كنتُ أنا وليل نتردَّد كثيرًا على هذا المكان لنُشاهد غروب الشمس من أرجوحة شبَكيَّة مُعلقة يُطوِّق كلٌّ منَّا الآخَرَ بذِراعَيه، ويمتدُّ المُتنزَّه بطوله أمامنا كأنه قرية لُعبة مُضاءة.

كان الشاطئ الآن مهجورًا وجناح الزفاف صامتًا. شعرتُ بالبرد فجأةً على الرغم من أنَّني كنتُ أتصبَّبُ عرَقًا بغزارة. كان بردًا شديدًا.

سرتُ في البُحيرة، وكأنِّي في حُلم، والمياه تملأ حِذائي وتُثقِل سِروالي؛ كانت دافئة بدرجة حرارة الجسم، دافئةً على صدري، وعلى ذَقني، وعلى فمي، وعلى عينيَّ.

فتحتُ فمي واستنشقتُ بعُمق، حتى ملأ الماء رِئتي، شاعرًا بالاختِناق والدِّفء في آنٍ واحد. بصقتُ في البداية، ولكنَّني كنتُ مُتحكِّمًا في الأمر الآن، واستنشقتُ مرة أخرى. لمعت المياه على عيني، ثم حلَّ الظلام.

استيقظتُ على سرير الدكتور بِيت بالمَملكة السحرية والقيود تُكبِّل مِعصمي وكاحلي وأنبوب في أنفي. أغلقتُ عَينيَّ للحظةٍ ظانًّا أنني قد استُرجِعتُ من النسخة الاحتياطية وحُلَّت جميع المشاكل وذهبَتِ الذكريات طيَّ النسيان.

أدماني الحُزن حينما أدركتُ أن دان ربما كان مَيتًا الآن وذهبَتْ ذكرياتي معه إلى الأبد بلا رجعة.

أدركتُ تدريجيًّا أنني كنتُ أفكر على نحوٍ غير منطقي. فقد كانت حقيقة أنَّني تذكرتُ دان تَعني أنني لم يُعَد تحميلي من نُسختي الاحتياطية، وأن عقلي الخَرِب لا يزال موجودًا، يتحرَّك في اضطِراب في عُزلة.

سعلتُ مرةً أخرى فآلَتْني ضُلوعي وأخذَتْ ترتجِف بتناغُمٍ مع دقَّات رأسي، فأمسك دان بِيدي.

قال مُبتسمًا: «أنت مَصدر متاعِب. أتعلَم ذلك؟»

قلتُ مُختنقًا: «آسِف.»

أجاب: «بالطبع أنت كذلك. من حُسن حظِّك أنهم عَثروا عليك، لو كانوا قد تأخَّروا دقيقةً أو اثنتين لكنتُ أدفنُكَ الآن.»

فكرتُ في نفسي مُرتبكًا: لا. كانوا سيسترجِعونَني من النُّسخة الاحتياطية. ولكنَّني تذكرتُ فجأة أنني قد سجَّلتُ رفضي رسميًّا للاسترجاع من النُّسخة الاحتياطية، بعد التَّوصية باللجوء إليه من قِبَل طبيب مُتخصِّص، وبالتالي لم يكن أيُّ شخصٍ سيسترجِعُني. كنتُ سأصير مَيتًا حقًّا وبلا رجعة. بدأت أرتعِد.

قال دان: «هوِّن على نفسك. اهدأ. كل شيء على ما يُرام الآن. يقول الطبيب إن ضِلعًا أو اثنَين قد انكَسَرا جرَّاء عملية الإنعاش القلبي الرئوي، ولكن لا يُوجَد تلَفٌ دِماغي.»

ظهر الدكتور بِيت في مجال رؤيتي وقال على سبيل التصحيح: «لا يُوجَد تلف دِماغي إضافي.» ارتسم على وجهه ذلك التعبير المِهَني الهادئ المُفترَض عند التعامُل مع المرضى وهو ما طمأنَني، رغمًا عنِّي.

صرَف دان بعيدًا واتَّخذ مقعده، وبمُجرَّد مُغادَرة دان للغرفة أضاء أنوارًا في عيني وتفحَّص أذُني، ثم جلس مرَّةً أخرى ونظر لي مليًّا. «حسنًا يا جوليوس، ما المُشكلة بالضبط؟ يُمكننا أن نُحضِر لك حُقنة قاتلة إذا كان هذا ما تُريده، ولكن إغراق نفسك بِبُحيرة البحار السبعة ليس مقبولًا. في الوقت نفسه، هل ترغَب في التحدُّث عن الأمر؟»

كان جزءٌ منِّي يرغَب في البصق في وجهه. لقد حاولتُ التحدُّث عن الأمر بالفعل وقال لي أن أذهب إلى الجحيم، والآن يُغيِّر رأيه؟ ولكنَّني كنتُ أرغب حقًّا في الكلام.

قلت: «لم أكن أريد أن أموت.»

ردَّ قائلًا: «أوه لا! أعتقِد أن الأدلَّة تُفيد بعكس ما تقول.»

اعترضتُ قائلًا: «لم أكن أُحاوِل أن أنهيَّ حياتي. لقد كنت ...» ماذا؟ لقد كنتُ أحاول ... الهروب. الهروب من الخضوع لعملية إعادة التحميل دون اختيار، ومن فُقدان ذِكريات آخِر سنةٍ من حياة صديقي المقرَّب. كنتُ أحاوِل إنقاذ نفسي من الحُفرة النَّتِنة التي دُفِنت فيها دون أن أَمْحُوَ دان معها. هذا كلُّ شيء، هذا كل شيء.

«لم أكن أفكر، كنتُ أتصرَّف فحسْب. كانت نوبةً أو ما شابه. هل هذا يعني أنني مجنون؟»

ردَّ الدكتور بيت دون تفكير: «ربما، ولكن دَعْنا نقلَقُ حِيال كلِّ شيء على حِدة. يُمكنك أن تموت إذا كنتَ ترغب في ذلك، هذا حقك. أما إذا كنتَ تريد معرفة رأيي، فأنا أُفضِّل أن تظلَّ على قيد الحياة، وأعتقِد أنني الشخص الوحيد الذي يُفضِّل ذلك. إنها نقاط الووفي اللعينة. إذا كنتَ ترغب في أن تظلَّ على قيد الحياة، فأنا أودُّ أن أُسجِّل هذا فقط من باب الاحتِياط. لدَيْنا نُسخة احتياطية منك مُسجَّلة بالمَلف، سأكرَهُ أن أمحُوَها.»

أجبت: «أجل، أجل، أودُّ أن أُستَرجَع إذا لم يكن يُوجَد أي خيار آخر.» كان هذا صحيحًا؛ فلم أكن راغبًا في الموت.

قال الدكتور بيت: «حسنًا إذن، إنها موجودة بالملفِّ وأنا سعيدٌ بذلك. والآن، هل أنت مجنون؟ ربما، قليلًا. ولكنه ليس شيئًا يَستعصي حلُّه على جلسات المَشورة النفسية وعملية الإزالة وإعادة التثبيت، إذا كنتَ تُريد رأيي. يُمكنني أن أجِدَ لك مكانًا ما إذا كنتَ ترغَب.»

أجبتُ قائلًا: «ليس بعد. أُقدِّر عرضك، ولكنَّ ثمة شيئًا آخر لا بدَّ أن أفعله أولًا.»

أعادَني دان إلى الغُرفة مرة أخرى ووضعني بالسرير وعلى بشرتي لاصقة تحتوي على مُنوِّم ينتقَّل عبر الجلد جَعلتني أفقِد الوعي لباقي اليوم. وحينما استيقظت، كان القمر ساطعًا فوق بُحيرة البحار السبعة وكان القِطار الكهربائي المُعلَّق صامتًا.

وقفتُ بالشُّرفة لبعض الوقت وأنا أفكر في كلِّ الأشياء التي كان يَعنيها لي هذا المكان لأكثر من قرنٍ من الزمان: السعادة، والأمان، والجدارة، والخيال. ذهب كل هذا أدراج الرياح. قد حان الوقت لأترُك المكان. ربما سأعود إلى الفضاء، وأعثُر على زِدْ وأرى إذا كنتُ سأتمكن من إسعادها مرة أخرى. أي مكان دون هذا. بمجرَّد موت دان — يا إلهي! أخيرًا بدأت أستوعِب الأمر — يُمكنني أن أستقلَّ إحدى الألعاب المُتَّجهة إلى كاب لتناوُل الغداء.

«فيم تفكر؟» هكذا سألني دان وهو يقِف خلفي، فجفَلْت. كان يرتدي ملابسه الداخلية ويبدو رفيعًا مَمشوق القوام ومُشعِرًا.

«أفكر في الرحيل.»

ضحك بصوتٍ خافتٍ قائلًا: «كنتُ أفكر في فِعل الشيء نفسه.»

ابتسمت: «لا ليس بهذه الطريقة، فقط أفكر في الانتِقال إلى مكانٍ آخر، والبدء من جديد والابتِعاد عن كلِّ هذا.»

«هل ستقوم بعملية إعادة التحميل؟»

أشحتُ وَجهي بعيدًا قائلًا: «لا، لا أعتقِد أنني سأفعل.»

قال: «قد لا يكون الأمر من شأني، ولكن لماذا لا بحقِّ الجحيم؟ يا إلهي يا جوليوس! ممَّ تخاف؟»

«لستَ بحاجةٍ لأن تعرِف السبب.»

«سأحكم أنا على ذلك.»

«دعنا نحتسِ شرابًا أولًا.»

أدار دان عينَهُ لوهلةٍ مُستنكرًا ثم قال: «حسنًا، سأُحضِر زُجاجتَين من الكورونا.»

بعد أن غادر الروبوت المعني بخِدمة الغُرف، فتحْنا زجاجات الجِعة وجذبْنا كرسِيَّين إلى الشُّرفة.

سألتُه قائلًا: «هل أنت مُتأكِّد من أنك ترغَب في معرفة هذا؟»

أمال زجاجته نحوي وقال: «بالطبع.»

«لا أرغب في القيام بعملية إعادة التحميل؛ لأن هذا يعني فُقدان آخِر سنة.»

أومأ قائلًا: «تقصِد آخر سنة من حياتي أنا. أليس كذلك؟»

أومأتُ واحتسيتُ الشراب.

«اعتقدتُ أنَّ الأمر كذلك. أنت شخصية مُركَّبة يا جوليوس، ولكن من الصعب معرفة أنك لستَ كذلك. لديَّ شيء لأقوله لك قد يُساعِدك على اتِّخاذ القرار. إذا كنتَ تُريد سَماعه، فليكن.»

ما الذي قد يقوله؟ «بالطبع.» هكذا قلتُ وفي خيالي كنتُ قد استقللتُ بالفعل مكوكًا مُتَّجِهًا إلى الفضاء بعيدًا عن كل هذا.

قال: «لقد قتلتُك، طلبتْ دِبرا مِنِّي ذلك ودبَّرْتُ أنا الأمر. لقد كنتَ محقًّا طوال الوقت.»

انفجر المكوك في صمتٍ وتحرَّك ببطءٍ في الفضاء وانحرفتُ بعيدًا عنه. فتحتُ فمي وأغلقتُه.

كان دَور دان ليُشيح بوجهه بعيدًا: «دِبرا هي من اقترَح ذلك. كنا نتحدَّث عن الناس الذين قابلتُهم حينما كنتُ أقوم بعملي التبشيري، المَهووسين بالعالم القديم الذين كان عليَّ أن أطرُدَهم بعد أن عادوا للانضمام إلى مجتمع الروعة. تَبِعَتني واحدة منهم، فتاة من جبل الشايان، حتى هنا وظلَّتْ تترُك لي العديد من الرسائل. أخبرتُ دِبرا وحينئذٍ واتَتْها الفكرة.

كانت الفكرة أن أُحضِر الفتاة لتُطلِق النار عليك ثم تختفي، على أن تُعطيَني دِبرا أكداسًا من نِقاط الووفي، ويَحذو فريقها حذْوَها، وبذلك أختصِر أشهرًا وأقترِب من هدَفي. لم يكن بإمكاني التفكير في شيءٍ آنذاك إلا ذلك، حسبما تتذكر.»

أجبت: «أتذكر.» رائحة التجدُّد واليأس في منزِلنا الريفي الصغير، ودان يتآمَر لقتْلي.

«خطَّطنا للأمر، ثم خضعَتْ دِبرا لعملية إعادة تحميل من نُسختِها الاحتياطية، فلم يعُد ثمَّةَ ذكرى للحدَث غير نقاط الووفي التي حصلتُ عليها.»

أجبت: «نعم.» خُطة ناجحة: تُخطِّط لجريمة قتل، تقتُل نفسك، ثم تُعيد تحميل نفسك من نُسخة احتياطية صُنِعت قبل إعداد الخُطة. كم مرةً فعَلَت دِبرا أشياء بَشِعة ثم مَحتْها من ذاكرتها بتلك الطريقة؟

وافقَني قائلًا: «أجل. نحنُ من فعلناها، أشعُر بالخِزي وأنا أقول ذلك. يُمكنني إثبات الأمر أيضًا؛ لديَّ نُسختي الاحتياطية، ويُمكنني أن أُحضِر جانين لتَروي ما حدَث أيضًا.» واحتسى جِعته ثم أردف قائلًا: «هذه خُطتي. غدًا سأُخبِر ليل وذَويها وكيم ورِفاقها، وجميع أعضاء اللجنة؛ هدية وداعٍ من صديق سيئ.»

كان حَلقي جافًّا وكأن عضلاته مشدودة. احتسيتُ المزيد من الجِعة وقلت: «كنتَ تعلم ذلك طوال الوقت، وكان يُمكنك أن تُثبِته في أيِّ وقتٍ تشاء.»

أومأ قائلًا: «هذا صحيح.»

«لقد تركتني ...» كنتُ أبحث عن الكلمات المُناسِبة، «لقد تركتْني أتحوَّل إلى ...» ولكن لم تواتِني.

أجاب قائلًا: «نعم فعلت.»

طوال هذا الوقت. كان هو وليل، يقِفان في شُرفتي، يُخبرانني أنني أحتاج إلى المساعدة. والدكتور بيت يُخبرني أنني أحتاج إلى إعادة تحميلي من نُسخة احتياطية، وأنا أرفُض ذلك تمامًا؛ لأنني لم أرغَب في أن أفقِد آخر سنةٍ قضيتُها مع دان.

قال دان: «لقد فعلتُ العديد من الأشياء السيئة في حياتي، ولكن هذا أسوَؤها على الإطلاق. لقد ساعدْتَني وأنا خُنتُكَ. أنا مُمتَنٌّ حقًّا لأنني لا أومِن بالله، كان ذلك سيجعل ما أنا مُقدِمٌ على فعله أكثر رُعبًا.»

كان دان سيقتُل نفسه في غضون يَومين. صديقي وقاتلي. قلتُ بصوتٍ أجش: «دان.» لم أقوَ على فَهْم ما يدور بعقلي. إن دان يرعاني، ويُساعِدني، ويُدافع عنِّي، ويحمل هذا

الشعور المُريع بالعار معه طَوال هذا الوقت، وهو الآن يتأهَّب للمَوت ويُريد أن يُريح ضميرَه تمامًا.

قلت: «لقد سامحتُك.» وكان هذا حقيقيًّا.

نهَض.

سألته: «إلى أين أنت ذاهِب؟»

«سأذهب للبحث عن جانين، الفتاة التي ضغطتْ على الزناد. سأقابِلك في قاعة الرؤساء الساعة التاسعة صباحًا.»

دخلتُ عبر البوابة الرئيسة وأنا لم أعد عضوًا من أفراد طاقم العمل، مُجرَّد زائر بالكاد لدَيه ما يكفي من نقاط الووفي للدخول، واستِخدام نافورات المياه والوقوف في الطابور. وإذا كنتُ محظوظًا، فقد يعطيني أحد أفراد طاقم العمل الشوكولاتة بالموز، ولكنه على الأرجح لن يفعل.

وقفتُ في الطابور المُصطفِّ لدُخول قاعة الرؤساء. تفقَّد الزوار الآخرون رصيدي من الووفي ثم أشاحوا بنظرِهم بعيدًا. حتى الأطفال. قبل عام من الآن، كانوا يَتَجاذَبون معي أطراف الحديث ويسألونني عن عملي هنا بالمملكة السحرية.

جلستُ في مقعدي بقاعة الرؤساء، أشاهِد الفيلم القصير مع باقي الناس، جالسًا في صبرٍ وكان الآخرون يهتزُّون في مقاعِدهم جرَّاء تأثير عملية نقل البيانات عن طريق التخليق السريع. أمسك أحد أفراد طاقم العمل بالميكروفون الجانبي للمسرح وشكر الحضور لَجيئهم، ثم فُتِحَت الأبواب وكانت قاعة الرؤساء خالية، إلَّا منِّي. نظرتْ إليَّ إحدى أفراد طاقم العمل بإمعان، وحينما تعرَّفَت عليَّ، أدارت ظهرَها لي وذهبتْ لتُدخِل المجموعة التالية.

لم تدخُل أيُّ مجموعة، بدلًا من ذلك دخل دان والفتاة التي رأيتُها في إعادة عرْض شريط مَقتلي.

قال: «لقد أغلقْناه لفترة الصباح.»

كنتُ أُحدِّق إلى الفتاة، مُسترجعًا ابتسامَتها وهي تضغط على الزناد الموَجَّه نحوي. الآن أرى على وجهها الخوف والندَم. كانت مُرتعِبة منِّي.

قلت: «لا بُدَّ أنك جانين.» نهضتُ وصافحتُها. «أنا جوليوس.»

كانت يدها بارِدة، وسَحبَتْها ثم مَسحتْها على سِروالِها.

سيطرت عليَّ فِطرة أفراد طاقم العمل وقلتُ لها: «اجلسي أرجوكِ. لا تقلقي، سيكون كل شيء على ما يُرام. لا ضغينة حقًّا.» كنتُ على وشْك أن أعرِض عليها كوبًا من الماء ولكني توقَّفت.

فقد انطلق صوتٌ داخلي مُتعجرِف في رأسي يقول: هوِّن عليها الأمر، وبهذا ستشهَدُ بشكلٍ أفضل، أو اجعلْها مُتوتِّرة ومُثيرة للشفَقة وستنجَحُ هذه الطريقة أيضًا؛ إذ ستجعل دِبرا تبدو أسوأ.

أخبرتُ هذا الصوت الداخلي أن يصمِت، وأحضرتُ لها كوبًا من الماء.

حينما عدتُ كانت العِصابة كلها قد حضرت بالفعل: دِبرا وليل وأتباعهما وتيم. فقد صارت عصابة دِبرا وعصابة ليل فريقًا واحدًا الآن. سيتفرَّق عمَّا قريب.

اعتلى دان المسرح واستخدَم الميكروفون الجانبي للمسرح ليَسمَعَه الجميع: «قبل أحد عشر شهرًا، أتيتُ بفعلةٍ شنْعاء. لقد تآمرتُ مع دِبرا لقتل جوليوس واستخدمتُ صديقةً كانت مُشوَّشة قليلًا في ذلك الوقت لقتلِه. كانت فكرة دِبرا أن مَقتل جوليوس سيتسبَّب في فَوضى كافية تُمكِّنها من الاستيلاء على قاعة الرؤساء، وقد كان.»

ضجَّتِ القاعة بالحديث. نظرتُ إلى دِبرا ووجدتُها جالسةً في هدوءٍ وكأنَّ دان قد اتَّهمها لِتوِّه باختِلاس قطعةٍ إضافية من الحلوى. كان والدا ليل يَجلِسان على جانِبَي دِبرا ويَبدُوان أقلَّ ارتياحًا منها. كان فكُّ توم مُطبَقًا ويبدو غاضبًا، وكانت ريتا تتحدَّث بغضبٍ إلى دِبرا. كان هيكوري جاكسون بقاعة الرؤساء القديمة يقول: سأشنُق أوَّلَ رجلٍ أضعُ يدي عليه على أول شجرةٍ سأتمكن من العثور عليها.

مضى دان في حديثه وكأنَّ لا أحد يتحدَّث: «أعادت دِبرا تحميل نفسها من نُسخة احتياطية بعدما خططنا للأمر. كان من المُفترَض أن أفعل مثلها، ولكنَّني لم أفعل. لديَّ نُسخة احتياطية في دليلي العام، ويُمكن لأيِّ شخصٍ أن يتفحَّصها. والآن أودُّ أن أدعو جانين على المسرح، فهي ترغَب في أن تقول شيئًا.»

ساعدتُ جانين لتعتلي المسرح. كانت لا تزال ترتجِف، وكان أعضاء اللجنة يُثرثِرون باتِّهامات مُضادَّة بلا أدنى مَشاعر، ولكنَّني كنتُ مُستمتِعًا بالأمر رغمًا عنِّي.

قالت جانين بنعومة: «مرحبًا.» كان لها صوتٌ ووجه جَميلان. تساءلَتْ ما إذا كان يُمكننا أن نُصبِح أصدقاء بعد أن ينتهي كلُّ ذلك. كانت لا تهتمُّ كثيرًا بالووفي على الأرجَح، بشكلٍ أو بآخَر.

استمرَّ النِّقاش، فأخذَ منها دان الميكروفون وقال: «أرجوكم! هل يُمكن أن نُظهِر بعض الاحترام لضَيفتِنا؟ أرجوكم يا رفاق؟»

خفتَت الجلَبة شيئًا فشيئًا، وأعاد دان الميكروفون إلى جانين، فقالت مرةً أخرى: «مرحبًا.» وجفَلْتُ من صوتِها الذي رنَّ في أرجاء قاعة الرؤساء. «اسمي جانين. أنا من قتلتُ جوليوس السنة الماضية. طلب دان منِّي ذلك فنفَّذتُه. لم أسأله عن السبب، لقد وثقتُ به. أخبَرَني أن جوليوس سيصنَعُ نُسخةً احتياطية قبل دقائق من إطلاقي النار عليه، وأنه يُمكنه أن يُخرجَني من المُتنزَّه دون أن يُقبَض عليَّ، أنا حقًّا آسِفة.» كان بها قدْر من عدَم التوازُن؛ شكل من أشكال التشوُّش في وقفتِها وكلماتها يَجعلك تُدرِك أنها لم تكن حاضرة الذِّهن بالكامل. النشأة في الجبال قد تفعل ذلك بك. ألقيتُ نظرة خاطفة على ليل فوجدتُ شفتَيها مزمومَتَين. النشأة في مُتنزَّهٍ كبير قد تفعل ذلك بك أيضًا.

قال دان مُستعيدًا منها الميكروفون: «شكرًا يا جانين. يُمكنك أن تجلِسي الآن. لقد قلتُ كلَّ ما أريد قوله، لقد تناقشتُ أنا وجوليوس في الأمر على انفراد. إذا كان هناك أيُّ شخصٍ آخَر يرغَب في الحديث ...»

لم تكد الكلمات تخرُج من فمه حتى انفجَرَ الحضور في الحديث مرةً أخرى وهم يُلوِّحون بأيديهم. كانت جانين تجلِس جافِلةً إلى جانبي، أمسكتُ بيدِها وصحتُ في أُذُنها قائلًا: «هل سبق لك تجربة لعبة قراصنة الكاريبي من قبل؟»

هزَّتْ رأسها نافِية.

نهضتُ وجذبتُها لتنهَض هي الأخرى قائلًا: «ستُحبِّينها.» وقُدْتُها إلى خارج القاعة.

الفصل العاشر

حَجَزتُ لنا مقعدَين بجانب حلبة الرقص البولينيزية وقد غمرتْنا السعادة بعد أن حصَلْنا على مجموعة نقاط تَعاطُفٍ جديدة أُضيفَتْ إلى رصيدنا من الووفي، واحتسيتُ أنا ودان دستةً من مشروب اللابو لابو الموضوع في ثِمار أناناس مُجوَّفة قبل أن نتخلَّى عن فكرة الشُّرب حتى الثَّمالة.

شاهدَتْ جانين رقصات النار وإضاءة الشُّعلات في دَهْشة وكانت تعبَث بضُلوعها النحيلة بيدٍ واحدة ولا تَحيد بنَظرِها أبدًا عن العرْض الراقص. عندما كانوا يرقُصون رقصة الهولا السريعة كانت عيناها تتأرْجَحان جَيئةً وذهابًا، فضحكتُ ضحكةً خافِتة.

استطعتُ أن أرى من المكان الذي كنَّا نجلس فيه البُقعة التي خضتُ فيها مياه بُحيرة البحار السبعة واستنشقتُ مياهها الدافئة، واستطعتُ أن أرى قلعة سندريلا عبر البُحيرة، والقطارات الكهربائية المُعلَّقة، والعبَّارات، والحافلات تشقُّ الطريق المُزدَحِم عبر المُتنزَّه وهي تتحرَّك من مكانٍ لآخَرَ حامِلةً على مَتنِها الحشود المُزدحِمة من الزوَّار الذين يرغبون في التنقُّل من مكانٍ إلى آخر. قرَع دان ثمرَةَ الأناناس الخاصَّة به في ثَمَرتي، واحتَسَينا الشَّراب دفعةً واحدة ثم تجشَّأنا في رضًا.

مَعِدة مُمتلئة، أصدقاء طيِّبون، وشمس الغروب خلف فرقةٍ من راقصي الهولا نِصف عراة ذوي بَشرةٍ سمراء مُصفرَّة. من يحتاج إلى مجتمع الروعة على أيِّ حال؟

حينما انتهى العرْض، شاهدْنا الألعاب النارية من الشاطئ وأصابع قدَميَّ مدفونة في رمال الشاطئ البيضاء. وضَع دان يدَه في يدي اليُسرى، وأمسكَتْ جانين بيدي اليمنى. جلس ثلاثتُنا على أُرجوحة شبكية مُعلَّقة حينما أظلمَتِ السماء، وتراقَصَت أضواء الزَّوارِق البُخارية في قلب الليل.

نظرتُ نحوَ بُحيرة البحار السبعة وأدركتُ أنَّ هذه ليلتي الأخيرة في عالم والت ديزني. لقد حان وقتُ إعادة التشغيل مرةً أخرى والبَدْء من جديد. وكان هذا هو دَور المُتنزَّه، ولكنِّي في هذه الزيارة فقط علقتُ بطريقةٍ أو بأخرى وحرَّرني دان.

تحوَّل الحوار إلى موت دان الوَشيك.

قال دان وهو يسحَب نفَسًا من سيجارةٍ مُشتعلة: «إذن، أخبِرْني رأيك في هذا.»

أجبت: «تفضَّل.»

فقال: «إنَّني أفكر، لماذا ألجأ إلى الحُقنة القاتلة؟ أعني، ربما أكون قد انتهيتُ هنا في الوقت الراهن، ولكن لماذا يجِب عليَّ أن أتَّخِذ قرارًا لا رجعةَ فيه؟»

سألتُه قائلًا: «لماذا كنتَ تُريد فِعل ذلك من قبل؟»

«أوه، كان سببًا ذُكوريًّا كما أظن، فكرة اتِّخاذ قرارٍ حاسِمٍ وكل هذه الأشياء. ولكن سُحقًا، ليس عليَّ إثبات أيِّ شيء. أليس كذلك؟»

أجبتُ بسماحة نفس: «بالطبع.»

قال وهو يفكر مَلِيًّا: «إذن، السؤال الذي أسأله هو، لِكَم من الوقتِ يُمكِنُني أن أُعلِّق حياتي مُؤقتًا؟ بعض الناس يختارون النَّوم لألفِ سنة، عشرة آلاف سنة. أليس كذلك؟»

قلتُ مازِحًا: «إذن بماذا تفكر؟ مليون سنة؟»

ضحِك قائلًا: «مليون؟ تفكيرُك محدود جدًّا يا بني. جرِّب التفكير على نِطاق الموت الحراري للكون!»

كرَّرتُ كلامه قائلًا: «الموت الحراري للكون.»

قال مُتشدِّقًا: «بالطبع»، واستشعرتُ ابتسامتَه في الظلام. «عشرات المئات من السنين؛ الحقبة الستيليفورسية، حينما ستكونُ جميع الثُّقوب السوداء قد نضَبت، وتصير الأشياء، كما تعلَم، مُملَّة للغاية، وباردة أيضًا. لذا أفكر: لماذا لا أضبِط نِداء إعادة الاستِيقاظ على فترةٍ في هذا النِّطاق إذن؟»

قلت: «يبدو هذا كريهًا بالنسبة لي، برررر.»

«على الإطلاق! إنَّني أتخيَّل: وعاءً كانوبيًّا نانويًّا يُصلِح نفسه ذاتيًّا وكتلةً كافية — كويكبًا يزِن تريليون طنٍّ مثلًا — لتُغذِّيه والكثير من العُزلة حينما يَحين الوقت. سأُطلُّ برأسي كلَّ قرنٍ أو نحو ذلك لأرى كيف تسير الأمور، ولكن إذا لم يحدُث شيء مُذهِل، سأتحمَّل الرحلة الطويلة حتى بلوغ الحدود النهائية للكون.»

قالت جانين: «هذا رائع.»

ردَّ دان: «شكرًا.»
سألتُه قائلًا: «أنت لا تمزَح. أليس كذلك؟»
أجاب قائلًا: «بالطبع لا.»

لم أُدْعَ إلى الانضِمام إلى اللجنة اللامركزية مرَّةً أخرى، حتى بعدَ مُغادَرة دِبرا بعدَ أن فقدَتْ رصيدَها من الووفي وبدءوا يُعيدون القصر إلى ما كان عليه. اتَّصلتْ بي كيم لتُخبِرَني أنهم يَعتقِدون أنه بالدَّعم الكافي من فريق المُبتكرين، يُمكنهم أن يكونوا فريقًا للعمل في القصر وتشغيله في غضون أسبوع. كان سانيب مُستعدًّا لارتكاب جريمة قتل، أُقسِم على ذلك. لا يُمكن لمنزلٍ مُنقسِم على نفسه أن يصمُد، كما كان يقول السيد لنكولن في قاعة الرؤساء.

وضعتُ ثلاثة أطقم من الملابِس وفُرشاة أسنان ومعجونًا في حقيبة كتِفي وغادرْتُ جناحي بالمُنتجَع البولونيزي في العاشرة صباحًا، ثم قابلتُ جانين ودان في ساحة انتِظار السيارات الأمامية الخاصَّة بالفندق. كان دان يستقلُّ سيارة صغيرة استأجَرَها برصيدي من الووفي، وحُشِرتُ أنا وجانين بالمُنتصَف. شغَّلنا أغاني فريق البيتلز القديمة على كاسيت السيارة على طول الطريق إلى كاب كانيفيرال. وأقلَعَ مَكوكنا في الظهيرة.

رَسَا المكوك بعدَ رحلةٍ استغرقَتْ أربع ساعات، ولكن بحلول الوقت الذي أنهَيْنا فيه إجراءات التطهير من الجراثيم والإرشادات، كان قد حان وقتُ العشاء. مثل دِبرا، صار رصيد دان من الووفي فقيرًا بعد اعترافِه، وعلى الرغم من ذلك دعانا إلى تناوُل وجبة طعام بالفُقَّاعة الكبيرة، عبارة عن أنابيب، كأنابيب معجون الأسنان، تُفَرِّغ مُحتواها من الشَّراب المُسكِر ومعجون اللحم المطبوخ عبر الضَّغط عليها، وشاهدْنا الكون يَصير أكثر بُرودةً لبعض الوقت.

كان هناك رَجُلان يَعزِفان وقد رَبَطا أنفسهما بجيتار ومجموعة من الأحواض، ولم يكن أداؤهما سيئًا تمامًا.

كانت جانين لا تَشعُر بالراحة وهي مُعلَّقة في الهواء عارِية. لقد ذهبتْ إلى الفضاء مع ذَويها بعدما ترَك دان الجَبَل، ولكنهم غادروا إلى الفضاء في إحدى السُّفن التي تنتمي لجيل السفر لمسافاتٍ طويلة، ولكنَّها تركتْه بعدَ عامٍ أو اثنَين وعلَّقَتْ حياتها مُؤَقَّتًا ورقدَتْ داخل إحدى كبسولات الدعم في طريق العودة إلى كوكب الأرض. ستعتاد العَيش في الفضاء بعد بعض الوقت، أو لن تعتاد.

قال دان: «حسنًا.»

قلتُ وأنا أُقلِّد طريقتَه في مطِّ الكلام: «أجل.» فابتسم.

قال: «لقد حان الوقت.»

تكوَّنَتْ كُرَيَّات صغيرة من الدُّموع المالِحة في عَيني جانين، فمسحتُها وأزحتُها لتسبَح داخل الفقَّاعة بعيدًا. كانت قد نَمَتْ لديَّ مشاعِر أخوِيَّة حنونة حقيقية تِجاهَها منذ أن رأيتُ الدهشة والانبِهار في عَينَيها وهي تشقُّ طريقها عبر المملكة السحرية. ليستْ رومانسية؛ فلم أعُدْ بحاجةٍ إليها تمامًا! بل صداقة حميمة وشعور بالمسئولية.

قال دان: «أراك بعد عشرات المئات من السنين.» ثم اتَّجَه إلى غُرفة مُعادَلة الضغط. هممتُ بالذَّهاب خلفَه ولكن جانين أمسكت بيدي.

قالت: «إنه يكرَه الوداع الطويل.»

أجبتُ قائلًا: «أعلم ذلك.» وشاهدتُه وهو يذهب بعيدًا.

إن الكون يَشيخ، مِثلي تمامًا. وكذلك حال نُسخَتي الاحتياطية، القابِعة بمُستودَعٍ للبيانات المُوزَّعة على سطح أحد الكواكب، مُستعدَّة لليوم الذي سيقتُلني فيه الفضاء، أو التقدُّم في العمر، أو الغباء. إنها تتراجَع بمرور السنين، وأنا أُدَوِّنُ حياتي بخطِّ اليد، رسالة إلى نفسي التي سأكون عليها حين تُسترجَع، داخل جسَدٍ مُستنسَخ في مكانٍ ما في وقتٍ ما. من المُهمِّ أن يعرِف الشخص الذي سأكُونُه في ذلك الوقت، أيًّا كان، ما حدَث في هذه السنة، وسيحتاج الأمر منِّي إلى مُحاولاتٍ كثيرة لأستوعِب الأمر بشكلٍ صحيح.

وفي هذه الأثناء، أعمل حاليًّا على تأليف سيمفونية أخرى تدمُج القليل من ألحان أغنية «الأشباح المُبتسِمة المُروِّعة» وتحمِل إشارةً إلى أغنية «إنه عالَم صغير على أيِّ حال»، وأغنية «هناك غدٌ أجمل وأكبر وأعظم» على نحوٍ خاص.

تقول جانين إنها جيدة للغاية، ولكن ماذا تعرِف هي؟ إنها بالكاد في الخمسين من عُمرها.

لدى كِلَيْنا الكثير من الأشياء لنفعلها في الحياة قبل أن نفْهَم حقيقة الأمور.

هنـــداوي